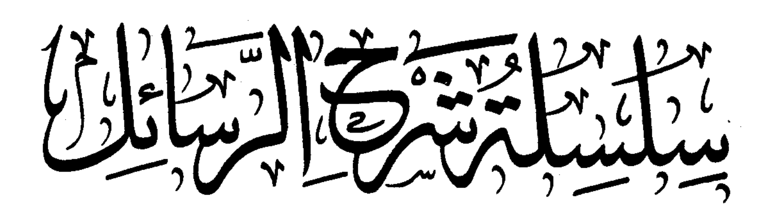

سلسلة شرح الرسائل

للإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم

فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

عبد السلام بن عبد الله السليمان

ح صالح بن فوزان بن عبد الله، الفوزان ١٤٢٤ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان ، صالح بن عبد الله .

سلسلة شرح الرسائل/ الرياض، ط ١

٣٧٢ ص ، ١٧×٢٤ سم

ردمك ٠-٨٧٥-١٠-٩٩٦٠

١- العقيدة أ- العنوان

ديوي ٢٥١ ١٤٢٤/٣٣٩٠

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٣٣٩٠

ردمك : ٠-٨٧٥-١٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

ريع هذا الكتاب يصرف في الأعمال الخيرية

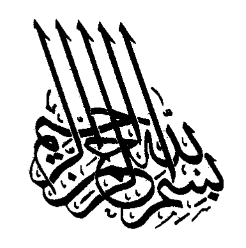

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

فهذا شرح لرسائل شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كنت قد ألقيته في الدرس الأسبوعي.

فقام الشيخ: عبد السلام السليمان بتفريغه من الأشرطة وتخريج الأحاديث الواردة فيه وإعداده للطباعة. ثم راجعته بعد انتهاء الشيخ عبد السلام من عمله فيه وأذنت له بطباعته رجاء الاستفادة منه. والله ولي التوفيق.

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبد الله

الفوزان

١٤٢٤/٧/٢٣هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذه مجموعة من الرسائل من تأليف الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

قام بشرحها في دروسه العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء. فعرضت على الشيخ تفريغ هذا الشرح فوافق على ذلك وراجعه وأصلحه بما يناسب أن يخرج كتاباً. مع إضافة الأسئلة المهمة التي تتعلق بشرح الرسالة.

أسأل الله أن يجزي شيخنا الشيخ صالح خير الجزاء وأن ينفع بعلمه الإسلام والمسلمين وأن يغفر للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأن يجزيه عنا وعن المسلمين الأجر والمثوبة.

عبد السلام بن عبد الله

السليمان

الجمعة ٨ رجب ١٤٢٤هـ

فهرس الرسائل

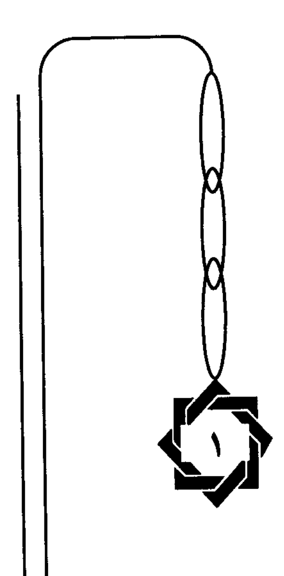

الرسالة الأولى

الأصول الستة

سلسلة شرح الرسائل

١ - شرح رسالة : الأصول الستة

للإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم

فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام الدعوة الإسلامية وحامي حمى المِلَّة الحنيفية:

من أعجب العُجاب، وأكبر الآيات الدالَّة على قدرة الملك الغلَّاب، ستة أصولٍ بيَّنها الله تعالى بيانًا واضحًا للعوامِّ فوق ما يظن الظانُّون، ثم بعد ذلك غلط فيها أذكياء العالَم وعقلاء بني آدمَ إلا أقل القليل [١].

---

[١] بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

. . . .

لا شك أن الله سبحانه أنزل القرآن تبيانًا لكل شيءٍ، وأن الرسول ﷺ بيَّن هذا القرآن بيانًا شافيًا، وأعظمُ ما بيَّنه الله ورسوله في هذا القرآن قضية التوحيد والشرك؛ لأن التوحيد هو أصل الإسلام وأصل الدين، وهو الذي تبنى عليه جميع الأعمال، والشركُ يبطل هذا الأصل، ويفسده ولا يكون له وجودٌ؛ لأنهما أمران متضادان ومتناقضان لا يجتمعان أبدًا، فلذلك الله سبحانه بين هذا الأصل في كتابه في جميع القرآن، فلا تكاد تخلو سورةٌ من ذكر التوحيد وذكر الشرك، والناس يقرؤون هذا القرآن ويرددونه.

ولكن قلَّ من يتنبه لهذا البيان، ولذلك تجد كثيرًا من الناس يقرؤون القرآن ويقعون في الشرك ويُخلُّون بالتوحيد، مع أن هذا الأمر واضحٌ في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ؛ لأنهم يمشون على العوائد وما وجدوا عليه آباءهم ومشايخهم، فالأصل عندهم ما وجدوا عليه آباءهم ومشائخهم وأهل بلدهم، ولا يفكرون في يومٍ من الأيام أن يتأملوا ويتدبروا القرآن، ويَعرضوا عليه ما كان عليه الناس، هل هو صحيحٌ أو غير صحيحٍ؟

. . . .

بل أخذهم التقليد الأعمى لآبائهم وأجدادهم، واعتبروا أن القرآن إنما يُقرأ للبركة وحصول الأجر بالتلاوة وليس المقصود أنه يُقرأ للتدبر والعمل بما فيه. قلَّ من الناس من يقرأ القرآن لهذا الغرض، إنما يقرؤونه للتبرك به أو التلذذ بصوت القارئ، والترنُّم به، أو لقراءته على المرضى للعلاج.

أما أن يُقرأ للعمل به والتدبر والصدور عما فيه، وعرض ما عليه الناس على هذا القرآن، فهذا لا يوجد إلا في قليلٍ من الناس، لا نقول: إنه معدومٌ، لكنه في أقل القليل، ولذلك تجد القرآن في وادٍ، وأعمال بعض الناس في وادٍ آخر لا يفكرون في التغيير أبدًا، ولو حاول مجددٌ أو داعٍ إلى الله أن يغير ما هم عليه، لقاموا في وجهه واتهموه بالضلال، واتهموه بالخروج على الدين وأنه أتى بدينٍ جديدٍ وأنه وأنه. . . .

كما حصل لهذا الشيخ نفسه لما حاول ـ رحمه الله ـ أن يرد الناس إلى القرآن وما دل عليه القرآن، ويغيِّر ما هم عليه من العادات والتقاليد الباطلة، ثاروا في وجهه وبدَّعوه

. . . .

وفسَّقوه، بل وكفَّروه واتهموه باتهاماتٍ، لكن في الحقيقة هذا لا يضر وليس بغريبٍ، فإن الأنبياء قيل فيهم ما هو أشد من ذلك، لما أرادوا أن يغيروا ما عليه الأمم من عبادة غير الله قيل في حق الأنبياء ما قيل، فكيف بالدعاة والعلماء؟ فلا غرابة في هذا، وهذا لا ينقص من أجر العالم والداعية، بل هذا يزيد في حسناته عند الله سبحانه وتعالى.

وإنما يرجع بالنقص على من قاله ومن تفوَّه به وكتبه، فإن هذا يرجع عليه، أما العلماء المخلصون والدعاة إلى الله، فلا يضرهم ما قيل فيهم بل يزيد في درجاتهم وحسناتهم، ولهم قدوةٌ بالأنبياء وما قيل في حقهم وما اتُّهموا به، والله تعالى يقول لنبيه: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣].

فالشيخ ـ رحمه الله ـ في هذه الكلمات يبين شيئًا من هذا الأمر العجيب، أن الناس يقرؤون القرآن، ويكثرون من قراءته، ويختمونه ويحفظونه ويرتِّلونه، ويركزون اهتمامهم بألفاظ القرآن وتجويده وأحكام المد، وأحكام الإدغام،

الأصل الأول: إخلاص الدِّين لله تعالى وحدَه لا شريك له [٢].

والغنة والإقلاب، والإظهار والإخفاء، ويعتنون بهذا عنايةً فائقةً، وهذا شيءٌ طيبٌ.

ولكن الأهم والمقصود ليس هذا، المقصود تدبر المعاني، والتفقه في كتاب الله ـ عز وجل ـ وعرض أعمالنا وأعمال الناس على كتاب الله هل هي موافقةٌ لكتاب الله أو مخالفةٌ؟

هذا هو المطلوب: أن نصحح أوضاعنا، وأن ننبه على أخطاء الناس، لا بقصد التشهير وقصد النيل من الناس، بل بقصد الإصلاح، والنصيحة.

[٢] الشرح ـ الأصل الأول من هذه الأصول الستة: (إخلاص الدين لله وحده لا شريك له) هذا أصل الأصول وقاعدة الدين، وهذا هو المعترَك بين الأنبياء وبين الأمم، فالأنبياء يريدون أن يصححوا هذا الأصل الذي خلق الله الخلق من أجله وربط سعادتهم به.

فليس المهم أن الإنسان يصوم ويصلي ويكثر من

. . . .

العبادات، المهم الإخلاص، فقليلٌ مع الإخلاص خيرٌ من كثيرٍ مع عدم الإخلاص، فلو أن الإنسان يصلي الليل والنهار، ويتصدق بالأموال، ويعمل الأعمال لكن بدون إخلاص فلا فائدة في عمله؛ لأنه لا بدَّ من الإخلاص، والإخلاص معناه: ترك الشرك وإفراد الله ـ جل وعلا ـ بالعبادة، ولا أحد يستحق العبادة مهما بلغ من الكمال ومن الفضل إلا الله، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء والرسل، ولا الأولياء والصالحون، هذا هو الأصل، ولا يتحقق هذا الأصل إلا بترك الشرك، أما من يخلط بين العبادة لله وبين الشرك بغيره، فهذا عمله حابطٌ.

وأما الذي يخلص عمله لله ـ عز وجل ـ فهذا هو السعيد، ولو كان عمله قليلاً، فقليلٌ من العمل مع الإخلاص، فيه الخير، وفيه النجاة؛ وحديث البطاقة لا يخفى: «رجلٌ يبعث يوم القيامة تعرض عليه أعماله مكتوبةً في سجلاتٍ، كل سجلٍ منها مدَّ البصر، مملوءةً بالسيئات، توضع هذه السجلات في كِفَّةٍ، وتوضع هذه البطاقة التي فيها لا إله إلا الله قالها هذا الرجل من قلبه

وبيانُ ضدِّه الذي هو الشرك [٣].

بإخلاصٍ ويقينٍ وإيمانٍ فرجحت هذه الكلمة بجميع السجلات، وطاشت بجميع السجلات»(١).

هذا هو الإخلاص فهو ما قالها مجرد لفظٍ، وإنما قالها عارفًا بمعناها، معتقدًا بما دلت عليه، لكنه مات قبل أن يتمكن من العمل، فكيف بالذي عنده أعمالٌ كثيرةٌ صالحةٌ وخالصةٌ لوجه الله عز وجل؟ هذا فيه دلالة على أن الإخلاص وإن كان قليلاً فقد ينجي الله به صاحبه، ويكفِّر عنه جميع الذنوب والسيئات، وأنه إذا فقد الإخلاص فلا فائدة من كثرة الأعمال.

[٣] ضد التوحيد الشرك بالله عز وجل، فالتوحيد هو إفراد الله بالعبادة، والشرك هو صرف شيءٍ من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة إلى آخر أنواع العبادات، هذا هو الشرك، والشرك المقصود هنا هو الشرك في الألوهية، أما الشرك في الربوبية، فهذا غير موجودٍ في الغالب.

---

(١) حديث البطاقة أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠).

وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل، من وجوهٍ شتَّى بكلامٍ يفهمه أبلَدُ العامة [٤].

فالأمم كلها مقرةٌ بتوحيد الربوبية اضطرارًا، لم يجحده إلا من تظاهر بالإنكار، مع أنه يعترف به في الباطن؛ لأن الإقرار به ضروريٌّ، فالجميع يعرف أن هذا الخلق، وهذا الكون لا بدَّ له من خالقٍ، وهذا الخلق الذي يسير لا بدَّ له من مدبِّرٍ، ليس موجودًا بمجرد الصدفة أو موجودًا من نفسه ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦].

فالإقرار بتوحيد الربوبية ضروريٌّ وفطريٌّ لكنه لا يكفي، لم يكفِ المشركين إقرارُهم به كما في القرآن، فالقرآن صريحٌ في هذا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٧] ماذا يجيبون؟ يجيبون: (الله)، أي الله هو الذي خلقنا، هذا توحيد الربوبية، فالمطلوب هو توحيد الألوهية، هذا الذي حصل فيه النزاع والخلاف والخصام بين الرسل والأمم، وبين الدعاة إلى الله وبين الناس، هذا هو الذي فيه الخصومة، فيه القتال، وفيه ما يتعلق بذلك من الولاء والبراء وغير ذلك.

[٤] الله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ

. . . .

شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] هل هذا كلامٌ غامضٌ؟ العوام يفهمونه ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] يفهمون من هذه الآية الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، ولو أنهم لم يتعلموا، يعرفون هذا من لغاتهم، هذه آيةٌ واحدةٌ، والقرآن مملوءٌ من مثل هذا.

هذه الآيات يمرون عليها ويقرؤونها، لكن لا يفكرون فيها، يقول الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] وهم يقولون: يا علي يا حسين يا بدوي يا تيجاني يا عبد القادر، يصرخون ويصيحون وينادون بأعلى أصواتهم: يا فلان يا فلان، وفلانٌ هذا ميتٌ.

وهذا الذي ينادي الميت ويصرخ ربما أنه يحفظ القرآن بالقراءات السبع أو العشر، ويجوِّده تجويدًا منقطع النظير، «يُقيمه إقامة السهم»[1] ـ كما قال النبي ﷺ ـ لكنه يعتني بحروفه ويضيع حدوده.

يقول الإمام ابن القيم: القرآن كله في التوحيد ؛ لأنه

---

(١) سنن الترمذي (٢١٨٨) وسنن ابن ماجه (١٦٨) ومسند أحمد (٣٥٩٦) وسنن الدارمي (٢٠٤).

. . . .

إما أمرٌ بعبادة الله وترك الشرك، وإما بيانٌ لجزاء أهل التوحيد، وجزاء أهل الشرك، وإما في أحكام الحلال والحرام، وهذه من حقوق التوحيد، وإما قصصٌ عن الرسل وأممهم وما حصل بينهم من الخصومات، وهذا جزاء التوحيد والشرك. فالقرآن كله توحيدٌ، من أوله إلى آخره، ومع هذا يقرؤون هذا القرآن وهم مقيمون على الشرك الأكبر، ويقولون: لا إله إلا الله، ولا يعملون بها، هم في وادٍ، والقرآن ولا إله إلا الله في وادٍ آخر، إنما هي ألفاظ على اللسان فقط.

لو تسأل واحدًا منهم: ما معنى لا إله إلا الله؟ لقال لك: لا أدري، أنا لم أتعلم. فنقول له: إذاً أنت تقول: لا إله إلا الله ولا تعلم ما معناها، هل هذا يليق بالمسلم؟! تقول كلامًا لا تعرف معناه ولا تهتم به، أو تقول: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، مثلما يقول المنافق في القبر إذا سئل: يقول «سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته»(١) مجرد محاكاةٍ.

---

(١) صحيح البخاري (٨٦) وصحيح مسلم (٩٠٥) وسنن النسائي (٢٠٦٢) وسنن ابن ماجه (١٢٦٥) ومسند أحمد (٢٦٣٨٥) وموطأ مالك (٤٤٧).

ثم صار على أكثر الأمة ما صار، أظهرَ لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقُّص الصالحين والتقصير في حقوقهم [٥].

كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] شبَّههم الله بالبهائم التي تسمع صوت الراعي وتسمع الحُداء، وتمشي على صوت الراعي، وهي لاتفهم معناه.

[٥] إذا قيل لهم لا تَدْعوا المخلوقين، ولا تستغيثوا بهم، ادعوا الله واستغيثوا بالله، واسألوا الله، وتوجهوا إلى الله، لا تتوجهوا إلى القبور والأموات، يقولون: أنت تتنقص الأولياء، هؤلاء الأولياء قدرهم عندنا أن نُجلَّهم ونحترمهم ونهتف بأسمائهم، هذا قدرهم فأنت تتنقصهم ولا تعترف بفضلهم، هكذا يقولون لدعاة التوحيد.

فنقول لهم: نحن نحب الصالحين، ونحب أولياء الله،ونواليهم ونُجلُّهم ونحترمهم، ولكن لا نعطيهم شيئًا من حق الرب ـ سبحانه وتعالى ـ ولا نعطيهم شيئًا من العبادة؛ لأنها ليست حقًا لهم، وهم لا يرضون بهذا، ولا يرضون بأنهم يُدعَون مع الله ويستغاث بهم في الشدائد.

وأظهَرَ لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحينَ وأتباعهم [٦].

الأصل الثاني: أمَر الله بالاجتماع في الدِّين والنهي عن التفرق، فبيَّن الله هذا بيانًا شافيًا تفهمه العوامُّ [٧].

---

[٦] هم يقولون: إن استغاثتهم بالصالحين واستنجادهم بهم اعترافٌ بفضلهم وإجلالٌ لهم، هذا ما زيَّن لهم الشيطان، والمراد بالشيطان شيطان الجن وشيطان الإنس، علماء الضلال شياطين الإنس يتكلمون ويكتبون ويؤلفون في الدعوة إلى الشرك، ويزعمون أن هذا من تعظيم الصالحين، ومن الاعتراف بفضلهم، ومن موالاتهم، وأن عدم دعائهم وعدم الاستغاثة بهم من الجفاء في حقهم، ومن بغضهم، إلى آخر ما يقولون، هذا موجودٌ في كتبهم.

[٧] هذا الأصل موجودٌ في القرآن قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

. . . .

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فلا يجوز للمسلمين أن يتفرقوا في دينهم، بل يجب أن يكونوا أمةً واحدةً على التوحيد ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

لا يجوز لأمة محمدٍ أن تتفرق في عقيدتها، وفي عبادتها، وفي أحكام دينها، هذا يقول: حلالٌ، وهذا يقول: حرامٌ بغير دليل، لايجوز هذا. لا شك أن الاختلاف من طبيعة البشر، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

لكن الاختلاف يحسم، بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فإذا اختلفت أناوأنت فإنه يجب علينا أن نرجع إلى كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] أما مايقال: كلٌّ يبقى على مذهبه، وكلٌّ يبقى على عقيدته، والناس أحرارٌ في آرائهم، ويطالبون بحرية العقيدة، وحرية

. . . .

الكلمة، هذا هو الباطل الذي نهى الله عنه فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فيجب أن نجتمع في عرض اختلافنا على كتاب الله حتى في مسائل الفقه، إذا اختلفنا في شيء نعرضه على الأدلة، فمن شهد له الدليل صرنا معه، ومن أخطأ الدليلَ، فإننا لا نأخذ بالخطأ.

إن الله ـ جل وعلا ـ لم يتركنا نختلف ونتفرق بدون أن يضع لنا ميزانًا يبين الصحيح من الخطأ، بل وضع لنا القرآن والسُّنة ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن، ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ يعني السنة، والرسول ﷺ يقول: «إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي: كتابَ الله وسنَّتي»[1].

فكأن الرسول ﷺ موجودٌ بيننا بوجود السُّنة مدونةً ومصححةً وموضحةً، وهذا من فضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ على هذه الأمة، أنه لم يتركها في متاهةٍ، بل تركها وعندها ما يدلها على الله ـ سبحانه وتعالى ـ و يدلها على الصواب، أما الذي لا يريد الحق، ويريد أن كل واحدٍ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٣).

. . . .

يبقى على مذهبه وعلى نِحْلَته، ويقول: نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. هذا لاشك أنه كلام باطل.

فالواجب أن نجتمع على كتاب الله وسُنة رسوله، وما اختلفنا فيه نردُّه إلى كتاب الله وسُنة رسوله، لا يعذر بعضنا بعضًا ونبقى على الاختلاف بل نردُّه إلى كتاب الله وسُنة رسوله، وما وافق الحقَّ أخذنا به، وما وافق الخطأ نرجع عنه. هذا هو الواجب علينا فلا تبقى الأمة مختلفةً، وربما يذكر الذين يدعون إلى البقاء على الاختلاف حديث: «اختلاف أمتي رحمةٌ»(١) وهذا الحديث يروى ولكنه ليس صحيحًا.

الاختلاف ليس رحمةً، الاختلاف عذابٌ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فالاختلاف يشتت القلوب ويفرق الأمة، ولا يمكن للناس إذا صاروا مختلفين أن يتناصروا ويتعاونوا

---

(١) أورده العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/٢٨، والفُتَّني في تذكرة الموضوعات: ٩٠، والألباني في السلسلة الضعيفة (٥٧) وقال: لا أصل له، وقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا.

. . . .

أبدًا، بل يكون بينهم عداوةٌ وعصبيةٌ لفِرَقهم وأحزابهم، ولا يتعاونون أبدًا.

إنما يتعاونون إذا اجتمعوا واعتصموا بحبل الله جميعًا، وهذا هو الذي أوصى به النبي ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا، وأن تُناصحوا مَنْ ولَّاه الله أمرَكم»(١) هذه الثلاث يرضاها الله لنا، والشاهد منها قوله: «وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا» وليس معنى هذا أنه لا يوجد اختلافٌ ولا يوجد تفرق.

طبيعة البشر وجود الاختلاف، ولكن معنى هذا أنه إذا حصل اختلافٌ أو تفرقٌ يحسم بالرجوع إلى كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ وينتهي النزاع وينتهي الاختلاف، هذا هو الحق.

وليس تحكيم القرآن أو تحكيم السُّنَّة مقتصرٌ على مسألة

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥)، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠، والبخاري في الأدب المفرد (٤٤٢)، وأحمد (٨٣٣٤) و(٨٧١٨) و(٨٧٩٩)، وابن حبان (٥٧٢٠) من حديث أبي هريرة.

. . . .

النزاع في الخصومات بين الناس في الأموال، حيث يسمون الحكم بما أنزل الله، أنه الحكم بين الناس في أموالهم ونزاعاتهم في أمور الدنيا فقط.

لا بل هو الحكم بينهم في كل اختلافٍ وكل نزاعٍ، والنزاع في العقيدة أشد من النزاع في الأموال، والنزاع في أمور العبادات وأمور الحلال والحرام أشد من النزاع في الخصومات في الأموال، إنما الخصومات في الأموال جزءٌ أو جزئيةٌ من الاختلاف الذي يجب حسمه بكتاب الله عز وجل، والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كان يحصل بينهم اختلافٌ لكن سرعان ما يرجعون إلى كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ فينتهي اختلافهم.

فقد حصل بينهم اختلافٌ بعد وفاة النبي ﷺ حول من الذي يتولى الأمر من بعده؟ وسرعان ما حسموا النزاع ورجعوا وولَّوا أبا بكرٍ الصديق، وانقادوا له وأطاعوا له، وزال الاختلاف، وانحسمت الفرقة التي حصلت فيمن يتولى الأمر بعد الرسول ﷺ ، فهم يحصل بينهم اختلافاتٌ لكن يرجعون إلى كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، ثم يذهب

. . . .

الاختلاف فيما بينهم.

وإن الرجوع إلى كتاب الله يزيل الأحقاد ويزيل الأضغان، فلا أحد يعترض على كتاب الله -عز وجل- فإنك عندما تقول لإنسانٍ: تعالَ إلى قول الإمام الفلاني أو العالم الفلاني لا يقتنع، لكن لو قلت له: تعالَ إلى كتاب الله وإلى سُنة رسوله ﷺ، فإن كان فيه إيمانٌ فهو يقتنع ويرجع.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] هذا قول المؤمنين، أما المنافقون إن كان الحق لهم جاؤوا مذعنين، وإن كان الحق عليهم تولَّوا وأعرضوا كما ذكر الله عنهم. فلا يسع المؤمنين أن يبقوا على اختلافهم في جميع الاختلافات، لا في الأصول ولا في الفروع، كلها تحسم بالكتاب والسُّنَّة، وإذا لم يتبين الدليل مع أحد المجتهدين، وصار لا مرجِّح لقول أحدهم على الآخر، ففي هذه الحالة لا يُنكر على من أخذ بقول إمام معين، ومن ثم قال العلماء: (لا إنكار في مسائل الاجتهاد) أي المسائل التي لم يظهر الدليل فيها مع أحد الطرفين.

ونهانا أن نكون كالذين تفرَّقوا واختلفوا قبلَنا فهَلَكوا [٨].

وذكر أنه أمَر المسلمين بالاجتماع في الدِّين ونهاهم عن التفرُّق فيه [٩].

ويزيده وضوحًا ما وردت به السُّنَّة من العجب

---

[٨] لمَّا بقوا على اختلافهم، هلكوا و تناحروا فيما بينهم وتقاتلوا، هذا شأن أهل الاختلاف، أما شأن أهل الاجتماع فهو القوة وزوال الحقد من قلوبهم.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ولا يرضي الناس ولا ينهي النزاع إلا الرجوعُ إلى كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ.

[٩] قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] أي: لايصير كل واحدٍ له دينٌ؛ لأن الدين واحدٌ ليس فيه تفرق.

العُجاب في ذلك [١٠].

ثم صار الأمر إلى أنَّ الافتراق في أصول الدِّين وفروعِه هو العلم والفقه في الدِّين [١١].

---

[١٠] نعم ثبت عن الرسول ﷺ من الأحاديث مايحثُّ على الاجتماع وينهىٰ عن التفرق والاختلاف.

مثل حديث: «فإنه من يَعِش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين» الحديث[١].

[١١] صار الأمر مع الأسف عند المتأخرين أن الاختلاف في الأصول والفروع هو الفقه، مع أن الواجب العكس، أن الاجتماع هو الفقه في دين الله، هم يقولون: إن التفرق وإعطاء الحرية للناس وعدم الحَجْر عليهم هذا هو الفقه، ونحن نقول: الفقه هو الاجتماع على كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ.

وبعضهم يقول: هذا من سَعة الإسلام أنه إذا حرم علينا أحد شيئاً نجد من يفتي بِحلِّه، اتخذوا الناس هم المشرِّعين، فعلى رأي هؤلاء إذا قال فلانٌ: هذا حلالٌ، صار حلالاً لنا

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٣) و(٤٨) والحاكم ١/ ٩٧ من حديث العِرباض بن سارية.

وصار الأمر بالاجتماع لا يقوله إلا زنديقٌ أو مجنونٌ [١٢].

ولو كان حراماً في كتاب الله أو سُنة رسوله. فنقول: نرجع إلى كتاب الله، فمن شهد له بالحق أخذنا به، ومن شهد عليه بالخطأ تركناه، هذا هو الواجب.

[١٢] الذي يأمر بالاجتماع وترك الخلاف يقولون عنه: هذا خارجٌ على الأمة، هذا زنديقٌ؛ لأنه يلغي أقوال العلماء، فنحن لانلغي أقوال العلماء، إنما نعرضها على كتاب الله، نحن لم نكلَّف باتباع الناس، إنما أُمرنا باتباع القرآن والسُّنة، هذا هو الحق، ما أُمرنا باتباع فلانٍ وفلانٍ، والله تعالى لم يَكِلنا إلى آرائنا واجتهاداتنا، بل أنزل علينا كتابه وأرسل إلينا رسوله، وإذا رجعنا إلى كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ زال الشقاق وزال الاختلاف واجتمعت الكلمة.

أتدرون أنه إلى عهدٍ قريبٍ كان في المسجد الحرام أربعة محاريب، كل أصحاب مذهبٍ يصلُّون جماعةً وحدهم مع أهل مذهبهم بجوار الكعبة، حتى قيَّض الله مَنْ جمعهم على إمامٍ واحدٍ وزال ـ ولله الحمد ـ هذا المظهر السيئ، هذا كله من اتباع المذاهب واتباع الآراء، حتى

الأصل الثالث: أنَّ من تمام الاجتماع السمعَ والطاعةَ لمَن تأمَّر علينا ولو كان عبدًا حبشيًا [١٣].

الصلاة فرَّقوها، صار الحنفي لايصلي وراء الحنبلي، والحنبلي لا يصلي وراء الشافعي، ولا يصلون في وقتٍ واحدٍ، هذا يصلي في أول الوقت وهذا في آخره؛ لأن فلانًا يرى تأخير الصلاة، وفلاناً يرى تقديمها، يريدون أن يرضوا جميع الناس.

وهذا وجدناه في بعض البلاد الأخرى باقياً إلى الآن، حتى الجمعة لا يصلونها في وقتٍ واحدٍ، بعضهم لا يصليها إلا عند العصر؛ لأن فلانًا قال كذا وكذا، وإذا أراد أحدهم أن يصلي مبكراً ذهب يصلي مع فلانٍ، وإذا أراد أحدهم أن يتأخر صلى مع فلانٍ، ولكن عندنا ـ ولله الحمد ـ في هذه البلاد في ظل هذه الدعوة المباركة عادوا في المسجد الحرام إلى ما كان عليه السلف الصالح يصلون جميعًا في وقتٍ واحدٍ وخلف إمامٍ واحدٍ.

[١٣] **الأصل الثالث**: طاعة ولي الأمر المسلم؛ لأنه لا يتم هذا الاجتماع إلا بطاعة ولي الأمر، فلا اجتماع إلا بإمامٍ،

فبيَّن النبي ﷺ هذا بيانًا شائعًا ذائعًا بكلِّ وجهٍ من أنواع البيان شرعًا وقدرًا [١٤].

ولا إمامة إلا بسمعٍ وطاعةٍ، فوليُّ الأمر المسلم جعله الله رحمةً للمسلمين لإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة المظلوم من الظالم، وحفظ الأمن.

هذا من رحمة الله ـ عز وجل ـ والصحابة لما توفي الرسول ﷺ لم يدفنوه حتى بايعوا إمامهم؛ لأنهم يخشون من الاختلاف ومن الفتنة، لأنهم يعرفون أنه لايصلح أن يعيشوا ولا ليلةً واحدةً بدون إمام؛ لأن هذا من ضروريات الدين.

ولا يمكن أن يكون هذا إلا بالسمع والطاعة لوليِّ الأمر، ولهذا يقول جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] بعد طاعة الله وطاعة رسوله لا بدَّ من طاعة أولي الأمر، وقوله: ﴿مِنكُمۡۖ﴾ أي: من المسلمين، دل على أنه يُشترط في ولي الأمر أن يكون مسلمًا.

[١٤] حيث قال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد، فإنه من يَعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين

(ثم صار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر مَنْ يدَّعي العلمَ فكيف العمل به؟) [١٥].

المهديين»[١] هذا الأصل الثالث السمع والطاعة: «اسمعوا وأطيعوا وإن تأمَّر عليكم عبدٌ»[٢] فلا يمكن أن تحصل جماعةٌ للمسلمين إلا بولي أمرٍ مسلم ولو لم يكن ذا نسب عربي بل لو كان مملوكاً.

[١٥] صار هذا الأصل لا يُعرف عند كثيرٍ ممن يدعي العلم، فيجهلون مسألة السمع والطاعة وما لها من فضلٍ وما لها من أهميةٍ، فكيف بالعوام وهم أشد جهلاً في هذا؟ فصار الشجاع الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عندهم والذي لا تأخذه في الله لومة لائم، عندهم هو الذي يخرج على إمام المسلمين، ويخلع يد الطاعة، وينادي بالثورة على الحكام المسلمين بمجرد حصول خطأ منهم، أو معصية لا تصل إلى حد الكفر. وصار حديث المجالس والندوات والمحاضرات في تتبع عثرات الولاة وتفخيمها والنفخ فيها،

(١) تقدم تخريجه في الصفحة ٣٢.

(٢) صحيح البخاري (٧١٤٢)، وسنن ابن ماجه (٢٨٦٠)، ومسند أحمد (١١٧١٦).

الأصل الرابع: بيانُ العلم والعلماء والفقه والفقهاء [١٦].

حتى يؤول الأمر إلى تفرُّق الكلمة، وتنفير الرعية من طاعة ولي الأمر حتى يختلَّ الأمن وتُسفك الدماء، ويؤول الأمر إلى فساد أشد من الفساد الذي يحصل من الصبر على طاعة ولي الأمر الفاسق والظالم الذي عندهم لم يصدر منه كفر بواح عندهم عليه من الله سلطان.

[١٦] هذا أصلٌ عظيمٌ، وهو بيان المراد بالعلم؟ وهو أن العلم هو العلم الشرعي المبني على كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، هذا هو العلم النافع، أما علوم الدنيا من الحِرف والصناعات والطب وغير ذلك، هذه لا يطلق عليها العلم بدون قيد، فإذا قيل: العلم، والذي فيه الفضل، فإن المراد به العلم الشرعي، أما علم الحِرف والصناعات والمهن فهذه علومٌ مباحةٌ ولا يطلق عليها اسم العلم بدون قيدٍ، إنما يقال: علم الهندسة، وعلم الطب، لكن للأسف أصبح الآن في عُرف الناس إذا قيل: العلم، فإنه يراد به العلم الحديث، ويقولون إذا سمعوا شيئًا من القرآن: هذا يشهد له العلم الحديث، وإذا جاء حديثٌ قالوا: هذا يشهد له العلم.

وبيانُ مَنْ تشبَّه بهم وليس منهم [١٧].

صار العلم الآن يطلق على علم الحِرف والصناعات والطب وغير ذلك، مع أنه قد يكون جهلاً؛ لأنه قد يعتريه شيءٌ من الخطأ الكثير؛ لأنه مجهودٌ بشريٌ، خلافَ العلم الشرعي فإنه من الله، فهو ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] وهم علماء الشرع الذين يعرفون الله ـ عز وجل ـ أما علماء الهندسة والصناعة والاختراع والطب، فهؤلاء قد يكونون يجهلون حق الله ـ جل وعلا ـ ولا يعرفون الله، وإن عرفوه فمعرفتهم قاصرةٌ، لكن الذين يعرفون الله هم علماء الشرع قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ لأنهم يعرفون الله بأسمائه وصفاته، ويعرفون حقه ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا لايحصل بعلم الطب وعلم الهندسة، وإنما قد يحصل به توحيد الربوبية فقط، أما توحيد الألوهية فهذا إنما يحصل بعلم الشرع.

[١٧] المقصود بيان من تشبَّه بأهل العلم وليس هو من أهل العلم، إنما يحاكي أهل العلم ويتشبَّه بهم وهو

وقد بيَّن الله تعالى هذا الأصلَ في أول سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله قبل ذِكْر إبراهيمَ عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٢] [١٨].

لايملك رصيداً من العلم، وهذا ضرره عظيم على نفسه وعلى الأمة؛ لأنه يقول على الله بغير علم، ويُضل الناس بغير علم، قال تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ وقد قيل: (يفسد الدنيا أربعةٌ: نصف فقيه، ونصف نحوي، ونصف طبيب، ونصف متكلم، هذا يفسد البلدان، وهذا يفسد اللسان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد الأديان).

[١٨] الله ـ جل وعلا ـ في سورة البقرة أنزل آياتٍ كثيرةً في بني إسرائيل لتذكيرهم بنعمة الله عليهم، وأمرَهم باتباع محمدٍ ﷺ الذي يعرفون نبوته ورسالته في كتبهم، وبشرت به أنبياؤهم، بدأها من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] وختمها بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا

ويزيده وضوحًا ما صرَّحت به السُّنَّة في هذا من الكلام الكثير البيِّن الواضح للعامِّي البليد [١٩].

﴿يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] ثم ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤].

كل هذه الآيات ما بين الآية الأولى والآية الأخيرة، آياتٌ كثيرةٌ كلها في بني إسرائيل لتذكيرهم بنعمة الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأن الواجب عليهم أن يؤمنوا برسول الله محمدٍ ﷺ.

وبنو إسرائيل هم أولاد يعقوب، فإسرائيل هو يعقوب؛ لأنهم من ذريته وهم اثنا عشر سِبطًا، كل ابنٍ من أبنائه صار له ذريةٌ، وكل ذريةٍ يسمون السِّبط بمثابة القبائل في العرب، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

[١٩] نعم جاءت الأحاديث التي فيها من الحثِّ على تعلم العلم والترغيب فيه، وبيان ما هو العلم النافع وما هو العلم الذي لا ينفع، الشيء الكثير، وإذا راجعت كتاب **(جامع بيان العلم وفضله)** لابن عبد البر أو غيره، عرفت هذا.

ثم صار هذا أغربَ الأشياء وصار العلم والفقه هو البدعَ والضلالاتِ [٢٠].

وخِيارُ ما عندهم لَبْسُ الحق بالباطل [٢١] وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدَحه

---

[٢٠] صار العلم والفقه عند بعض المتأخرين هو البدع والضلالات؛ لأنهم تركوا العلم الصحيح المبني على كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، وصار العلم عندهم: قال فلانٌ وقال فلانٌ، وحكاياتٌ؛ كقولهم: إن القبر الفلاني ينفع من كذا، وإن البقعة الفلانية رأى فيها فلانٌ في المنام كذا، هذا علم هؤلاء، أو يبحثون عن الأحاديث الموضوعة والمقبورة التي قبرها أهل العلم، و بينوا أنها مكذوبةٌ، فتجد المخرفين يجعلونها صحيحةً ويزينون لها أسانيد، ويرممونها ويقولون: هذه أحاديث صحيحةٌ. ويتركون الأحاديث الصحيحة الواردة في البخاري ومسلمٍ والسنن الأربع والمسانيد المعتبرة، يتركونها لأنها ليست في صالحهم.

[٢١] يجب أن يميز الحق من الباطل ويفصل بينهما، أما إذا خلط بينهما فهذا هو التلبيس والغش والتدليس على الناس.

لا يتفوَّه به إلا زنديقٌ أو مجنونٌ [٢٢].

وصار مَنْ أنكره وعاداه وصنَّف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيهَ العالِمَ [٢٣].

---

[٢٢] لأنه يخالف ما هم عليه، فالعلم الذي أثنى الله عليه وعلى أهله ومدحه صار عندهم جهلاً، ومن تفوه به أي تكلم به فهو مجنونٌ؛ لأنهم يقولون: إن العلم الذي فرضه الله يغير ما عليه الناس!! ويغير دين آبائنا وأجدادنا!!

[٢٣] من صنَّف في التحذير من العلم النافع، ومدح العلم المذموم ونشره في الناس يقولون عنه: هذا هو الفقيه، هذا هو العالم، أما من نشر العلم الصحيح يقولون عنه: هذا لا يصلح، وهذا جاهلٌ، وهذا يريد أن يفرق الناس، إنا نريد التجميع لا نريد التفريق، أي: التجميع ولو على الباطل، ولانريد التفريق الذي فيه تمييز الحق من الباطل، وتمييز الطيب من الخبيث، وهذا محال، فإنه لا يحصل الاجتماع على الباطل، وإنما يحصل الاجتماع على الحق، والشاعر يقول:

إذا ما الجرح رَمَّ على فسادٍ

تبيَّن فيه إهمال الطبيبِ

الأصل الخامس: بيانُ الله سبحانه لأولياء الله، وتفريقُه بينهم وبين المتشبِّهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفُجَّار [٢٤].

---

[٢٤] نعم هذا أصلٌ عظيمٌ، وهو التفريق بين أولياء الله وأولياء الشيطان؛ لأن أهل الباطل صاروا يسمون أولياء الشيطان أولياء الله، حتى إن هذا الأمر التبس على الناس؛ ولذلك صنف شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كتابًا نافعًا مفيدًا سماه: (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

ثم بينهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] هؤلاء هم أولياء الله، جمعوا بين الإيمان وبين التقوى، بين العلم النافع والعمل الصالح، هؤلاء هم أولياء الله، ليس أولياء الله من خرج على شرع الله وغيَّر دين الله، ودعا إلى عبادة القبور والأضرحة، هذا ولي الشيطان، وليس الولي هو الساحر والكاهن والخرافي الذي يُظهر للناس مخاريقَ سحرية، ويقول:

ويكفي في هذا آيةٌ في آل عمرانَ [٣١] هي قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [٢٥].

وآيةٌ في المائدة [٥٤] وهي قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

هذه كراماتٌ، وهي في الحقيقة مخاريق شيطانيةٌ.

[٢٥] محبة الله هي أعظم أنواع العبادة وعلامة محبة الله اتباع الرسول ﷺ، فالذي لا يتبع الرسول ليس وليًا لله، ولا يحب الله، وهؤلاء المخرفون يقولون: لا يكون وليًا لله إلا إذا خرج عن طاعة الرسول ﷺ، فهم عندهم الولاية في الخروج عن سُنة الرسول ﷺ والاعتماد على الخرافات والبدع، هذه هي الولاية عندهم،، هم يقولون: نحن نعبد الله لأننا نحبه، لا نعبده خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته، وإنما نعبده لأننا نحبه، فيقال لهم: تحبونه على طريقة من؟ هل تحبونه على طريقة الرسول ﷺ، أو على طريقة غيره؟ إنه لا يحب الله إلا من اتبع الرسول ﷺ، هذا هو الفاصل بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان.

وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [٢٦].

وآيةٌ في يونسَ [٦٢ ـ ٦٣] وهي قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [٢٧].

---

[٢٦] هذه صفات أولياء الله، أنهم يحبون الله ويحبهم الله ويكونون ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني يحبون المؤمنين، وفيهم ولاءٌ للمؤمنين، وفيهم بغض وبراءةٌ من المشركين ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] هذه أربع صفات هي صفات أولياء الله، وأما الذين يأمرون بعبادة غير الله يدعون مَنْ في القبور والأموات والأضرحة، ويسمون خوارق الشيطان كراماتٍ من الله، فهذه صفات أعداء الله.

[٢٧] فأنت تأخذ من هذه الآيات الثلاث صفة أولياء الله، الأولى في سورة آل عمران، والآية الثانية في سورة المائدة، والثالثة في سورة يونس، فيها صفات أولياء الله،

ثم صار الأمر عند أكثر مَنْ يدَّعي العلمَ، وأنه من هُداة الخلق وحفَّاظ الشرع، إلى أنَّ أولياء الله لا بد فيهم من ترك اتِّباع الرُّسل، ومَنْ تَبِعهم فليس منهم [٢٨].

من اتصف بها فهو وليٌ لله، ومن اتصف بضدها فهو وليٌ للشيطان..

[٢٨] إذا خرج عن الشرع، يقال عندهم: هذا عارفٌ وصل إلى الله ليس بحاجةٍ إلى اتباع الرسول، يأخذ عن الله مباشرةً، يقولون: أنتم تأخذون دينكم عن ميتٍ عن ميتٍ ـ يعني بالأسانيد ـ ونحن نأخذ ديننا عن الحي الذي لا يموت، يزعمون أنهم يأخذون عن الله مباشرةً.

ومَنْ يأخذ عن الرُّسل فليس من الأولياء عندهم، فلا يكون وليًا عندهم إلا من خرج عن طاعة الرسول ﷺ.

ولا يصير الولي الآن في عرف كثيرٍ من المتأخرين إلا من بُني على قبره قبةٌ أو مسجدٌ، أما المدفون الذي دفنه على السُّنة الذي لم يوضع على قبره شيءٌ، فهو عندهم ليس بوليٍّ ولو كان من أفضل الناس.

الأصل السادس: ردُّ الشُّبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسُّنَّة، واتِّباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي أن القرآن والسُّنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلَق [٢٩].

ثم أيضًا عندهم الولي له زيٌ خاصٌ، بأن يلبس عمامةً ويلبس ثوبًا خاصًا، يقول ابن القيم رحمه الله: ليس لأولياء الله علامةٌ يتميزون بها، بل يكونون كسائر الناس ما يُعرفون، والرسول ﷺ يقول: «رُبَّ أشعث أغبرَ مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبَرَّه»[١].

هذه صفات أولياء الله أنهم لا يُظهرون أنفسهم، بل يحرصون على الاختفاء؛ لأجل الإخلاص لله عز وجل، إذن من صفات أولياء الله: التواضع، والاختفاء وعدم الظهور.

[٢٩] هذا هو الأصل الأخير وهو مهمٌ جدًا،وهو أنهم يقولون: إنَّا لا نعرف معاني الكتاب والسُّنة، ولا يمكن أن نعرفها، لا يعرفها إلا العلماء الكبار، فيقال لهم: القرآن

---

(١) سنن الترمذي (٣٨٥٤).

والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافًا لعلها لا توجد تامَّةً في أبي بكرٍ وعمرَ [٣٠].

فيه أشياء واضحةٌ يعرفها العامي ويعرفها المتعلم، تقوم بها الحجة على الخلق، وفيه أشياء لا يعرفها إلا العلماء، وفيه أشياء لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

نعم يوجد في القرآن والسُّنة أمور لا يعرفها إلا المجتهد المطلَق، لكن توجد أشياء كثيرةٌ يعرفها العوام، ويعرفها المتعلم الذي حاز على قدرٍ يسيرٍ من العلم، مثل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومثل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ [الإسراء: ٣٢]، ومثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣].

ومثل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

هذه أمورٌ واضحةٌ يعرفها العامي إذا سمعها.

[٣٠] يضعون شروطًا للمجتهد المطلق قد لا توجد تامةً

. . . .

فيمن هم من أفضل الناس مثل أبي بكرٍ وعمرَ، وهذه الشروط وضعوها من عند أنفسهم.

يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] هذا عامٌ للمسلمين.

كلٌ يعرف من القرآن ما يسَّر الله له، فالعامي يحصل على ما يستطيع، والمتعلم يحصل على ما يستطيع، والراسخ في العلم يحصل على ما يستطيع. ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] كل وادٍ يأخذ من السيل قدره، كذلك العلم أنزله الله، وكل قلبٍ يأخذ منه بقدرٍ، قلب العامي وقلب المتعلم وقلب العالم وقلب الراسخ في العلم، كل واحدٍ يأخذ بقدره وبقدر ما أعطاه الله من الفهم، أما أنه لا يفهم شيئاً من القرآن إلا المجتهد المطلق، فهذا كلام غير صحيح.

ويقولون: محاولة فهم القرآن من التكليف بما لا يستطاع، والشروط التي ذكرها العلماء وقالوا لابدَّ أن تتوفر في المفتي يريدون بها: المجتهد المطلق. ولا يريدون أنها لابد أن تتوفر في كل مَنْ يريد أن يتدبر القرآن ويستفيد منه، ثم هي

ومَنْ طلب الهدى منهما فهو إما زنديقٌ وإما مجنونٌ؛ لأجل صعوبة فهمها، فسبحانَ اللهِ وبحمده! كم بيَّن الله سبحانه شرعاً وقدراً، خلقاً وأمراً، في ردِّ هذه الشبهة الملعونة من وجوهٍ شتَّى، بلغت إلى حدِّ الضروريات العامة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧ ـ ١١] [٣١].

شروط لاستنباط الأحكام الغامضة الخفية، وليست شرطاً في فهم الأمور الواضحة مثل التوحيد والشرك والواجبات الظاهرة والمحرمات الظاهرة.

[٣١] هذه الآيات في المعرضين عن تدبر كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وفي آخرها الذي مَنَّ الله عليه وهو ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [يس: ١١] فهذا مَثلٌ للفريقين.

والحمد لله ربِّ العالمينَ، وصلى الله على نبينا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين [٣٢].

---

[٣٢] ختم الرسالة بمثل ما بدأها به بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله وهذا من محاسن التأليف والتعليم وذلك بالثناء على الله أولاً وآخراً. والصلاة والسلام على رسوله معلم الخير والداعي إلى الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه. ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه وتمسك بسُنته إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

الأسئلة :

- **أثابكم الله فضيلة الشيخ، ما رأيكم فيمن يقول: إن المقصود بأُولي الأمر الذين ذُكروا في الآية هم العلماء وليسوا الأمراء؟**

هذا غلطٌ، لأن الآية شاملةٌ تشمل العلماء والأمراء، هذا هو الصحيح، أنها في الأمراء وفي العلماء، كلهم يقال لهم: أولي الأمر.

- **أحسن الله إليكم، هل الذين يذهبون للكُهَّان والعرَّافين يكفرون كفرًا أكبر، ويعامَلون معاملة المرتدين؟**

نحن نقول ما قاله الرسول ﷺ «من أتى عرافًا أو كاهنًا ـ فصدَّقه فيما يقول ـ فقد كفر بما أُنزل على محمدٍ»[1].

- **أثابكم الله، سؤالٌ يقول: ما ردكم على هذا التعبير الذي يدرَّس في المدارس: «أن المادة لا تفنى**

(١) سنن الترمذي (١٣٥)، وسنن أبي داود (٣٩٠٤)، وسنن ابن ماجه (٦٣٩)، ومسند أحمد (٩٠٣٥)، وسنن الدارمي (١١٣٦).

ولا تُستحدث من العدم، مع أن الله بديع السماوات والأرض»؟.

هذا كلام أهل الطبيعة، الذين يقولون بالطبيعة ولا يقرُّون بالخالق، والحق أن كل شيءٍ يوجد من عدمٍ ويفنى بعد وجوده إلا الله سبحانه وتعالى، فإنه لابداية له ولانهاية: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

- **فضيلة الشيخ، هناك بعض الإخوة ينتسبون إلى جماعة التبليغ، ويدعوننا كثيرًا للخروج معهم، ويستدلون على كونهم على الحق بكثرة من يهتدون على أيديهم من الكفار وغيرهم في أنحاء العالم، فكيف نرد عليهم؟**

نرد عليهم، بأن نقول: من الذي اهتدى على أيديهم في التوحيد؟ هل واحدٌ من الكفار أو من المبتدعة أو من القبوريين اهتدى على يد جماعة التبليغ وترك الشرك، وتاب إلى الله من الشرك، وعرف التوحيد أو لا؟ إنما هم يتوِّبون الناس من الذنوب، لكن الشرك لا يتعرضون له قطُّ ولا يحذِّرون منه، ولذلك تكثر في بلادهم عبادة الأضرحة والقبور ولا يتعرضون لها، فما معنى هذا؟! وأي دعوةٍ

هذه؟! ثم إنهم يتوِّبون الناس من المعاصي ويُدخلونهم في البدع التي يسيرون عليها في منهجهم المعروف.

- **أثابكم الله، ما حكم صلاة التسبيح؟**

لم تثبت عن النبي ﷺ، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ»[١]، وما دامت لم تثبت، فلا يجوز العمل بها، وأيضًا فيها غرابةٌ من ناحية صفتها، فالنبي ﷺ نهى عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وهي فيها قراءةٌ للقرآن في الركوع والسجود، وفيها صفاتٌ مخالفةٌ للصلوات المشروعة، مما يدل على أنها ليس لها أصلٌ.

فالذي يريد الخير فهو موجود في الصلوات المشروعة، صلِّ يا أخي صلاة الضحى، صلِّ صلاة الليل، والوتر، والرواتب مع الفرائض، الباب مفتوحٌ.

وصلىٰ الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(١) صحيح البخاري (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم (١٧١٨)، وسنن أبي داود (٤٦٠٦)، وسنن ابن ماجه (١٤)، ومسند أحمد (٢٣٩٢٩).

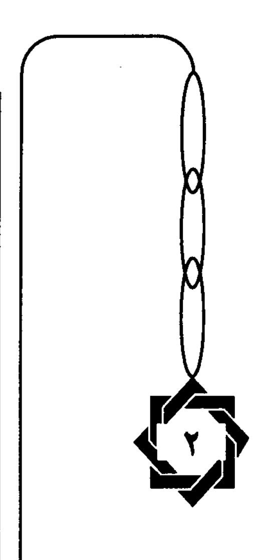

الرسالة الثانية

ستة مواضع من السيرة

سلسلة شرح الرسائل

٢ ـ شرح رسالة : ستة مواضع من السيرة

للإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم

فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعفا عنه آمين:

تأمَّل رحمكَ الله ستةَ مواضع من السيرة، وافْهَمها فَهماً حسناً [١].

---

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ رحمه الله: (تأمل رحمك الله ستة مواضع من السيرة، وافهمها فهماً حسناً) السيرة: المراد بها سيرةُ الرسول ﷺ، وهي الطريقة التي كان يسير عليها الرسول ﷺ منذ بعثته إلى أن توفاه الله عز وجل في العبادة، وفي المعاملات، وفي الدعوة إلى الله عز وجل، وفي الجهاد، والهجرة، وفي التعليم، فكل أفعاله وأقواله وتصرفاته ﷺ هي سيرته عليه الصلاة والسلام، وهذا أمر مهم أن المسلم

. . . .

يدرس سيرةَ الرسول ﷺ من أجل أن يقتدي به؛ لأن الله جل وعلا قد جعله قدوة لنا، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] فهو قدوتنا عليه الصلاة والسلام، فلندرس سيرته من أجل أن نقتدي به في ذلك، وهذا هو المطلوب من دراسة السيرة والتفقه فيها، ليس المقصود أن السيرة تُقرأ في مناسبة مبتدَعة مثل مناسبة المولد، فإن هذه القراءة لا تسمن ولا تغني من جوع؛ لأنها ليست للتفقه فيها، وإنما هي للتبرك جرياً على العادة فقط، فلا تفيد شيئاً؛ لأن تخصيصها بوقت معين ثم تطوى، هذا الأمر لا ينفع ولا يفيد، السيرة مطلوبٌ دراستُها دائماً، ولا نقصد بالدراسة مجرد أننا نقرأها من أولها إلى آخرها ونقول: قرأنا السيرة، لا لابد أن نتفقه فيها ونقتدي بالرسول ﷺ في أفعاله وأقواله، هذا هو المقصود.

وقد كتب الإمام ابن القيم رحمه الله كتاباً عظيماً في فقه السيرة وهو: (زاد المعاد في هدي خير العباد) و كتب بعض المعاصرين كتابات منها ما هو صحيح، ومنها ما هو سيء، ومنهم من انحرف وجاء بالشركيات، وحث على

لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه، ودين المشركين لتتركه [٢].

التبرك بالآثار، وجعل هذا هو المقصود من قراءة السيرة، ولكن هذا لا عبرة به؛ لأن كلًّا ينفق مما عنده، الذي عنده شيء جيد ينفق شيئاً جيداً، والذي عنده شيء رديء ينفق رديئاً، والحمد لله، نسأل الله أن يهدينا وإياكم، ويهدي هؤلاء إلى سواء السبيل، وأن يردهم إلى الحق، ونحن لا نتندر بهم؛ لئلا يصيبنا ما أصابهم، ولكن نسأل الله العافية، نسأل الله أن يهديهم وأن يردهم إلى الصواب.

فالمقصود من دراسة سيرة الرسول ﷺ هو الاعتبار والعمل، والاقتداء بالرسول ﷺ، وأخذ الأحكام منها، هذا هو المطلوب؛ لأن حياته ﷺ كلها خير وكلها علم وكلها عمل صالح، كلها جهاد وكلها دعوة وكلها تعليم. حياته ﷺ فائضة بالخير العظيم من جميع النواحي، كلها عبادة. فعلينا أن نعتني بسيرته ﷺ. والشيخ أخذ منها ستة مواضع مهمة والبقية موجودة في سيرته ﷺ، لكن هذه المواضع تتعلق بالعقيدة.

[٢] هذا المقصود من دراسة السيرة، أنك تفهم دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، تفهم التوحيد لتتبعه، وتفهم

. . . .

الشرك من أجل أن تجتنبه، فلا يكفي أن الإنسان يعرف الحق فقط بل لا بد أن يعرف الحق ويعرف الباطل، يعرف الحق من أجل أن يعمل به، ويعرف الباطل من أجل أن يتجنبه؛ لأنه إذا لم يعرف الباطل وقع فيه وهو لا يدري. فأنت عندما تسير في طريق وأنت لا تعرف هذا الطريق، وفيه حُفر وفيه مهالك، ربما تهلك وأنت لا تدري، تقع في الحفر وأنت ما دريت، لكنك إذا درست الطريق، فعرفت ما فيه من المسالك، وما فيه من الأخطار، فإنك تكون على بينة، تتجنب المهالك التي في الطريق. هذا في الأمور الحسية، كذلك في الأمور العقدية من باب أولى، فلا بد أن تعرف الباطل، تعرف الشرك وما هي أنواعه وما هي أسبابه، وما هي الوسائل التي توصل إليه حتى تتجنبها. يقول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقِّيه

ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه الصحابي الجليل يقول: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أسأله

فإن أكثر من يدعي الدين ويدعي أنه من الموحدين لا يفهم السنة كما ينبغي [٣].

عن الشر مخافة أن أقع فيه(١). فلابد من معرفة الخير ومعرفة الشر، والبعض اليوم يقول: تعرف الحق، وليس من الضروري أن تعرف ما يضاده. وهذا باطل لأنك إذا لم تعرف الباطل يظل خافياً فتضل عن الحق، لاسيما ودعاة السوء ودعاة الضلال على استعداد لإضلال الناس.

[٣] المشركون يتقربون إلى الله بالشرك يظنون أنه خير؛ لأنهم لا يعرفون الشرك، فصاروا يتقربون به إلى الله!! فهم يذبحون للأولياء والصالحين، ويتبركون بقبورهم ويستغيثون بهم، ويقولون: نحن نعلم أنهم ليس لهم من الأمر شيء، وأنهم لا ينفعون ولا يضرون، لكن هم صالحون نريد منهم أن يتوسطوا لنا عند الله سبحانه كما قال الله عن أسلافهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ هم يعترفون أنهم لا يضرونهم ولا ينفعونهم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] اتخذوهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) و(٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧) (٥١)، وأحمد (٢٣٢٨٢)، وابن ماجه (٣٩٧٩).

. . . .

شفعاء فقط، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧] لم يتعلموا، فهم يحسبون أن هذا خير.

وهذا هو واقع غالب الناس اليوم، الكثير من المنتسبين إلى الإسلام هذا واقعهم، يتقربون إلى الله بالشرك، مثل ما تقرب المشركون الأولون، يذبحون للقبور وينذرون لها، ويطوفون بها ويتبركون بها، ويقولون: ما عَبَدْنا غير الله، لكن هؤلاء رجال صالحون، ونحن قصدنا أنهم يتوسطون لنا عند الله فقط. والله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ما أرادوا الشرك ولا قصدوه، وإنما ظنوا أنهم يؤدون عبادة وقربة إلى الله سبحانه، يقربونهم إلى الله زلفى، انظر كيف يأتي الشيطان إلى بني آدم، وكيف يأتي شياطين الإنس إلى بني آدم ويزينون هذه الأمور، نقول لهم: أنتم ما تعبدون أصناماً، أنتم تتوسطون بالناس الصالحين بينكم وبين الله. والله ـ جل وعلا ـ اعتبر هذا شركاً فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ جعله عبادة ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا

الموضع الأول: قصة نزول الوحي، وفيها أن أول آية أرسله الله بها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٧] [٤].

يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾ نزه نفسه عن ذلك فقال: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] فسماه شركاً. وهم لا يسمونه شركاً، يسمونه طلب الشفاعة، فيجب التنبه لهذا.

أنت درستَ في العقيدة أن الشرك حرام وأنه أكبر الكبائر وأنه لا يُغفر، لكنَّ فهم الشرك أين هو؟ لابد أن تعرف من أعمال الناس وتطبيقاتهم ما هو شرك وما هو توحيد.

هم يقولون: هذا من التوسُّل بالأولياء والصالحين، وهذا هو التوحيد، وهذا يحبه الله، وأن هؤلاء عباده، وأنهم صالحون، والله يحب هذا. فيتقربون إلى الله بهؤلاء، يسمونه الدين ويسمونه التوحيد، يسمون الشرك توحيداً لجهلهم وعمى بصائرهم.

[٤] **الموضع الأول**: قصة نزول الوحي أي بدء الوحي على الرسول ﷺ. كان ﷺ قبل البعثة مخالفاً لما عليه المشركون، لم يعبد الأصنام، وكان مخالفاً لما عليه قومه،

. . . .

فكان يذهب إلى غار جبل حراء، وهو غار في أعلى الجبل مواجِهٌ للكعبة، فكان يجلس فيه الأيام والأشهر يعبد الله عز وجل ويعتزل عن الناس، يعبد الله عز وجل على دين إبراهيم، على الحنيفية دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، جاءه ملك وهو في الغار، فقال له: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ» لأنه ما كان يقرأ عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] كان أمِّياً عليه الصلاة والسلام لا يقرأ ولا يكتب. والملك يقول له: اقرأ. وهو يقول: «لست بقارئ» يعني: لا أُحسن القراءة. ثم يضمه ضمة شديدة، ثم يرسله ويقول له: اقرأ. فيقول: «ما أنا بقارئ»، ثم يضمه ضمة شديدة ثم يرسله ويقول له: اقرأ. فيقول: «ما أنا بقارئ» أي: ما أُحسن القراءة. ثم في النهاية قال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥] فحفظها النبي ﷺ، وهذا أول ما نزل عليه من الوحي، وصار بذلك نبيًّا نبأه الله باقرأ.

ثم ذهب إلى خديجة رضي الله تعالى عنها أم المؤمنين،

. . . .

وذكر لها ما حصل له، وكان خائفاً ترعد فرائصه مما رأى من هول الموقف ومجيء الملك إليه في هذا المكان، وقال لها: «لقد خَشيتُ على نفسي» فقالت: كلا والله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتَقري الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتُكسب المُعدم ـ أو المعدوم ـ استدلت بصفاته ﷺ الطيبة على أن الله لا يوقع به ما يخشاه (لا يُخزيك الله أبداً)[1]؛ لأن صفاته صفات حميدة، وهذا من فِقهها رضي الله تعالى عنها، فهي أول من طمأن الرسول ﷺ وناصره وآنسه من هذه الوحشة، وهذا موقف عظيم منها ثم قال: «دَثِّروني» أي: غَطّوني، وغطته، وبينما هو كذلك جاءه الملك فقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ فصار بذلك رسولاً؛ لأنه بهذا أُمر بالتَّبليغ، وفي الأول لم يؤمر بالتبليغ، قيل له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ لم يؤمر بالتبليغ، صار نبياً بذلك، ثم جاءته الرسالة وهي أنه أُمر بالتبليغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٣) و(٣٣٩٢) و(٤٩٥٣) و(٤٩٥٥) و(٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة، يعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا [٥]، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون شيئاً من العبادة يتقربون بها إلى الله مثل الحج والعمرة، والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك [٦].

الرجز: الأصنام، هذا محل الشاهد: وهجرها تركها والابتعاد عنها ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ لابد من الصبر؛ لأن المهمة ثقيلة جداً وطويلة وتحتاج إلى صبر، هذا أول ما بعث الله به رسوله ﷺ، بالنهي عن الشرك، أول شيء أمره بأن ينهى عن الشرك ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾، ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ أنذر عماذا؟ أنذر الناس عن الشرك وعبادة الأصنام أنذرهم عنها. أول شيء أنه أُمر بالإنذار وأُمر بهجر الأصنام وتركها، مما يدل على خطورة الشرك.

[٥] هؤلاء أهل الجاهلية كانوا يمارسون القبائح الزنا والربا والكبائر.

[٦] ومع هذا عندهم بقايا من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ كانوا يحجون ويعتمرون، وكانوا يتصدقون على

وأجلّها عندهم الشرك، فهو أجلّ ما يتقربون به إلى الله عندهم، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] [٧].

المحتاجين، هذه الأفعال طيبة لكن ليس معها توحيد. والعمل وإن كان عملاً طيباً، إذا لم يكن معه توحيد فإنه لا يفيد صاحبه.

ويعملون أعمالاً سيئة إلى جانب هذه الأعمال الطيبة، يعملون أعمالاً سيئة أعظمها الشرك، يفعلون الزنا ويأكلون الربا ويأكلون الميسر، وهذه كبائر، لكن أعظمها الشرك، من عبادة الأصنام وغيرها. ويتقربون بها إلى الله، يتقربون بهذا الشرك إلى الله من جهلهم، يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] انظر كيف يفعل الجهل بأصحابه، يجعل الحق باطلاً والباطل حقاً، يجعلون الشرك توحيداً وتقرباً إلى الله عز وجل. وهذا يعطيك وجوب الاهتمام بأمر العقيدة وأمر التوحيد والفقه في ذلك.

[٧] اعترفوا أنهم يعبدونهم حيث قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾ لكن يقولون: ما قصدنا بهذه العبادة إلا أنهم يقربونا إلى الله،

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] [٨].

ويظنون أن هذا عمل طيب، لأنه تعظيم لله وإجلال لله، حيث إنهم يقربوننا إليه لأننا لا نصل إليه إلا بعبادتهم، فهم يقربونا إلى الله لأنهم صالحون، وهم يعنون الملائكة، ويعنون الأنبياء مثل عيسى عليه السلام، يتخذونهم وسائط بينهم وبين الله ليقربوهم إلى الله زلفى.

[٨] كيف اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، وهم يتقربون بالصالحين، بعيسى وبعزير، وبالملائكة؟ نعم اتخذوا الشياطين؛ لأن هؤلاء الصالحين لا يرضون بذلك، ولم يأمروهم بذلك، وإنما الذي أمرهم بهذا الشياطين، هي التي أمرتهم بعبادة المسيح وعبادة الملائكة وعزير، وغيرهم من الأنبياء والصالحين، فهم يعبدون الشياطين في الحقيقة حيث أطاعوهم في عبادة هؤلاء ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، يحسبون أن هذا هو الهدى، وأنه طريق خير وطريق صلاح، ولهذا يقول جَلَّ وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن

فأول ما أمره الله به الإنذار عنه، قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما [٩].

نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٧ ـ ١٨] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ نزهوا الله سبحانه وتعالى أن يُعبد غيره معه ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١] فالملائكة تبرؤوا منهم وأخبروا أنهم ما أمروهم بهذا، وإنما الذي أمرهم بهذا هم الشياطين من الجن والإنس، فصارت عبادتهم للشياطين الذين أمروهم. فبرأ الله عباده الصالحين من أن يأمروهم بذلك. ومع هذا يحسبون أنهم مهتدون، فدل على أنه ليس العبرة أن يكون الإنسان حسن النية، أو كونه ما قصد الشر، ليس العبرة بهذا، العبرة بالاتباع للرسل ومن سار على نهجهم وحسنُ النية مع قبح الفعل لا ينفع، فلم يكن هذا عذراً لهم؛ لأن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لإنكار ذلك.

[٩] أول ما أُمر الرسول ﷺ بالإنذار عن الشرك حيث قال الله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] وذلك قبل أن يؤمر

وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بني آدم [١٠].

بالإنذار عن الزنا وشرب الخمر وأكل الربا، إنما هذه نُهي عنها فيما بعد، ولكن أول ما أُمر به ترك الشرك. لم يقل: حذرهم من الكبائر ومن الزنا ومن الربا ومن الخبائث التي كانوا يعملونها، بل أول ما أمره بالنهي عن الشرك.

وأول ما أُمروا به التوحيد قبل أن يؤمروا بالصلاة والزكاة والصيام والحج؛ لأن التوحيد هو الأساس، ولا فائدة في الصلاة والحج والصيام والأعمال الصالحة مع عدم وجود التوحيد.

[١٠] كانوا في الجاهلية متشتتين في عباداتهم ومعبوداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، والنبي ﷺ لم يُفرق بينهم، بل نهاهم جميعاً وقاتلهم جميعاً، لم يُفرق بين من عبد الملائكة والصالحين ومن عبد الأصنام؛ لأن الكل سواء؛ لأنه لافرق بين من يعبد صنماً، ومن يعبد ولياً أو عبداً صالحاً.

ويقولون: ما نريد منهم إلا شفاعتهم [١١].

ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسله الله بها، فإن أحكمت هذه المسألة فيا بُشراك [١٢].

خصوصاً إذا عرفت أن ما بعدها أعظم من الصلوات الخمس [١٣].

---

[١١] يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] هذا قصدهم، تقربوا إلى الله بعبادتهم هؤلاء، ما قصدهم الشرك، وإذا كانت الأفعال شركاً وكفراً فلا يُنظر إلى المقاصد هل هي حسنة أو ليست حسنة.

[١٢] أي: إذا فهمت هذه المسألة، أن أول ما يؤمر به التوحيد، وأول ما يُنهى عنه الشرك، فإنه لا فائدة في صلاح باقي الأمور مع فساد العقيدة، هذه مسألة عظيمة ومطلب عظيم يجهله كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم. فإذا فهمته فيا بشراك بالعلم النافع.

[١٣] أي ليس بعد هذه المسألة التي هي التوحيد أعظم من الصلوات الخمس؛ لأنها الركن الثاني من أركان

ولـم تفرض إلا في ليلة الإسراء سنة عشر بعد حصار الشعب وموت أبي طالب، وبعد هجرة الحبشة بسنتين [١٤].

الإسلام بعد الشهادتين، ومع هذا لم يأمر الله عز وجل بالصلوات الخمس إلا قُبيل الهجرة، فالرسول ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يؤمر بالصلاة، وإنما أُمر بالصلاة قُبيل الهجرة في ليلة المعراج، فلماذا تأخر الأمر بالصلاة؟ من أجل أن يتأسس التوحيد؛ لأنهم لو صلوا ما نفعتهم صلاتهم إلا مع التوحيد.

[١٤] إنما فُرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج في السنة العاشرة من البعثة، وقصة الحصار أن الرسول ﷺ كان يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك، وكان المشركون يضايقونه ويضايقون أصحابه، وكان عمه أبو طالب يدافع عنه ويحميه من أذى قومه، سخره الله له مع أنه مشرك، لكن الله ـ جل وعلا ـ سخره لنبيه يحميه ويدافع عنه. فلما مات أبو طالب وماتت زوجة النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها، وهما اللذان يدافعان عنه، تسلط الكفار عليه زيادة، وضيقوا عليه الخناق هو وأصحابه، وكانوا من قبل قد

. . . .

حاصروهم في الشعب، في شعب من شعاب مكة، وقاطعوهم، منعوا عنهم الأرزاق والبضائع، ومنعوا التزوج منهم، حاصروهم في هذا الشعب حتى آلمهم الجوع. وكتبوا بذلك صحيفة وقعوا عليها وعلقوها في الكعبة لمقاطعة محمد ومن معه؛ ولما مات الذي كان يدافع عنه فسنحت لهم الفرصة فاشتد أذاهم له ومن معه ومع هذا ما أُمر بالصلاة من بعثته إلى هذه الفترة؛ لأن المقام مقام تصحيح عقيدة قبل كل شيء.

ولما اشتد أذاهم على الرسول ﷺ وضايقوه، أمر من معه من ضَعَفة الصحابة، ممن ليس لهم من يدافع عنهم، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأن فيها ملكاً وهو النجاشي لا يُظلم أحد عنده، وهو نصراني إذ ذاك، لكن لا يُظلم أحد في أرضه، هذه هي الهجرة الأولى، وفيهم عثمان وفيهم من أكابر الصحابة، وذلك لأجل الفرار بدينهم، وكان هذا سبباً لإسلام النجاشي رحمه الله، حين سمع القرآن وسمع من الصحابة وهداه الله للإسلام فأسلم، وأرسلت قريش إلى النجاشي بهدايا ومغريات، يقولون: هؤلاء مارقون شاردون منا ردهم علينا. فأبى أن يردهم عليهم. فكذب الله ظن

فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة والعداوة البالغة، كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة، رجوت أن تعرف المسألة [١٥].

المشركين وعادت رسلهم خائبين، واستمر النجاشي رحمه الله في حماية المسلمين عنده إلى أن قيض الله الفرج.

[١٥] إذا عرفت هذه المسألة، وهي مسألة أنهم ما عادوا رسول الله ﷺ وضايقوه وحاصروه هو وأصحابه إلا من أجل الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وإلا لو سالمهم وعبد ربه هو ومن يتبعه وتركهم، ما قالوا له شيئاً، بل كانوا سيفرحون بهذا. وهذه دعوة أهل الكفر اليوم يقولون: دعونا نتعايش ودعونا نتهاود، ولا تقولوا شيئاً في ديننا، ونحن لا نقول شيئاً في دينكم، وهم يكذبون لأنهم يحاربون الإسلام، وهم يقولون: أنتم لا تقولوا في ديننا شيئاً ونحن لا نقول في دينكم شيئاً. وهم يحاربون الإسلام على أقصى ما يمكن، ويقتلون المسلمين ويشردونهم وهم يقولون: دعونا نتحاور ونتهاود.

ولو أنه ﷺ ما دعا إلى التوحيد ولانهى عن الشرك، ما ثارت ثائرتهم.

الموضع الثاني: أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك ويأمرهم بضده وهو التوحيد [١٦].

لم يكرهوا ذلك واستحسنوه وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه، إلى أن صرح بسب دينهم وتجهيل علمائهم، فحينئذٍ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة [١٧].

---

[١٦] لو كان يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك عموماً ولم يتعرض لما هم عليه، وهم يقولون: الذي نحن عليه ليس بشرك، الذي نحن عليه تقرب إلى الله بالأولياء والصالحين، ونحن لا نشرك بالله إنما هذا تقرب إلى الله وتوسل إليه. ولو أن الرسول اقتصر على النهي عن الشرك دون تفصيل وبيان، لما اعترضوا عليه؛ لأنهم يرون أنهم غير مشركين.

[١٧] أي: لأنهم يفسرون الذي هم عليه أنه ليس بشرك، لكن عندما تقول لهم: هذه الأضرحة وهذه القبور التي تعبدونها وتنذُرون لها وتذبحون لها، عملكم هذا هو الشرك، عند ذلك تثور ثائرتهم، هذا هو الذي فعله الرسول ﷺ، نهاهم عن عبادة اللات والعُزى ومَناة والأصنام، وقال لهم: لستم على شيء، وهؤلاء الذين يدعونكم إليها هؤلاء علماء

وقالوا: سَفَّهَ أحلامنا وعابَ ديننا وشتم آلهتنا [١٨].

ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالحين [١٩].

لكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون جعلوا ذلك شتماً [٢٠].

ضلال، فحينما قال لهم ذلك ثارت ثائرتهم حمية لدينهم، وهذا هو الذي عليه غالب العالم اليوم.

[١٨] لو أنه ما شتم آلهتهم ولا عاب دينهم ما قالوا له شيئاً، فلو اقتصر على قوله: الشرك قبيح والتوحيد طيب، ولا عاب آلهتهم ولاسب دينهم، لما عارضوه.

[١٩] الرسول ﷺ ما سبَّ الصالحين، وإنما سب عبادةَ غير الله عز وجل، وبين أن أنبياء الله وعبادَه الصالحين والملائكة لا يرضون أن يُعْبَدوا من دون الله.

[٢٠] لما قال: إن عيسى لا ينفع ولا يضر، وإن الملائكة لا تنفع ولا تضر، وإن الصالحين لا ينفعون ولا يضرون، عدُّوا ذلك تنقصاً للصالحين، ويقولون لأهل التوحيد: أنتم لا تبنون على أضرحتهم. وهذا من حقهم علينا. يقولون:

فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ـ ولو وحد الله وترك الشرك ـ إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ..﴾ الآية [٢١].

حقاً علينا إكرامهم والبناء على قبورهم، هذا من حقهم علينا، وهذا من تقديرهم، وعندما نتوسل بهم إلى الله، هذا من تقديرهم وتعظيمهم، وأنتم تقولون: هذا باطل. ويعتبرون هذا شتماً وسباً لهم. هذا الذي يفسرون به أعمالهم، وهذا موجود الآن على ألسنتهم وفي كتبهم.

[٢١] هناك من ينتسبون للدعوة والعلم ولا يرضون بمعاداة الكفار ويقولون: إنما أمرنا بعداوة المحاربين فقط، يقولون: نعاديهم لأنهم حاربونا، لأنهم أخذوا أوطاننا، أما أن نعاديهم من أجل دينهم فلا نعاديهم.

والله ـ جل وعلا ـ قال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]

فإذا فهمتَ هذا فهماً جيداً عرفتَ أن كثيراً من الذين يَدَّعون الدين لا يعرفونها [٢٢].

فلم يقتصر على المحاربين فقط، بل إن الله جعل سبب الكره لهم هو المحادة لله ولرسوله، وأي محادة لله ورسوله أعظم من الكفر، وأعظم من الشرك بالله عز وجل؟ لا تجوز مودة الكفار كلهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ يعني محبوبين ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

[٢٢] هذا صحيح، فإنك لو تسأل كثيراً من العلماء والمتعلمين عن هذه المسألة، مسألة الولاء والبراء، تجدهم لا يعرفونها، يقولون: لا يلزم بُغْضهم، ديننا ما هو دين عداوة، ديننا دين مودة ودين مصالحة ودين كذا، يعتبرون هذا من مدح الدين، فمودة المشركين ـ عندهم ـ لا بأس بها، ويعتبرونها من المصالحة معهم. ونقول: مصالحتهم على أمور السياسة لا مانع منها، لكن مصالحتهم على ترك بعض أمور الدين لا تجوز.

وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة [٢٣].

مع أنه ﷺ أرحم الناس، لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم، كيف وقد أنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] [٢٤].

---

[٢٣] ما سبب ما نال المسلمين في مكة؟ هل لأنهم مسلمون يصلون ويصومون؟ لا . . بل لأنهم أبغضوا الكفار وعادوهم، ونهوا عن الشرك بالله عز وجل، هذا هو السبب، وإلا لو أنهم صاموا وصلوا واشتغلوا بالذكر ولم يتعرضوا لأحد، ما حصل لهم أذى بالضرب والحبس والأسر، ولما احتاجوا إلى الصبر؛ لأن الصبر لايكون إلا على شيء مكروه.

[٢٤] مع رحمته ﷺ بأصحابه ما رخص لأصحابه بالتنازل عن شيء من الدين، ما رخص لهم في هذا مع أنه رءوف رحيم عليه الصلاة والسلام فلو وجد لهم رخصة في ترك إظهار الدين لرخص لهم. بل إن الله أنزل عليه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ لكن إذا جاء الامتحان، إذا أوذي في الله، إذا أوذي بسبب قوله: آمنت بالله، وبسبب توحيده

فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه فكيف بغير ذلك؟ [٢٥].

الموضع الثالث: قصة قراءته ﷺ سورة النجم بحضرتهم، فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ ألقى الشيطان في تلاوته: (تلك الغرانيق العلى، وإن

فإنه يتراجع عن دينه، يجعل فتنة الناس كعذاب الله، يفر من أذية الناس في الدنيا إلى عذاب الله في الآخرة، مثل الذي استجار بالنار من الرمضاء، وإذا لم يصبر على أذى الناس، كيف يصبر على النار يوم القيامة؟ يلزم العكس أنه يفتدي أذى النار بتحمل أذى الناس، والصبر على دينه، أما أنه يفتدي بدينه من أذى الناس، وينسى النار التي أمامه، فهذا كالمستجير من الرمضاء بالنار، كما قال الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار

[٢٥] إذا كان هذا الوعيد في حق من وافق الكفار بلسانه من غير إكراه ليعيش معهم، فكيف بمن وافقهم بفعله من أجل مصالحه الدنيوية؟

شفاعتهن لتُرتجى) فظنوا أن رسول الله ﷺ قالها، ففرحوا بذلك وقالوا كلاماً معناه: هذا الذي نريد، ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده. فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه، فشاع الخبر أنهم صافَوه، وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا، فلما أنكر ذلك رسول الله ﷺ عادوا إلى شر مما كانوا عليه. ولما قالوا له: إنك قلت ذلك. خاف من الله خوفاً عظيماً، حتى أنزل الله عليه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآية [الحج: ٥٢].

فمَن فهم هذه القصة، ثم شك بعدها في دين النبي ﷺ، ولم يُفرق بينه وبين دين المشركين، فأبعده الله، خصوصاً إن عرف أن قولهم: (تلك الغرانيق) يراد بها الملائكة [٢٦].

---

[٢٦] هذه القصة التي ذكرها الشيخ من قصص السيرة النبوية تسمى قصة الغرانيق، وهي كما ذكر أنه ﷺ لما قرأ

. . . .

سورة النجم في مكة وعنده المشركون والمسلمون، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] فهي أكبر أصنام العرب، اللات: في الطائف. وكما سبق بيان هذا أنه رجل صالح كان يُطعم الحجيج، فلما مات عكفوا على قبره يتبركون به على طريقة التبرك بالصالحين، كما كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، ويطلبون منه الشفاعة عند الله؛ لأنه رجل صالح. والعزى: هي صنم لأهل مكة قريباً من عرفات، وهو عبارة عن شجرات عليها بنية يتبركون بها، وأما مناة: فهي صنم بين مكة والمدينة قريباً من المدينة، عند المشلل قريباً من جبل قديد، وكانت للأوس والخزرج، وكانوا يُحرِمون من عندها بالحج تعظيماً لها. والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ أي: أخبروني عن هذه الأصنام، هل نفعتكم وهل ضرتكم؟ بل إنها لم تدفع عن نفسها؛ لأن الرسول ﷺ لما فتح مكة هدمها، ولو كانت آلهة لمنعت عن نفسها ودافعت عن نفسها. فالله يوبخ المشركين الذين تعلقوا بهذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

. . . .

فلما قرأ الرسول ﷺ هذه الآية ألقى الشيطان ـ أي صوت الشيطان ـ بكلمات دَسَّها في تلاوة النبي ﷺ وهي: (تلك الغرانيق العُلى وإن شفاعتهن لتُرتجى) هذا كلام من الشيطان، دسه في تلاوة الرسول ﷺ، والرسول لم يعلم بذلك، ولكن المشركين سمعوه ففرحوا وقالوا: ذكر آلهتنا بخير، وهذا الذي نريده، نحن لا نقصد منها إلا الشفاعة، وإلا نحن نعلم أنها لا تنفع ولا تضر، ولكن نحن نريد شفاعتها، ومحمد قال: وإن شفاعتهن لتُرتجى، فلما بلغ ﷺ آخر السورة وهو قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢] سجد فسجد معه المسلمون، وسجد المشركون فرحاً بهذه الكلمات الشيطانية، حتى إن الوليد بن المغيرة لماكان كبير السن لم يستطع أن يسجد على الأرض، فأخذ حفنة من تراب فسجد عليها.

فشاع الخبر أن الرسول ﷺ تصالح مع المشركين، وأنه أقرهم على عبادة اللات والعزى ومناة من أجل طلب الشفاعة، ووصل الخبر إلى المهاجرين في أرض الحبشة من المسلمين، أن الرسول تصالح هو والمشركون أو أن المشركين أسلموا، فعادوا من الحبشة، فلما وصلوا إلى

. . . .

مكة وجدوا هذا الخبر غير صحيح، وأن المشركين ما زالوا على عداوتهم للرسول ﷺ وتضييقهم على المسلمين.

فلما أخبروا النبي ﷺ أنه قرأ هذه الكلمات: (تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لتُرتجى) حزن حزناً شديداً، وأصابه هم شديد، حتى أنزل الله قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٥] فأبطل الله ما ألقاه الشيطان في تلاوة الرسول ﷺ ونسخه، يعني أزاله، وأحكم أي ثبت آياته التي أنزلها في ذم الأصنام وعبادتها.

هذا حاصل القصة، وقد وردت هذه القصة عن ابن

. . . .

عباس متصلة بسند، ووردت عن بعض التابعين بأسانيد مرسلة، وبعضُ العلماء أنكرها ومنهم ابن كثير، وقال: إنها لم ترد إلا من طرق مرسلة ومنقطعة تكلموا فيها. ولكن الحافظ ابن حجر في فتح الباري له رأي غير رأي هؤلاء، يقول: القصة جاءت من طرق مختلفة متباينة المخارج، فهي تتعاضد ويقوي بعضها بعضاً. هذا معنى كلام الحافظ ابن حجر.

مقصود الشيخ من إيرادها أن المشركين يقولون: نحن لا نعبد هذه الأصنام على اعتقادِ أنها تخلق وترزق وتنفع وتضر، وإنما نعبدها طلباً للشفاعة بأن تشفع لنا عند الله سبحانه وتعالى. فالله أبطل هذا وأقر القرآنَ على ما هو عليه من إبطال عبادتها، وأبطل ما ألقاه الشيطان في تلاوة النبي ﷺ، وسلى نبيه وأذهب عنه الحزن بأن هذا يجري مع من قبلك من الرسل فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج: ٥٢] يعني: تلا، فالتمني هنا معناه التلاوة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨] أي: تلاوة فقط ولا يعرفون المعاني، وكما في قول الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

. . . .

تـمـنـى كـتـاب الله أول لـيـلـه
وآخـره لاقـى حـمـام الـمـقـادر

وهي الليلة التي قُتل فيها رضي الله عنه، كان أول الليل يتهجد ويتلو القرآن، ثم هجم عليه الخوارج وقتلوه رضي الله عنه في آخر الليل.

الشاهد من البيت قوله: تمنى كتاب الله، أي: تلاه، فالتمني يراد به التلاوة، فيكون المعنى (إذا تمنى): أي تلا الكتاب. ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: يعني في تلاوته، كلمات يظنها السامع من كلام الرسول وهي من كلام الشيطان، ولكن الله له بالمرصاد يُبطل كلام الشيطان ويُحكم آياته سبحانه وتعالى؛ لأن الله حافِظ دينه وحافظ كتابه.

فالشاهد منها أن المشركين فرحوا لما ظنوا أن الرسول ﷺ وافقهم بالكلام الذي ظنوه من الرسول وهو من الشيطان، أنَّ طلب الشفاعة من الأصنام لا بأس به، ففرحوا بذلك، ثم إن الله ـ جل وعلا ـ أبطل ذلك، وبيَّن أنه لا تجوز عبادة غير الله عز وجل لأي قصد كان، طلبِ

. . . .

الشفاعة أو غيره، العبادة حق لله عز وجل، ولا يجوز عبادة غير الله لأي قصد كان، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] الله سمى هذا شركاً وأبطله، وما قال الرسول هذه الكلمات التي في القصة وإنما قالها الشيطان، وهذا من باب الابتلاء والامتحان لأجل أن يتميز الخبيث من الطيب، ثم إن الله يزيل هذه الفتنة ويبقي الحق. هذا قد جرى مع الرسل قبل محمد ﷺ، وجرى عليه مثلُ ما جرى على الرسل من قبله.

فهذا فيه دليل على بطلان اعتقاد عَبَدة القبور وغيرهم، الذين يعبدون القبور ويقولون: نحن نعلم أنهم لا يضرون ولا ينفعون، ولا يخلقون ولا يرزقون، وإنما هم صالحون نتوسط بهم إلى الله ونطلب منهم الشفاعة. وإننا لو أقررناهم على ذلك ما صار بيننا وبينهم خلاف، وإنما اشتدت العداوة بيننا وبينهم لما أنكرنا عليهم هذا واعتبرناه شركاً، كما أنكره الرسول ﷺ، وكما أنكره القرآن في آيات. هذا هو مقصود الشيخ من إيراد هذه القصة، فهو

الموضع الرابع: قصة أبي طالب، فمن فهمها حسناً وتأمل إقراره بالتوحيد، وحث الناس عليه، وتسفيه عقول المشركين، ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك. ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله ﷺ إلى أن مات [٢٧].

يقول إنهم يفرحون لو وافقناهم على هذا الكلام، وقلنا: ما دام أنكم ما تقصدون منها أنها تخلق وترزق وتنفع وتضر، وإنما قصدكم منها الشفاعة فهذا أمر لا بأس به.

[٢٧] أبو طالب عم الرسول ﷺ، لما توفي والد الرسول ﷺ عبد الله بن عبد المطلب، والرسول ﷺ حمل في بطن أمه، ثم لما ولد ﷺ كفله جده عبد المطلب؛ لأنه أصبح يتيماً فكفله جده عبد المطلب، ثم لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى به إلى ابنه أبي طالب، وأبو طالب قام بالواجب وحضن النبي ﷺ ورباه وأكرمه. ثم لما بعثه الله رسولاً إلى العالمين قام معه يحميه ويدافع عنه، ولقي الأذى من قريش في سبيل حماية دعوة الرسول ﷺ والدفاع عنه، وعرَّض نفسه للخطر والمجاعة، حتى إنهم حاصروهم في الشعب سنين وقاطعوهم، وقطعوا عنهم المؤن، وقطعوا

. . . .

عنهم الاتصال، ومعهم أبو طالب وصبر على هذا، وكان يمدح دين الرسول ﷺ ويقول:

ولقد علمت بأن دين محمد

من خير أديان البرية ديناً

لولا الملامة أو حذار مسبة

لرأيتني سمحاً بذاك مبيناً

وفي لاميته المشهورة الطويلة التي أوردها ابن كثير في البداية والنهاية اعترف بأن محمداً رسول الله، وأنه صادق في رسالته، وأنه لم يمنعه من اتباعه إلا خشيةُ مسبةِ دين آبائه الذين كانوا على عبادة الأصنام، فأخذته الحمية الجاهلية في امتناعه من اتباع محمد ﷺ لئلا يجر على أشياخه المسبة. ثم لما حضرته الوفاة جاءه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعنده آخر من بني مخزوم.

فالرسول ﷺ قال له: «يا عم قل: لا إلا الله، كلمة أحاجَّ لك بها عند الله» فقال له أبو جهل ومن معه: أتترك دين عبد المطلب؟ فأعاد عليه الرسول، فأعادا: أتترك دين

. . . .

عبد المطلب؟ ثم كان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب. ومات على ذلك. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾[1] [التوبة: ١١٣] وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

فدل هذا على أن مدح الإسلام ومدح الرسول، واعتقاد أن الإسلام حق وأن الرسول حق من غير اتباع للرسول، أن ذلك لا ينفع، وأنه لابد من اتباع الرسول ﷺ؛ لأن هذا لو كان ينفع لنفع أبا طالب، فإن الإقرار بأن الإسلام حق وأن الرسول صادق، مع المدافعة عن الإسلام وحماية الإسلام، كل هذا لا ينفع إلا مع الاتباع، وإلا فإن النبي ﷺ يقول: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[2]. فلا

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠) و(٣٨٨٤) و(٤٦٧٥) و(٤٧٧٢) و(٥٦٥٧) و(٦٦٨١)، ومسلم (٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٢) و(٤٢٠٤) و(٦٦٠٦)، ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة.

. . . .

بد من الاتباع، فلا تنفع المعاونة والمدح والحماية للإسلام وغير ذلك، ولا القرابة من الرسول بدون اتباع له، فهذا عم الرسول ﷺ لما مات على الكفر لم ينفعه الرسول ﷺ بإخراجه من النار رغم المحاولة، ومنعه الله من الاستغفار له. وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وقال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ﴾ لم يكتف بقوله: ﴿آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ بل قال: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فهذا يدل على أن مدح الإسلام والثناء على الإسلام والمسلمين، وأنهم على حق وأن الكفار على

ثم صبره على المشقة العظيمة والعداوة البالغة، لكن لما لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول لم يصر مسلماً، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم [٢٨].

باطل، وأن الشرك باطل، كلٌّ هذا لا يكفي وأنه لابد من الاتباع، فمن كان يمدح الإسلام ويثني عليه ويمجده، وهو لم يترك الشرك بل يدعو غير الله، يدعو الأصنام والأضرحة والقبور، فإن هذه الأمور لا تنفعه ولا تفيده شيئاً، لو كانت تنفع وتفيد لأفادت أبا طالب عم الرسول ﷺ. فهذه مسألة دقيقة ينبغي التنبه لها.

[٢٨] هذا الذي منعه وهو النخوة والعصبية الجاهلية، منعته من الدخول في الإسلام ومات على الكفر، مع ما له من المواقف العظيمة في نصرة الحق والدفاع عنه، ومع ذلك لما لم يتبع الرسول ﷺ لم تنفعه هذه الأمور، إلا ما صح أنه خُفف عنه من عذاب النار، حيث أصبح في ضحضاح من نار بسبب شفاعة النبي ﷺ له[١]، وفي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٨) و(٦٥٧٢)، ومسلم (٢٠٩) (٣٥٧) من حديث العباس رضي الله عنه.

ثم مع قرابته ونصرته استغفرله رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية [٢٩].

رواية: «في أخمص قَدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه، ما يَرى أن أحداً من النار أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً»(١) لم ينفعه ذلك في إخراجه من النار، فلا يتعارض هذا مع قوله تعالى عن الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] إنما نفعه في التخفيف عنه من العذاب فقط.

[٢٩] نستفيد من هذا أنه لا يكفي الإقرار بأن الإسلام حق، ولا يكفي المدافعة عن الإسلام، ولا يكفي ذم الشرك والمشركين، كل هذا لا يكفي إلا باتباع الرسول ﷺ، فمن لم يتبع الرسول ﷺ فإن هذه الأمور لا تنفعه. وبناء على ذلك، فإن هؤلاء الذين يُصلون ويَصومون

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٦١) و(٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣) من حديث النعمان بن بشير وليس فيه ذكر لأبي طالب وإنما هو في ذكر أهون أهل النار عذاباً.

والذي يبين هذا أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء بحب الدين وبحب المسلمين، مع أنه لم ينصر الدين بيد ولا مال ولاله من الأعذار مثل ما لأبي طالب، وفهم الواقع من أكثر من يدعي الدين، تبين له الهدى من الضلال، وعرف سوء الإفهام، والله المستعان [٣٠].

ويشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وقد يجاهدون الكفار، ولكنهم لا يتركون الشرك حول الأضرحة والقبور، ويستغيثون بالأموات، ويذبحون للقبور، فهؤلاء لا ينفعهم ذلك؛ لأن الشرك لا ينفع معه عمل كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] ما دام إنه لم يتبرأ من المشركين، ولم يقاطعهم في الدين، فإنه لا ينفعه ذلك.

[٣٠] يقصد بذلك العلماء الذين في وقته، الذين عرفوا الحق وعرفوا التوحيد وعرفوا بطلان الشرك، لكن مع هذا لم يقوموا بالدعوة إلى الله والأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك والإنكار على المشركين، لم يقوموا بذلك، هؤلاء

الموضع الخامس: قصة الهِجرة، وفيها من الفوائد والعِبَر ما لا يعرفه أكثر من قرأها [٣١].

مثل أبي طالب؛ لأنهم ما بذلوا الخير لهذا الدين، ولا دعوا إلى الله عز وجل، ولا بينوا للناس، بل كتموا العلم الذي عندهم وسكتوا عن الشرك وعاشوا مع المشركين.

[٣١] الهجرة: في اللغة مأخوذة من الهجر وهو الترك، قال تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] أي: اتركه، فالهجر هو الترك، ومنه هجر أهل المعاصي، وهجر المشركين يعني تركهم وعدم محبتهم، قال ﷺ: «المهاجرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهىٰ اللهُ عنه»(١) أي: ترك ما نهى الله عنه.

أما الهجرة في الشرع: فهي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام لأجل الدين، هذه هي الهجرة الشرعية، والهجرة فيها فضل عظيم، وهي عديلة الإيمان والجهاد في سبيل الله، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢] فهذا مما يدل على عِظَمِ الهجرة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٨١)، والنسائي في الكبرى (٨٧٠١)، وابن حبان (٢٣٠)، وأحمد (٦٥١٥).

. . . .

والهجرة باقيةٌ إلى أن تقوم الساعة، فالذي لا يقدر على إظهار دينه في بلاد المشركين يجب عليه أن يهاجر إلى بلد يقدر فيه على إظهاره، فإن لم يهاجر وهو يقدر على الهجرة، فإن الله سبحانه وتعالى أنزل فيه القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] هذا وعيد شديد مع أنهم مسلمون، لكن لما تركوا الهجرة بعذر محبة الأموال والأولاد والوطن، وقدَّموا محبة هذه الأشياء على الهجرة، فالله ـ جل وعلا ـ توعَّدهم بهذا الوعيد، وسبب نزول الآية: أنه لما كانت غزوة بدر كان مع المشركين أناس من المسلمين بقوا في مكة ولم يهاجروا شحاً بوطنهم وبلادهم وأموالهم وأولادهم، وهم يقدرون على الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا بهم معهم بغير اختيارهم، وألزموهم بالخروج معهم، ثم لما دارت المعركة قُتل أناس منهم وهم في صف الكفار، ولم يعلم المسلمون بهم، فلما علم المسلمون بهم ندموا وقالوا: قتلنا إخواننا. فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾

. . . .

يعني: ماالوطن الذي أنتم فيه، أي وطن؟ ما قالوا: كيف حالكم في الإيمان؟ أو ما يقينكم؟ ما سألوهم عن هذا، وإنما سألوهم عن المكان، (فيم كنتم؟) ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أجبرونا على الخروج بسبب ضعفنا ولا نقدر أن نمتنع ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ كان لكم مندوحة عن هذا، لو هاجرتم مثل ما هاجر إخوانكم لسلمتم من هذه الواقعة ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ هذا وعيد ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الذين لا يقدرون على الهجرة، وبقوا في بلاد الشرك لأنهم ما يقدرون على الهجرة ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ١٠٠] هذا في شأن هؤلاء، وهذه قصة عجيبة وعظيمة: أن هؤلاء مع إسلامهم وصدقهم في الإسلام، لما تركوا الهجرة من غير عذر حصل عليهم هذا الوعيد وهذا التوبيخ من الملائكة لما جاءت تقبض أرواحهم، فدل على أنه لا يجوز للموحد

ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها، وهي أن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يهاجرمن غير شك في الدين وتزيين دين المشركين، ولكن محبة للأهل والمال والوطن، فلما خرجوا إلى بدر خرجوا مع المشركين كارهين، فقتل بعضهم بالرمي، والرامي لا يعرفه. فلما سمع الصحابة أن من القتلى فلاناً وفلاناً شق عليهم وقالوا: قتلنا إخواننا. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى

المسلم أن يتساهل بهذا الأمر وأن يكون مع المشركين ولو من غير محبة لهم، لكن محبة لماله أو ولده أو بيته أو غير ذلك ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ يعني انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ هذا وعيد شديد ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] فلا يجوز تقديم محبة الأموال والأولاد على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعلى الهجرة والجهاد في سبيل الله عز وجل. والكثيرُ من الناس يقرؤون هذه الآيات ولا يتدبرونها.

قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ١٠٠].

فمن تأمل قصتهم وتأمل قول الصحابة: قتلنا إخواننا، علم أنه لو بلغهم عنهم كلام في الدين أو كلام في تزيين دين المشركين لم يقولوا: قتلنا إخواننا [٣٢].

فإن الله تعالى قد بيَّن لهم وهم بمكة قبل الهجرة أن ذلك كفرٌ بعد الإيمان، بقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله تعالى فيهم، فإن الملائكة تقول: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ ولم يقولوا: كيف تصديقكم؟ ﴿قَالُوا۟ كُنَّا

---

[٣٢] فالصحابةُ ما قالوا: (إخواننا) إلا لأنهم مستقيمون على الدين، ما ذُكر عنهم أنهم مالوا مع المشركين أو مدحوا المشركين، بل يبغضون دين المشركين وكانوا على التوحيد، وكانوا مخلصين لله وليس فيهم نفاق، لكن تركوا شيئاً واحداً وهو الهجرة من غير عذر. فلامهم الله على ذلك.

مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ [النساء: ٩٧] [٣٣].

ولم يقولوا: كذبتم. مثل ما يقول الله والملائكة للمجاهد الذي يقول: جاهدت في سبيلك حتى قُتلت. فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل قاتلت ليقال: جريء، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق: كذبت، بل تعلمت ليقال: عالم، وتصدقت ليقال: جواد[1] [٣٤].

---

[٣٣] فالملائكة ما سألوهم عن إيمانهم وعقيدتهم؛ لأنهم يعرفون أنهم على عقيدة صحيحة وعلى إيمان صادق، لكن سألوهم عن المكان الذي هم فيه، حيث لا يجوز لهم أن يبقوا فيه وهم يقدرون على الهجرة منه.

[٣٤] الملائكة لم تقل: كذبتم لستم مسلمين ولستم مؤمنين، بل قالوا: فيم كنتم؟ سألوهم عن المكان الذي هم موجودون فيه، موجودون حيث خرجوا مع المشركين ولو كانوا مكرهين؛ لأنهم هم السبب في تسلط الكفار عليهم، ولا يجوز مرافقتهم والخروج معهم حباً للمال

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٣)، والنسائي ٦/ ٢٣.

وأما هؤلاء فلم يُكذبوهم بل أجابوهم بقولهم: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ ويزيد ذلك إيضاحاً للعارف والجاهل الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٩٨] [٣٥].

فهذا أوضح جداً أن هؤلاء خرجوا من الوعيد، فلم يبق شبهة، لكن لمن طلب العلم، بخلاف من لم يطلبه، بل قال الله فيهم: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] [٣٦]. ومن فهم هذا الموضع

وللأهل، ومداراة لكي يبقوا على أموالهم.

[٣٥] يعني لايعذر إلا من ترك الهجرة عاجزاً عنها، فإنه معذور قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ﴾ للخروج ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾ إليه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾ هذا وعد من الله بالعفو عنهم.

[٣٦] نعم اختلاط المسلمين مع الكفار من غير عذر أمر لا يجوز، بل لا بد أن تتميز بلاد المسلمين عن بلاد الكفار، ولا يخالط المسلم المشرك، بل قال ﷺ:

والذي قبله فهم كلام الحسن البَصري، قال: ليس الإيمان بالتحلِّي ولا بالتمنّي ولكن ما وَقَرَ في القلوب وصدقته الأعمال [٣٧].

وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠] [٣٨].

«لا تَتَراءى ناراهما»[١] أي: يَبعد عنه مهما أمكنه ذلك.

[٣٧] فالإيمان هو ما (صدقته الأعمال) ومنها الهجرة، لأنها من الأعمال، و هذا فيه رد على المرجئة الذين يقولون: إنه يكفي الإيمان بالقلب، أو بالقلب واللسان. فلا يكفي الاعتقاد والنطق بل لابد من العمل.

[٣٨] قوله (إليه) أي: إلى الله سبحانه وتعالى، (يصعد الكلم الطيب) من الذِّكر وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل، و كل كلام طيب فإنه يصعد إلى الله جل وعلا، والأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، كل هذا من الكَلم الطيب، والكلام الطيب مع الناس ومع

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤) و(١٦٠٥).

الموضع السادس: قصة الردَّة بعد موت النبي ﷺ، فمن سمعها لا يبقى في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون العلماء، وهي قولهم: هذا هو الشرك، لكن يقولون: لا إله إلا الله، ومن قالها لا يكفر بشيء **[٣٩]**.

الأقارب ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] كل هذا من الكلم الطيب، يصعد إلى الله، لكن لايصعد بنفسه، بل لابد من العمل ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ وفي هذا رد على المرجئة أيضاً.

[٣٩] يقول علماء الضلال: عبادة القبور والذبح لها والنذر لها ليس من الشِّرك، ما دام أنه يقول: لا إله إلا الله، فهذه الأمور لا تضره. هذا تناقض، كيف يقول: لا إله إلا الله ويدعو غير الله؟ إذاً ما معنى لا إله إلا الله؟، لا إله إلا الله ليست مجرد قول يقال باللسان، بل لا بد أن يكون قولاً ومعه عمل؛ لأن لا إله إلا الله كلمة عظيمة لها معنى ولها مقتضى، ومقتضاها أن يُخلص المَرْءُ العبادة لله عز وجل، وأن يترك عبادة غير الله، فالذي يقولها ولم يترك عبادة غير الله لا تنفعه كلمة لا إله إلا الله، كما يقولون،

. . . .

وربما يستدلون بالمتشابه من النصوص، مثل قوله ﷺ في حديث البطاقة التي فيها: لا إله إلا الله، وأنها تثقل بالسيئات، وأن صاحبها يدخل الجنة(١)، هذا حديث عن الرسول ﷺ، لكن يُرد إلى الأحاديث الأخرى التي تقيده، لا يؤخذ طرف ويُترك طرف كما قال الله في أهل الزيغ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فالراسخون يردون المتشابه إلى المحكم. والأحاديث التي ظاهرها: أن لا إله إلا الله تكفي من قالها، تُرد إلى الأحاديث التي فيها أن لا إله إلا الله لابد لها من قيود، مثل قوله صلى الله ﷺ: «مَنْ قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله»(٢) والذي يدعو أصحاب القبور لم يكفر بما يُعبد من دون الله. حتى لو لم يذبح للقبور ولم ينذر لها، بل قال: إن هذا ليس بشرك. هذا لا تنفعه لا إله إلا الله؛ لأنه صحح الشرك وأقره، فهذا ما فهم

(١) حديث البطاقة أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢).

. . . .

معنى لا إله إلا الله. ولهذا يقول (الشياطين المسمون بالعلماء) الذين يأخذون المتشابه ويستدلون به، ويقولون: من قال: لا إله إلا الله، لو فعل ما فعل من الشرك هو من أهل الجنة. والرسول ﷺ يقول: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله» ويقول: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[(١)]. ويقول الله عز وجل: «يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة»[(٢)] قيَّد ذلك بالسلامة من الشرك. وهذه الأحاديث يُرد بعضها إلى بعض؛ لأنها كلها كلام الرسول ﷺ، والآيات تُرد بعضها إلى بعض لأنها كلها كلام الله، وبعضها يُفسر بعضاً ويقيد بعضاً ويوضح بعضاً. أما أن نأخذ طرفاً ونترك طرفاً آخر فهذه طريقة أهل الزَّيغ. وإن قال: أنا أستدل بكلام الرسول. فنقول له: كذبتَ، أنت لم تستدل بكلام الرسول، أنت تستدل بالمتشابه منه، ولم ترده إلى المحكم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤) و(٦٨٦)، ومسلم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس.

وأعظم من ذلك وأكبر تَصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شَعرة ولكن يقولون: لا إله إلا الله[٤٠]، وهم بهذه اللفظة أهل إسلام [٤١].

---

[٤٠] البوادي: هم جمع بادية وهم الأعراب الرحل يقول: هؤلاء الضلال «البوادي» ما معهم من الإسلام شعرة، لا يصلون ولا يصومون ولا يعرفون الإسلام، لكن ما داموا يقولون: لا إله إلا الله فهذا يكفيهم.

[٤١] فالضُّلّالُ يقولون: يكفي أنهم يقولون: لا إله إلا الله، فمجرد قولها يدخلهم في الإسلام. يقولون هذا وهم معترفون أنهم ما معهم من الإسلام شعرة، لا يصلون ولا يصومون ولا يعملون شيئاً من الأعمال الصالحة، فقط هم يقولون: لا إله إلا الله. يا سبحان الله! لا إله إلا الله ليست مجرد كلمة، لو كان هذا هو الإسلام صار كلُّ الناس مسلمين. الرسول ﷺ لما قال لهم: «قولوا كلمةً تَدينُ لكم بها العرب، وتؤدي لكم بها العَجم الجزية» قالوا: خُذ وأبيك ألف كلمة، ما هي؟ قال: «قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾(١) [ص:٥]

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣٤٥، وابن كثير في البداية والنهاية =

وحرَّمَ الإسلامُ مالَهم ودمَهم. مع إقرارهم بأنهم تركوا الإسلام كله [٤٢]. ومع علمهم بإنكارهم

عرفوا أنهم لو قالوا: لا إله إلا الله، تركوا عبادة الأصنام، وهم لا يريدون ذلك. هم يحسبونها كلمة فقط أيَّ كلمة، فلما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله» وهم عرب فُصحاء يعرفون معنى هذه الكلمة، وأنها تلزمهم بترك عبادة الأصنام، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا..﴾ [ص: ٥]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٦].

[٤٢] يقول علماء الضلال: حرم الإسلام دمهم ومالهم ـ يعنون البوادي التي ليس عندها من الإسلام شعرة ـ لأن الرسول ﷺ يقول: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم»(١) لكنهم لا يجيئون بآخر الحديث: «إلا بحقها» أي: لابد من

= ٤/ ٣٠٨ من حديث ابن عباس.

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢٠)، ومالك في الموطأ ١/ ٢٦٩، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي ٥/ ١٤ من حديث أبي هريرة.

البعث، واستهزائهم بمن أقر به [٤٣].

واستهزائهم وتفضيلهم دين آبائهم المخالف لدين النبي ﷺ. ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة أن البدو أسلموا ولو جرى منهم ذلك كله؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله. ولازم قولهم أن اليهود أسلموا لأنهم يقولونها [٤٤] وأيضاً كُفر هؤلاء

العمل؛ لأن حقها العمل.

[٤٣] ويقولون: إذا قال: لا إله إلا الله وهو يُنكر البعث، يصير مسلماً! فهؤلاء مسلمون ما دام أنهم يقولون: لا إله إلا الله ولو أنكروا البعث. ما هذا التناقض والعياذ بالله؟! والذي يقول هذا ليس من العوام، إنهم علماء، علماء في الفقه والنحو والصرف، لكن في العقيدة ما عندهم ولا حبة خردل من العلم الصحيح. عقيدتهم عقيدة المتكلمين، ولا يدرسون التوحيد من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، وإنما يدرسون قواعد المنطق، وعلم الكلام، وعقائد المتكلمين الذين يقولون: يكفي أنك تقر بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، فقط هذا هو التوحيد عندهم.

[٤٤] اليهود يقولون: لا إله إلا الله، لكن لما لم يعملوا

أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة، أعني البوادي المتَّصفين بما ذكرنا.

والذي يُبين ذلك من قصة الردة أن المرتدين افترقوا في ردتهم، فمنهم من كذب النبي ﷺ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان وقالوا: لو كان نبياً ما مات [٤٥]. ومنهم من ثبت على الشهادتين ولكن أقر بنبوة مُسَيلمة [٤٦].

بها صاروا أغلظ الأمم كفراً والعياذ بالله. ومثلهم من اعتقد هذه العقيدة.

[٤٥] المرتدون لا شك في كفرهم، ولم يحصل عند الصحابة خلاف في كُفرهم، وهم صنفان، الصنف الأول: الذين يقولون: (لو كان نبياً ما مات) وكونه مات هذا دليل على أنه غير نبي. فارتدوا عن الإسلام؛ لأنهم كفروا برسالة محمد ﷺ.

[٤٦] الصنف الثاني: من أقر بالشهادتين وأن محمداً رسول الله، لكن أقر بنبوة مسيلمة، قال: إن مسيلمة نبي. فهؤلاء لا تنفعهم شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول

ظناً أن النبي ﷺ أشركه في النبوة [٤٧]؛ لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك [٤٨]، فصدقهم كثير من الناس. ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك [٤٩]. ومن شك في

الله، إذا أقروا بنبوة مسيلمة الكذاب فليسوا مسلمين، وهذا بالإجماع؛ لأنهم جَحدوا ختم النبوة بمحمد ﷺ، حيث يقول جل وعلا: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وصدقوا المتنبئ الكاذب.

[٤٧] لأن مسيلمة الكذاب يقول: إن الرسول أشركني في النبوة، وصدقوه في هذه الكلمة.

[٤٨] وشهد له بعض الشهود أن الرسول أشركه في الأمر، شهادة زور والعياذ بالله. وكذبوا صريح القرآن بختم النبوة بمحمد، وقوله ﷺ: «أنا خاتم النَّبيين لا نبي بعدي»[١]

[٤٩] الذي يقول: إنه يُبعث بعد الرسول نبي يكون كافراً بالإجماع.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) و(٢٩٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وأحمد (٢٢٣٩٥) من حديث ثوبان.

ردتهم فهو كافر [٥٠].

فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كذبوا ورجعوا إلى عبادة الأوثان. وشتموا رسول الله ﷺ، هم ومن أقر بنبوة مُسيلمة في حال واحدة ولو ثبت على الإسلام كله [٥١]. ومنهم من أقر بالشهادتين وصدق طُلَيحة في دعواه النبوة [٥٢].

---

[٥٠] لأنه لم يُكفرِّ المشركين وقال: يمكن أن يكونوا صادقين، وما جزم أنهم على الباطل، بل قال: أنا لا أدري، أنا لا أكفر الناس. نقول: لا.. لابد أن تعرف الحق من الباطل، لابد أن تعرف الكفر من الإيمان وتميز المسلم من الكافر، لابد من هذا، وإلا ما معنى الإسلام؟

[٥١] أي: من لم يكفِّر المشركين فهو مثل من يقر بنبوة مسيلمة الكذاب ولو كان يؤدي الإسلام كله، إذا قال: إن مسيلمة صادق، صار مرتداً عن دين الإسلام. وهذا بالإجماع.

[٥٢] طليحة ممن ادعى النبوة، وصدقه قومه وقاتلوا الصحابة معه، ثم إن الله منَّ على طليحة وعاد إلى

ومنهم من صدق العَنْسي صاحب صنعاء [٥٣]. وكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء، ومنهم من كذب النبي ﷺ ورجع إلى عبادة الأوثان على حال واحدة، ومنهم أنواع أخر [٥٤].

آخرهم الفجاءة السُّلمي، لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين، وطلب من أبي بكر أن يمده، فأعطاه سلاحاً ورواحل، فاستعرض

الإسلام، وتاب إلى الله عز وجل، وقُتل في حروب الفرس مع المسلمين.

[٥٣] الأسود العنسي، في اليمن. قتله عبد الله بن فيروز الديلمي في آخر حياة النبي ﷺ، وأما مسيلمة فإنه قاتله الصحابة في حرب اليمامة بقيادة خالد بن الوليد حتى قتلوه.

[٥٤] فالمرتدون أنواع ومن صدق أحداً منهم، فهو كافر وإن كان يشهد أن لاإله إلا الله، فلا تنفعه لاإله إلا الله بمجرد النطق، وأشد كفراً من هؤلاء من يقول: لاإله إلا الله، ثم يعبد الأولياء والصالحين.

السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم، فجهز أبو بكر جيشاً لقتاله، فلما أحس بالجيش قال لأميرهم: أنت أمير أبي بكر وأنا أميره، فلم أكفر. فقال: إن كنت صادقاً فألقِ السلاح. فألقاه، فبعث به إلى أبي بكر فأمر بتحريقه بالنار وهو حي.

فإذا كان هذا حكم الصحابة في هذا الرجل مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة، فما ظنك بمن لم يُقر من الإسلام بكلمة واحدة إلا أن يقول: لا إله إلا الله، بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ، ومن كتاب الله تعالى؟ ويقولون: هذا دين الحضر وديننا دين آبائنا، ثم يفتون هؤلاء المردة الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله، إذا قالوا: لا إله إلا الله. سبحانك هذا بهتان عظيم [٥٥].

---

[٥٥] الذين يقولون: إن الإسلام دين الحضر، أما نحن فعلى دين آبائنا ما نحن على دين الحضر. ويقول علماء الضلال: هؤلاء مسلمون؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله،

وما أحسن ما قاله واحد من البوادي لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام، قال: أشهد أننا كفار - يعني هو وجميع البوادي - وأشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل الإسلام أنه كافر [٥٦].

تم والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم [٥٧].

وهم يتبرؤون من دين محمد ويقولون: هذا دين الحضر.

[٥٦] هذا أعرابي جاء لدرس الشيخ، ولما عرف الإسلام معرفة صحيحة شهد على نفسه قبل أن يعرف الإسلام وعلى جماعته أنهم كفار، وشهد أن المطوع يعني العالم الذي يقول: إنكم مسلمون، أنه كافر؛ لأنه حكم لهؤلاء الكفار بالإسلام وما أكثر أشباهه.

[٥٧] غفر الله له وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، لقد بيَّن ووضح رحمه الله.

الأسئلة :

- **سؤال: فضيلة الشيخ، ما هي الأمور التي ينبغي أن يُركز عليها طالب العلم، هل يبدأ بكتب العقيدة؟**

الجواب: يبدأ بالأسهل فالأسهل، يبدأ بالمختصرات ويقرأها على المشايخ، ثم يترقى إلى الكتب التي هي أوسع منها، وهكذا. لا يذهب للكتب المطولة من أول الأمر، وإنما يترقى إليها شيئاً فشيئاً، يتدرج إليها شيئاً فشيئاً.

- **سؤال: ما رأيكم في قول من قال: إن من أتى بالشرك والكفر لا يُكفر إلا بعد معرفته بالأمر كله؟**

الجواب: إذا كان مثله يجهل؛ لأنه في بلد منقطع ما بلغه شيء، فإنه يُعذر، أما إذا كان في بلاد المسلمين ويسمع القرآن ويسمع الأحاديث ويسمع كلام أهل العلم، فهذا لا يُعذر بالجهل؛ لأنه قامت عليه الحجة.

- **سؤال: ما حكم السفر إلى بلاد إسلامية لا يؤمر فيها بالمعروف ولا يُنهى عن المنكر، وتباع فيها الخمور**

والأغاني، وفيها التبرج والاختلاط، بغرض النزهة والسياحة؟

الجواب: البلد غير الملتزِم، والتي فيها الفواحش والشرور علانية، لا يجوز للإنسان أن يسافر إليها؛ لأنه يتأثر بما فيها من الشر، ويصيبه ما أصاب أهلها.

- **سؤال: هل يجوز رواية الحديث الضعيف مع عدم بيان حاله لأن الناس لا يفهمون؟**

الجواب: الحديث الضعيف ذكر العلماء له ضوابط:

أولاً: أن لا يُنسب إلى الرسول ﷺ على طريق الجزم، إنما يقال: يُروى عن رسول الله، ورد عن رسول الله كذا، ولا يقال: قال رسول الله ﷺ كذا.

ثانياً: أن لا يُبنى عليه حكم مستقل، وإنما الأحكام تُبنى على الأدلة الصحيحة، فلا يُبنى عليه حكم مستقل من تحليل أو تحريم.

ثالثاً: أن يكون ذكره بمجال الوعظ والتذكير فقط، يُذكر على سبيل الوعظ والتذكير فقط؛ لأن الوعظ والتذكير مطلوبان.

وشرط رابع أيضاً: وهو أن لا يكون ضعيفاً شديد الضعف.

- **سؤال: هل هناك هجرة في عصرنا هذا، وإذا كان فلا بد من مسكن ومأكل ولا يمكن أن يحصل هذا.....**

الجواب: الهجرة باقية، يقول الرسول ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تخرج الشمس من مغربها»[١] الهجرة باقية، فإذا كان لا يقيم دينه في مكان، فإنه يذهب إلى المكان الذي يتمكن فيه من إقامة دينه مع المسلمين، وإذا قُدر أنه ما يقدر على أنه يذهب لبلاد المسلمين، يذهب إلى البلاد التي يتمكن فيها من إقامة دينه ولو كان البلد بلدكفر؛ لأن بعض الشر أهون من بعض. والصحابة هاجروا إلى الحبشة وهم نصارى؛ لأنهم يقدرون على إقامة دينهم هناك، ويسلمون من أذى المشركين. والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وإذا كان هناك بلاد فيها أقلية إسلامية أو مسلمون كثيرون، فإنه يذهب ويصير معهم ولو كانوا في بلاد كفار، إذا لم يتمكن من بلاد المسلمين، فإنه يخفف الشر مهما أمكن.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٧١)، والبزار (١٠٥٤) من حديث عبد الرحمن بن عوف.

- **سؤال: فضيلة الشيخ، بعض الناس عندما يبني بيتاً جديداً يذبح عند عتبة الباب تبركاً ورداً للعين، وهو يجهل أن هذا من الذبح لغير الله الذي هو الشرك، فهل هذا يكفر؟**

الجواب: هذا يؤمر بالتوبة، يقال له: هذا شرك عليك التوبة إلى الله، لأن من فعل الشرك فهو مشرك.

- **سؤال: فضيلة الشيخ هذه امرأة تسأل وتقول: إن الطبيب أخبرها أن الحمل في المستقبل سوف يؤثر على وظائف الكبد، وسوف يؤثر على عظامها، وأخبرها أنها تمتنع عن الحمل ولو في وقت........، فهل يجوز لها ذلك؟**

الجواب: إذا قرر طبيبان ثقتان أن الحمل فيه خطر عليها، فإنها تعمل ما يمنع الحمل، لقوله ﷺ: «لا ضَرَرَ ولا ضِرار»[1] ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فالمهم ثبوت هذا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦٥)، والبيهقي (٦/ ٦٩، وابن ماجه (٢٣٤١)، والدارقطني ٤/ ٢٢٨، والطبراني (١١٨٠٦) من حديث ابن عباس، وله شواهد عن عددٍ من الصحابة.

- **سؤال: هل يجوز الخروج للجهاد دون موافقة الوالدين؟**

الجواب: لا يجوز الخروج للجهاد إلا برضا أبيك وأمك؛ لأن النبي ﷺ جاءه رجل يريد أن يجاهد، فقال له: «أَحَيٌّ والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»[(١)] فلابد من رضا الوالدين.

- **سؤال: هل يُعذر بعض الكفار الآن بالجهل لعدم وصول الإسلام إليهم، وخاصة إذا ولد مولود لأبوين كافرين ولم يعرف شيئاً عن الإسلام؟**

الجواب: الإسلام انتشر الآن وبلغ المشارق والمغارب، خصوصاً بعد تطور وسائل الإعلام، وصار العالم الآن كالبلد الصغير، انتشر الإسلام بوسائل الإعلام، القرآن أصبح يُتلى بأعلى الأصوات في جميع القارات، في الأول الإسلام بلغ بالجهاد في المشارق والمغارب، فلما انقطع الجهاد في هذا الزمان وفر الله وسائل الإعلام هذه، لتقوم الحجة على الخلق؛ لئلا يقول أحد: والله أنا ما دريت ولا سمعت شيئاً.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٤) و(٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩).

- **سؤال: يقول النبي ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.......»[١] الحديث، السؤال: كيف نوفق بين هذا الحديث وبين وجود العديد من الفرق يتعدى الثلاث والسبعين فرقة؟**

الجواب: هذه أصول الفرق، ثم إنها تشعبت وتفرقت فرقاً كثيرة، لكن أصولها ثلاث وسبعون فرقة كما أخبر النبي ﷺ.

- **سؤال: كيف يكون الجهل بالله سبباً للشرك بالله؟**

الجواب: الجهل بالله سبب لكل شر من الشرك وغيره، فلابد من معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته، ومعرفة حقه علينا، وما أوجبه علينا وما حرمه علينا، لابد من معرفة هذا معرفة تامة.

- **سؤال: هل يؤخذ من تعبد النبي ﷺ في الغار العزلة**

(١) أخرجه أحمد (١٢٢٠٨)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٤)، وأبو يعلى (٤١٢٧) من حديث أنس

في هذا الزمن الذي كثر فيه الشرك، وقل الإيمان وطلبُ العلم والتطفل على العلماء، وهل توصون بهذا؟

الجواب: العلماء قسموا العزلة إلى قسمين:

القسم الأول: الإنسان الذي يخالط الناس من أجل الدعوة إلى الله ومن أجل التعلم، هذا لا تجوز له العزلة، بل يجب عليه أن يعلم الخير وأن يدعو إلى الله وأن يخالط الناس من أجل التأثير عليهم ونصيحتهم، فلا يجوز له العزلة.

القسم الثاني: الذي ليس له تأثير ولا له فائدة، إذا خالط الناس بل هو يتضرر، فهذا العزلة خير له؛ لأن اختلاطه بالناس لا يفيده ولا يفيد الناس أيضاً.

- **سؤال: ما رأيكم فيمن يصف مؤلفات الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب في الفقه والعقيدة ويقول: هي فيها تكرار؟**

الجواب: هذا بين أمرين: إما أنه جاهل لم يكن درسها ولا يدري عنها، والواجب عليه قبل أن يحكم على الشيء أن يدرسه أولاً ويعرفه، ولا يحكم عليه وهو يجهل، الأمر الثاني: أن يكون عنده ضلال، وهذه الكتب تنكر عليه

ضلاله، وهذا الظاهر أنه مريض وهو يكره الدواء، لكن نسأل الله له الهداية، ونوصيه بأنه يقرأ هذه الكتب بتمعن ويسأل عن ما أشكل عليه..

والحمد لله رب العالمين

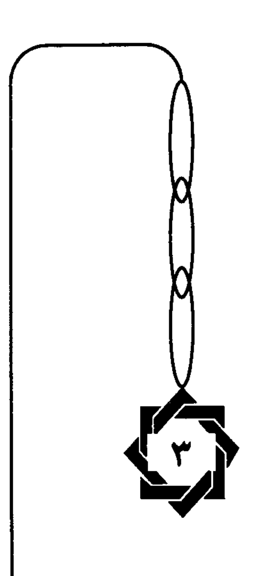

الرسالة
الثالثة

تفسير
كلمة التوحيد

سلسلة شرح الرسائل

٣ - شرح رسالة : تفسير كلمة التوحيد

للإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم

فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى عن معنى (لا إله إلا الله)، فأجاب بقوله: اعلم رحمك الله تعالى أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام [١].

---

[١] بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، وبعد:

كلمة (لا إله إلا الله) كلمة عظيمة خفيفة على اللسان وهي عظيمة في الميزان؛ لأنها في الحقيقة هي مضمون الإسلام، ولكن هذه الكلمة ليست مجرد لفظ بل لها معنى ولها مقتضى، ولها أركان ولها شروط لابد من معرفتها، ولو كان القصد مجرد التلفظ بها صار كُل من يقولها مسلماً؛ لأنه سهل أن يقول: (لا إله إلا الله) ويصير مسلماً ولو لم يعمل شيئاً، فهذه كلمة عظيمة ولكن لها معنى،

. . . .

ولها مقتضى، ولها أركان، ولها شروط لابد من تحقيقها، ولهذا فإنها لا تنفع إلا مع وجود هذه المذكورات.

وهذه الكلمة لها أسماء، منها أنها كلمة الإخلاص؛ لأنها تنفي الشرك بالله عز وجل، وتُثبتُ العبادة لله عز وجل، لذلك سميت كلمة الإخلاص، أي: إخلاص التوحيد و إخلاص العبادة، وتجنب الشرك بالله عز وجل. وتسمى كلمةَ التقوى، كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]، وكلمة التقوى، هي: (لا إله إلا الله) لأنها تقي من قالها مخلصاً لله عز وجل تقيه من النار؛ ولأنها تقتضي أعمال البر؛ لأن التقوى هي أعمال البر والطاعات، هذه الكلمة تقتضي كل أعمال البر والطاعة، فهي كلمة التقوى.

وأيضاً هي العروة الوثقى، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] (يكفر بالطاغوت،

. . . .

ويؤمن بالله) هذا هو معنى (لا إله إلا الله)، أنه يكفر بالطاغوت هذا هو معنى (لا إله)، ويؤمن بالله هذا هو معنى (إلا الله) فمعنى يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله هو مقتضى (لا إله إلا الله) ولذلك سميت العروة الوثقى.

وأيضاً هي كما قال الشيخ: الفارقة بين الكفر والإسلام، فمن قالها عالماً بمعناها، عاملاً بمقتضاها صار مسلماً، ومن أبى أن يقولها، أو قالها ولكن لم يعلم معناها، أو قالها ولم يعمل بمقتضاها، لم يكن مسلماً، حتى يعرف معناها ويعمل بمقتضاها ظاهراً وباطناً.

هذه أسماء لـ (لا إله إلا الله): كلمة الإخلاص، كلمة التقوى، العروة الوثقى، الكلمة الفاصلة بين الكفر والإسلام؛ لأن كثيراً من الناس لا يهتمون بمقتضى هذه الكلمة، مع أنهم يكثرون من النطق بها وذكر الله بها كالصوفية، فلهم أوراد صباحية ومسائية فيها (لا إله إلا الله) آلاف المرات، ولكنهم يدعون غير الله، فهي لا تفيدهم شيئاً؛ لأنهم لم يعملوا بمقتضاها، فهم يقولونها، ويقرؤونها في أورادهم ويكررونها، ولكن يدعون الموتى، ويستغيثون

. . . .

بالمقبورين، ويطيعون مشايخ الطرق الذين يشرِّعون لهم عبادات لم يشرعها الله ولا رسوله، فلا يتلقون التشريع عن الرسول ﷺ، وإنما يتلقونه عن مشايخهم، فهؤلاء يكثرون النطق بـ (لا إله إلا الله) صباحاً ومساءًا ولا يُغني عنهم نطقهم بها شيئاً، ولا يفيدهم شيئا.

ومن الصوفية من لا ينطق بها كاملة، وهؤلاء بزعمهم أنهم صاروا خواص الخواص، لا يقولون: لا إله إلا الله، بل يقولون: الله الله، هذا ذكرهم، يرددون: الله الله الله، مع أنه لابد أن تأتي بجملة مفيدة، أما الله الله، فهو اسم مجرد فهو لايفيد شيئاً، وبعضهم لا يقول لفظ الجلالة بل يقول: هو هو هو، ضمير غائب، وهذا لايفيد شيئاً، لأنه تلاعب بهذه الكلمة، فيجب التنبه لهذه الأمور؛ لأن الشيطان لما علم أن هذه الكلمة هي كلمة الإسلام، وكان عند الناس رغبة في النطق بها والذكر بها، صرفهم عنها بهذه الحيل، وأتى لهم بهذه الوساوس، وقال لهم: قولوا: الله الله، أو قولوا: هو هو، وبعضهم لايتلفظ لا بالله ولا بهو، وإنما يقولها بقلبه فقط، كل هذا تلاعب من الشيطان، فيجب التنبه لهذا.

وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام باقية في عقبه لعلهم يرجعون [٢].

ومن الناس من يغفله الشيطان عن قول: (لا إله إلا الله)، فلا يقولها إلا نادراً، ولا يذكر الله بها إلا قليلاً، ولا يكررها مع أنها ثقيلة في الميزان، كما جاء في (كتاب التوحيد) أنها لو وضعت في كفة، ووضعت السماوات ومن فيها غير الله والأرض ومن فيها في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله، فهي تثقل بمن في السماوات ومن فيها غير الله والأرض وبمن فيها، فهي كلمة عظيمة، ولكن قلَّ من يتنبه لها ويستحضرها، ويعوِّد لسانه على النطق بها وتكرارها، إلا من وفقه الله سبحانه وتعالى.

[٢] وهذه الكلمة (لا إله إلا الله) هي التي عناها إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧] هذا هو معنى (لا إله إلا الله)، ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ هذا معنى النفي (لا إله)، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هذا معنى الإثبات (إلا الله) ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: إبراهيم عليه الصلاة والسلام جعل هذه الكلمة ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾

. . . .

في ذريته، فلا يزال فيهم من يقول: (لا إله إلا الله) لم يتركوها كلهم، ولم يشركوا كلهم، بل فيهم من قالها واستقام عليها، ولو كان عدداً قليلاً أو أفراداً، فلما بُعث محمد ﷺ، بُعث بهذه الكلمة، قال ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله) فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[(١)] فالرسول بُعث بـ (لا إله إلا الله) وهي الكلمة التي جعلها جده إبراهيم عليه الصلاة والسلام باقية في عقبه، وكان محمد ﷺ من عقب إبراهيم، وبعثه الله بها يدعو الناس إليها ويُقاتلهم عليها، فهي كلمة عظيمة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي يرجعون إليها، وببعثة محمد ﷺ رجع إليها الكثير من ذرية إبراهيم، فالرسول ﷺ بُعث بهذه الكلمة والدعوة إليها وتحقيقها والعمل بها، بل إن كل الرسل بعثوا بها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، هذا معنى (لا إله إلا الله)،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢٠)، ومالك في الموطأ ١/ ٢٦٩، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي ٥/ ١٤ من حديث أبي هريرة.

وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها [٣].

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ هذا معنى النفي والإثبات، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ الأنبياء والرسل ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢] كل الرسل بعثوا بـ (لا إله إلا الله)، ولكن إبراهيم عليه الصلاة والسلام جعلها كلمة باقية في عقبه إلى أن تقوم الساعة، ولا يزال في ذرية إبراهيم من يتوارث هذه الكلمة علماً وعملاً وتحقيقاً، وإن أعرض عنها الأكثرون.

[٣] ليس المقصود قول: لاإله إلا الله باللسان فقط من غير فهم لمعناها، لابد أن تتعلم ما معنى (لا إله إلا الله)؟ أما إذا قلتها وأنت لا تعرف معناها، فإنك لا تعتقد ما دلت عليه، فكيف تعتقد شيئاً تجهله، فلابد أن تعرف معناها حتى تعتقده، تعتقد بقلبك ما يلفظ به بلسانك، فلازم أن تتعلم معنى (لا إله إلا الله)، أما مجرد نطق اللسان من غير فهمٍ لمعناها فهذا لا يفيد شيئاً.

أيضاً لا يكفي الاعتقاد بالقلب ونطق اللسان، بل لابد من

. . . .

العمل بمقتضاها، وذلك بإخلاص العبادة لله، وترك عبادة مَن سواه سبحانه وتعالى، (فلا إله إلا الله) كلمة نطق وعلم وعمل، ليست كلمة لفظ فقط، أما المرجئة فهم يقولون: يكفي التلفظ بـ (لا إله إلا الله)، أو يكفي التلفظ بها مع اعتقاد معناها، والعمل ليس بلازم، من قالها ولو لم يعمل شيئاً من لوازمها هو من أهل الجنة، ولو لم يصلِّ، ولم يزكِّ، ولم يحج، ولم يَصُم، ولو فعل الفواحش والكبائر والزنا والسرقة وشرب الخمر، وفعل ما يريد من المعاصي، وترك الطاعات كلها؛ لأنه تكفيه (لا إله إلا الله) عندهم، هذا مذهب المرجئة، الذين يخرجون العمل من حقيقة الإيمان، ويعتبرون العمل إن جاء فبها ونعمت، وإن لم يَجِئْ، فإنها تكفي (لا إله الله) عندهم، ويستدلون بأحاديث تفيد أن من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة، ولكن الرسول ﷺ ما اقتصر على هذه الأحاديث، فالرسول ﷺ له أحاديث أخرى تقيد هذه الأحاديث، ولابد أن تجمع بين كلام الرسول ﷺ بعضه إلى بعض، لا أن تأخذ منه طرفاً وتترك طرفاً؛ لأن كلام الرسول ﷺ يفسر بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، أما الذي يأخذ طرفاً

. . . .

ويترك طرفاً فإنه من أهل الزيغ الذين يتبعون ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] الرسول ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما عُبد من دون الله»[١] وهذا حديث صحيح، فلماذا غفلتم عنه؟ وقال ﷺ: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»[٢]، أما الذي يقول: لا إله إلا الله، ولا يكفر بما يُعبد من دون الله، ويدعو الأولياء والصالحين، فإن هذا لا تنفعه (لا إله إلا الله) لأن كلام الرسول ﷺ يُفسر بعضه بعضاً، ويقيد بعضه بعضاً، فلا تأخذ بعضه وتترك بعضه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] يأخذون الذي يصلح لهم، ويتركون الذي لا يصلح لهم، ويقولون: استدللنا بالقرآن، نقول: ما استدللتم بالقرآن، القرآن إن قال كذا فقد قال كذا، فلماذا تأخذون بعضاً

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢) من حديث طارق بن أَشْيَم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٤) و(٦٨٦)، ومسلم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك.

. . . .

وتتركون بعضا ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ المحكم والمتشابه، فيردون المتشابه إلى المحكم، ويفسرونه به ويقيدونه به، ويفصِّلونه، أما إنهم يأخذون المتشابه ويتركون المحكم، فهذه طريقة أهل الزيغ، فالذين يأخذون بحديث أن من قال: «لا إله إلا الله دخل الجنة»[١]، ويقتصرون على هذا، ولا يوردون الأحاديث الواضحة التي فيها القيود، وفيها التفصيل، فهؤلاء أهل زيغ، فيجب على طالب العلم أن يعرف هذه القاعدة العظيمة؛ لأنها هي جماع الدين وهي أساس الملة، ليس المقصود أنك تأخذ آية أو حديثاً وتترك غيره،بل المقصود أنك تأخذ القرآن كله، وتأخذ السنة كلها، وكذلك كلام أهل العلم، العالم إذا قال كلاماً لاتأخذه وحده حتى ترده إلى كلامه الكامل، وتتبع كلامه في مؤلفاته؛ لأنه يقيد بعضه بعضاً؛ لأنهم على سنن كتاب الله وسنة رسوله، فترد المطلق إلى المقيد من كلامهم، فطالب العلم يجب

(١) أخرجه أحمد (٢٣٣٢٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٠٣)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٤٤٩)، والبزار في مسنده (٢٨٥٤) عن حذيفة رضي الله عنه.

فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار ﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [٤].

عليه أن يأخذ هذه القاعدة معه دائماً، ويحذر من طريقة أهل الزيغ الذين يأخذون الذي يصلح لهم، ويتركون الذي لا يصلح لهم من الكتاب، ومن السنة، ومن كلام أهل العلم، ويبترون النُّقول، ويتركون باقي الكلام، أو يتركون الكلام الثاني الذي يوضحه، ويأخذون الكلام المشتبه ويتركون الكلام البين، كثير من الذين يدَّعون العلم غفلوا عن هذا الشيء، إما عن قصد التضليل، وإما عن جهل، فيجب معرفة هذه الأمور، وأن تكون أصولاً وقواعد عند طالب العلم.

[٤] المنافقون الذين هم ﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] هم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر؛ لأنه لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وصار حوله المهاجرون والأنصار وقوي الإسلام، وانتصر الدين في بدر، تلك الواقعة العظيمة التي طار خبرها في المشارق والمغارب؛ لأن النبي انتصر على صناديد قريش، وقريش كانت تاج العرب، وكان الناس ينظرون إليها، فلما انتصر

. . . .

عليها ﷺ في بدر، وقتل رؤوسها، عند ذلك قال المنافقون: نحن وقعنا في المدينة بين المهاجرين والأنصار ومعهم الرسول، وماذا نعمل؟ لجؤوا إلى حيلة، وهي أنهم يظهرون الإسلام من أجل أن يعيشوا مع المسلمين ويُحافِظوا على دمائهم وأموالهم، والرسول ﷺ ليس له إلا الظاهر، لا يدري عن القلوب إلا الله سبحانه وتعالى، فمن أظهر الإسلام قبلناه منه حتى يظهر منه ما يخالف ظاهره.

وقالوا: (لا إله إلا الله) وشهدوا للرسول بالرسالة ظاهراً كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ١ ـ ٢] جنة: يعني سترة يستترون بها، فالمنافقون دخلوا في الإسلام ـ لما رأوا قوة المسلمين ـ ظاهراً، وبقوا على الكفر باطناً والعياذ بالله، ولذلك جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار تحت المشركين، عبدة الأوثان، تحت الملاحدة، لعظيم جرمهم وخداعهم ومكرهم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] فالمنافق يقول: لا إله إلا الله، وهو في الدرك الأسفل من النار، فكيف تقولون:

مع كونهم يصلون ويتصدقون [٥].

ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته [٦].

إن (لا إله إلا الله) يكفي مجرد التلفظ بها، وهؤلاء المنافقون في الدرك الأسفل من النار، وهم يقولون: (لا إله إلا الله)؟ فدل أن مجرد النطق بها لا يكفي إلا باعتقاد القلب وعمل الجوارح.

[٥] المنافقون يصلون ويتصدقون ويخرجون للجهاد مع الرسول ﷺ في الظاهر، ولكنهم منافقون في قلوبهم، وهم يقولون: (لا إله إلا الله) ولم تنفعهم.

[٦] المراد من (لا اله إلا الله) قولها باللسان مع اعتقاد القلب بها، والعمل بمقتضاها، وموالاةِ أهلها ومعاداة من خالفها، وهذا هوالحب في الله، والبغض في الله، هذه كلها من مقتضى (لا إله إلا الله) ولهذا قالوا: (لا إله إلا الله) لها سبعة شروط، نظَمها بعض العلماء بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك

مع محبة وانقياد والقبول لها

كما قال النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، مخلصاً»، وفي رواية: «خالصاً من قلبه»، وفي رواية: «صادقاً من قلبه»، وفي حديث آخر: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله» [٧].

زاد الشيخ سعد بن عتيق رحمه الله شرطاً ثامناً فقال:

وزيد ثامنها الكفران منك بما

سوى الإله من الأشياء قد أُلِها

وركنا (لا إله إلا الله) هما النفي والإثبات، فلا يكفي النفي، ولا يكفي الإثبات، بل لابد من الاثنين.

[٧] «من قال: لا إله إلا الله مخلصاً» هذا قيد، لم يقتصر على قوله: «من قال لا إله إلا الله» بل قال: «مخلصاً من قلبه»[١]، لا يكفي أنه يقول: (لا إله إلا الله) حتى يكون ذلك خالصاً من قلبه؛ لئلا يكون من المنافقين الذين يقولونها بألسنتهم ولكن لا يقولونها بقلوبهم.

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٥٩٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٠٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري.

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة [٨].

و«من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما عُبد من دون الله»[1] هذا قيد عظيم وهو قوله: (وكفر بما عُبد من دونه الله) لأن كثيراً يقولون: (لا إله إلا الله) ولا يتركون عبادة القبور، ودعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلب الحاجات من غير الله، هؤلاء لا تنفعهم (لا إله إلا الله)؛ لأنهم لم يكفروا بما يُعبد من دون الله.

[٨] أكثر الناس يجهلون هذه الشهادة، يحسبونها مجرد لفظ يُقال باللسان، وكثير من العلماء لا يفهمون معنى (لا إله إلا الله) وهم علماء في الفقه، علماء في النحو، علماء في الحديث، ولكن أكثرهم ليس له عناية بالتوحيد، أو يتعلم عقيدة الأشاعرة وعلماء الكلام، التي تقتصر على توحيد الربوبية، و يقولون: (لا إله إلا الله) ويفسرونها: لا خالق إلا الله، لا يقدر على الاختراع إلا الله، هذا تفسيرهم لها، فهم لا يتعدَّون توحيد الربوبية، ويفسرون (لا إله إلا الله) بما لا يزيد عن توحيد الربوبية، ولا يتعرضون لتوحيد الألوهية

(١) تقدم تخريجه في الصفحة ١٣٧.

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات [٩]. نفي

الذي هو مطلوب لـ (لا إله إلا الله) اقرؤوا عقائد المتكلمين تجدون أنهم يركزون على إثبات وجود الله، كأن الله فيه شك، والاعترافِ بأنه هو الخالق الرازق المُحيي المميت إلى آخره، ولا يذكرون العبادة، ولا يذكرون الألوهية أبداً، هذا لا يزيد على دين المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] يثبتون الرب ولكن يعبدون غيره، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ما يقولون: إنهم يخلقون ويرزقون، ولكن يقولون: إنهم شفعاء وسطاء لنا عند الله، فالأمر خطير جداً، فهناك لبسٌ كثير في هذا الأمر، وضل كثير من الناس بهذا اللبس، الذي يخلص التوحيد ويبين معنى (لا إله إلا الله) يقولون: هذا يُكفر المسلمين، نحن نبرأ إلى الله من الذي يكفر المسلمين، نحن ما نكفر إلا من كفره الله ورسوله، فالذي لا يحقق (لا إله إلا الله) قد كفره الله ورسوله.

[٩] هذه الكلمة لها ركنان: هما نفي وإثبات، فلا يكفي النفي، ولا يكفي الإثبات، بل لابد من الاثنين مقترنين،

الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المرسلين حتى محمد ﷺ، ومن الملائكة حتى جبريل، فضلاً عن غيرهما من الأنبياء والصالحين، وإثباتها لله عز وجل [١٠].

كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ما قال: (يكفر بالطاغوت) فقط، بل قال: (ويؤمن بالله)، ولا قال: من (يؤمن بالله) ولم يذكر الكفر بالطاغوت، لابد من الاثنين.

[١٠] (نفي الإلهية عن كل ما يُعبد من دون الله) من المخلوقات، ولو كان من أصلح الصالحين، فأصلح البشر هو محمد ﷺ، وأصلح الملائكة هو جبريل، ومع هذا لو أن أحداً يعبد جبريل أو يعبد محمداً، فإنه يكون مشركاً خالداً في النار؛ لأن الله لا يرضى أن يُشرَك معه أحد، لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من الصالحين، ولا من الأشجار والأحجار، ولهذا يقول: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] (أحدا) هذا عام، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] (شيئاً) أيّ شيء، هذا نفي عام، والمنفي نكرة، والنكرة في سياق النفي تعم كل شيء.

إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه، ونفاها عن محمد ﷺ وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل[١١].

---

[١١] الألوهية معناها العبادة، ومن هنا غلط كثيرون في تفسير (لا إله إلا الله) وفسروها بغير تفسيرها ومن ذلك:

١ـ تفسير أهل وحدة الوجود لكلمة التوحيد:

فأهل وحدة الوجود ابن عربي وأتباعه، يقولون: (لا إله إلا الله) لا معبود إلا الله، أو لا إله موجود إلا الله، معنى هذا أن كل المعبودات كلها هي الله؛ لأن عندهم أن الوجود لا ينقسم بين خالق ومخلوق، هو كله هو الله، هذا معنى أنهم ـ أهل وحدة الوجود ـ يجعلون الوجود يتحد ولا ينقسم، كله هو الله، مهما عبد الإنسان من شيء فإنه قد عبد الله، الذي عبد البقر، والذي عبد الصنم، والذي عبد الحجر، والذي عبد البشر، والذي عبد الملائكة، كلهم يعبدون الله؛ لأن الله هو الوجود المطلق، والذي يقول: إن الوجود ينقسم إلى قسمين إلى خالق ومخلوق، يقولون عنه: إن هذا مشرك، فلا يكون موحداً عندهم إلا من قال: إن الوجود شيء واحد هو الله، فمهما عبدت من هذا الكون

. . . .

من أشجار أو أحجار أو أصنام أو طواغيت فإنك تعبد الله؛ لأن هذا هو الله وبهذه المناسبة فإنه يغلط بعض العوام، يقول: ولا معبود سواك، ولكن لو قال: لا معبود بحق سواك وهذا يوافق قول أهل وحدة الوجود فلو زاد كلمة (بحق) صح؛ لأن ما سواه معبود بالباطل قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

٢ـ تفسير علماء الكلام لكلمة التوحيد:

علماء الكلام يقولون: (لا إله إلا الله) لا قادر على الاختراع والخلق والتدبير والإيجاد إلا الله. وهذا غير صحيح، هذا يوافق دين المشركين، فالمشركون يقولون: لا يقدر على الخلق إلا الله، لا يحيي إلا الله، لا يميت إلا الله، لا يرزق إلا الله، وهذا توحيد الربوبية.

٣ ـ تفسير لا إله إلا الله عند الجهمية والمعتزلة ومن سار على نهجهم هو نفي الأسماء والصفات؛ لأن من أثبت الأسماء والصفات عندهم يكون مشركاً والتوحيد عندهم هو نفي الأسماء والصفات.

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية [١٢]. والإله معناه الولي الذي

٤- تفسير الحزبيين والإخوانيين اليوم يقولون: (لا إله إلا الله) أي: لا حاكمية إلا لله، والحاكمية كما يسمونها جزء من معنى لاإله إلا الله؛ لأن معناها شامل لكل أنواع العبادات، فنقول لهم: وأين بقية العبادات، أين الركوع والسجود والذبح والنذر، وبقية العبادات؟! هل العبادة هي الحاكمية فقط إذا كان معناها عندكم الحاكمية فقط؟ وأين ما تنفيه من أنواع الشرك؟ يا سبحان الله! ينبغي التنبه لهذه الأمور؛ لأن هذه كلمة عظيمةٌ، هي المنجية من النار لمن حققها، وكل الدين ينبني عليها من أوله إلى آخره، ودعوة الرسل والكتب المنزلة كلها مبنية على هذه الكلمة.

٥ - تفسير أهل السنة والجماعة: أن (لا إله إلا الله) معناها: لامعبود بحق إلا الله، لأن المعبودات كثيرة. ولكن المعبود بحق هو الله وحده، وما سواه فعبادته باطلة كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

[١٢] أي: يعتقدونها في الأولياء، ويقولون: إن هذا الولي

فيه السر، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ [١٣].

وتسميه العامة: السيد وأشباه هذا [١٤].

وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم، ويرجوهم ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله [١٥].

فيه سر وفيه ولاية، فيتقربون إليه بالذبح والنذر، والدعاء والاستغاثة؛ لأنه فيه سر وفيه ولاية.

[١٣] الصوفية يسمون العابد: الشيخ، يعني شيخ الطريقة الذي يأخذون عنه دينهم؛ والذي يأخذ عن شيخ الطريقة، يسمونه: .المريد، ويكون مع شيخه كالميت بين يدي الغاسل، ليس له أن يعترض بشيء.

[١٤] وهم يسمون شيخهم: السيد، ويسمونه: الشيخ، فلا بد أن تبايعه وتسلم له أمرك، فلا تعترض ولا تخالف في شيء، وإلا فإنك لا تكون مريداً معه.

[١٥] يقولون: إن الله جعل من الخلق خواص يجوز الالتجاء إليهم، ودعاؤهم والاستغاثة بهم على أنهم شفعاء عنده، ويقربون إليه، هذا الذي هم عليه، لا يقولون: إنهم

فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم هم الذين يسميهم الأولون الآلهة، والواسطة هو الإله [١٦]. فقول الرجل: (لا إله

شركاء لله، بل يقولون: شفعاء عنده ويقربون إليه؛ لأن الله اختارهم لصلاحهم وتقواهم، فصاروا وسائط بين العباد وبين الله ـ تعالى الله عما يقولون ـ ولذلك يتقربون إليهم بالعبادات أحياءً وأمواتاً، ويقولون: إن المتقرب إليهم مثل المتقرب إلى الله، من يتقرب للشيخ يتقرب لله ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] لعب الشيطان بهم إلى هذا الحد.

[١٦] المشركون الأولون يعبدونهم ويسمونهم آلهة، ولذلك لما قال لهم رسول الله ﷺ قولوا: «لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ إلى قول: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٥ ـ ٦]، سموها آلهة ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ الأولون سموهم آلهة، والمتأخرون الذين يدعون الإسلام سموهم وسائط وشفعاء فقط، ولم يسموهم آلهة، والمعنى واحد وإن اختلف اللفظ؛ لأن العبرة بالحقائق، وليست العبرة

إلا الله) إبطال للوسائط [١٧].

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقتلهم وأباح أموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرِّين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يُحيِي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] [١٨].

بالألفاظ والمصطلحات.

[١٧] (لا إله إلا الله) تبطل كل ما يُعبد من دون الله سواءً سمي واسطة أو شفيعاً أو سمي آلهة، فلا إله إلا الله تبطل كل ما يُعبد من دون الله بأي اسم سمي.

[١٨] عباد القبور الآن يقولون: ما دام أنه اعترف أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر، فإنه مسلم، إذاً

وهذه مسألة عظيمة جليلة مهمة، وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ شاهدون بهذا كله ومقرُّون به، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يُحَرِّم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضاً يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل [١٩].

ولكن الأمر الثاني: هو الذي كَفَّرهم وأحلَّ

ما معنى (لا إله إلا الله)؟ ليس لها معنى عندهم؛ لأن المشركين يقولون هذا الذي يقوله هؤلاء.

[١٩] هي مسألة عظيمة ومهمة جداً، وقلَّ من يعتني بها؛ لأن هؤلاء يقولون: من أقر بتوحيد الربوبية صار مسلماً.

وكان المشركون في الجاهلية يقرون بتوحيد الربوبية، وعندهم عبادات كالصدقة والحج، فهم يحجون ويعتمرون ويقولون: لا يخلق ولا يرزق ولا يُحيي ولا يميت إلا الله، يعترفون بتوحيد الربوبية، ويتعبدون ببعض العبادات، ولكن لما كانوا لا يخلصون العبادة لله وَحْدَه، بل يعبدون الله ويعبدون معه غيره صاروا مشركين.

دماءهم وأموالهم، وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وتوحيد الإلهية [٢٠].

وهو أن لا يُدعى ولا يُرجى إلا الله وحده لا شريك له [٢١]. و لا يُستغاث بغيره ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره، لا لملَكٍ مقرَّب ولا نبي مرسل، فمن استغاثَ بغيره فقد كفر، ومن ذبح

---

[٢٠] لأن هذا هو المطلوب وهو توحيد الألوهية، أي: إفراد الله بالعبادة، وليس المطلوب إفراد الله بتوحيد الربوبية فقط، لابد من الأمرين، لابدمن توحيد الربوبية، وهو مستلزم لتوحيد الألوهية، ولابد من توحيد الألوهية، وهو متضمن لتوحيد الربوبية، لا ينفك بعضهما عن بعض.

[٢١] أي: وتوحيد الألوهية يتضمن جميع العبادات، فلا يصرف لغير الله ـ عز وجل ـ منها شيء؛ لأنه هو المستحق لها، فمن صرف منها شيئاً لغير الله، فإنه مشرك ولو كان يقول: لا إله الله، بل لو كان يعبد الله بأنواع من العبادات، ما دام لم يخلص لله فيها كلها، فليس بمسلم.

لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك [٢٢].

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ،كانوا يَدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وأمه وعزيراً، وغيرهم من الأولياء، فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر [٢٣].

---

[٢٢] أي: من فَعَل ذلك فإنه يكفر ولو كان يقول: لا إله إلا الله؛ لأنه لم يحققها فهو متناقض، كيف يقول: (لا إله إلا الله) ويذبح لغيره، كيف يقول: (لا إله إلا الله) ويستغيث بغير الله من الأموات والغائبين والجن والشياطين، كيف يقول: (لا إله إلا الله) وينذر لغير الله؟! هذا تناقض.

[٢٣] المشركون الأولون ليسوا كلهم يعبدون الأصنام، فهم متفرقون في عبادتهم، فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، والرسول ﷺ قاتلهم كلهم ولم يفرق بينهم، ولم يقل: ما أقاتل إلا الذي يعبد الأصنام. ويترك الذين يعبدون

إذا عرفت هذا عرفت معنى (لا إله إلا الله) وعرفت أن من نخَّا نبياً أو ملكاً أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مقربون، ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا فنحن نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر، فقل:

عُزيراً ويعبدون المسيح، ويعبدون الصالحين، ما فرق بينهم الرسول ﷺ، وهؤلاء القبوريون اليوم يقولون: الشرك عبادة الأصنام، وعبادة الأولياء تقرُّب إلى الله وتوسل إلى الله، ليست بشرك؛ لأن الشرك عبادة الأصنام فقط، يا سبحان الله! الرسول قاتل الجميع: الذين يعبدون الأصنام، والذين يعبدون الملائكة، والذين يعبدون المسيح، والذين يعبدون عُزيراً، والذين يعبدون الأولياء والصالحين، لم يفرق بينهم؛ لأنه ليس بينهم فرق في الحقيقة.

كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله [٢٤].

فإنهم يدعون عيسى وعزيراً والملائكة والأولياء، يريدون بذلك كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨] [٢٥].

---

[٢٤] الشيخ يُخاطب العلماء والعوام، ومعنى نخَاه: في العامية، أي: استنجد به.

يقال لمن ينفي أن دعاء الصالحين شرك، ويقول: المراد به التوسل بهم إلى الله، يقال له: كلامك هذا هو مذهب أبي جهل وأبي لهب وأمثالهم؛ لأنهم يقولون: لا يخلق ولا يرزق ولا يُحيي ولا يدبر إلا الله، ونحن نتخذ هذه الآلهة لتقرِّبنا إلى الله زلفى، كما قال الله عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

[٢٥] المشركون الأولون يريدون ممن يعبدونهم مع الله

فإذا تأملت هذا تأملاً جيداً، وعرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية، وهو تفرُّده بالخلق والرزق والتدبير، وهم ينخون عيسى والملائكة والأولياء يقصدون أنهم يقربوهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده، وعرفت أن من الكفار - خصوصاً النصارى منهم - من يعبد الله الليل والنهار، ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزلاً في صومعة عن الناس [٢٦]. وهو مع هذا كافر عدو لله مخلَّد في النار بسبب اعتقاده في

التوسط لهم فقط. لا يقولون: إنهم يخلقون ويرزقون، وإنما يقولون: إن هؤلاء شفعاء لناعند الله، يقولون: إن هذا تعظيم لله.

[٢٦] الرهبان من النصارى يتعبدون الليل والنهار ويبكون، ولكن يقولون: المسيح ابن الله، أو إن الله هو المسيح ابن مريم، أو ثالث ثلاثة، وهم يبكون ويتعبدون، ولا ينفعهم هذا؛ لأنهم ما أخلصوا العبادة لله عز وجل، فمثلهم عبَّاد القبور اليوم.

عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه أو يذبح له أو ينذر له، تبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك محمد ﷺ، وتبين لك أن كثيراً من الناس عنه بمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»[1] [٢٧].

---

[٢٧] الإسلام الصحيح غريب اليوم، أما الإسلام المُدَّعى، فالمسلمون اليوم يزيدون على المليار، ولكن الإسلام الصحيح غريب، إذ لو كان هذا المليار إسلامهم صحيح لم يقف أمامهم أحد من العالم؟ فاليهود الذين هم إخوان القردة والخنازير الذين ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، الآن هم مسيطرون على بلاد المسلمين، والمسلمون الذين كانوا مع النبي ﷺ في بدر كان عددهم ثلاثَ مئة وبضعة عشر، وماذا صنعوا؟ فالصحابة بالنسبة لأهل الأرض كم هم؟ ومع هذا هم فتحوا الأمصار، وأسقطوا كسرى وقيصر، وسادوا العالم كله؛ لأنهم مسلمون الإسلام الصحيح، ما هو إسلام ادِّعائي.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٠)، و ابن وضاح القرطبي في «البدع والنهي عنها»: ٦٥ بإسنادٍ ضعيف، وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد (١٦٠٤) يتقوىٰ به.

فالله الله يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخرِه، وأُسُّه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها، وأحبوها وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال: ما عليَّ منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلفه الله تعالى بهم، وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم.

فالله الله يا إخواني، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئاً، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله تعالى في كتابه تُبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله ﷺ [٢٨].

---

[٢٨] كفر أهل زماننا أعظم من كفر المشركين الأولين، أعظم من كفر أبي جهل، وأبي لهب! لأن المشركين

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧]، فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ فلم يدعوا أحداً منهم، ولم يستغيثوا به، بل يخلصون لله وحده لا شريك له، ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا. وأنت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة، إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجل من هؤلاء مثل

الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة؛ لأنهم يعلمون أنه لا يخلِّص من الشدة إلا الله، أما مشركو زماننا فهم في الشدة أكثر شركاً منهم في الرخاء، إذا وقعوا في الشدة يُنادون معبوداتهم، كلٌّ ينادي معبوده ليخلصه من الغرق في البحر، يخلصه من كذا، كلما زاد الخطر زاد الشرك عندهم، فهم أشد من المشركين الأولين والعياذ بالله.

رسول الله ﷺ، فالله المستعان، وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وإدريس ويُقال له: الأشقر، ويوسف وأمثالهم، والله سبحانه وتعالى أعلم. والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين [٢٩].

---

[٢٩] معروف هو معروف الكرخي من الأولياء المعروفين في العراق، يعبده القبوريون، و(عبد القادر الجيلاني) إمام من أئمة الحنابلة القدماء، فهو إمام جليل، ولكن لما مات اعتقدوا أنه ينفع ويضر، فبنوا على قبره، والصوفية اتخذوه إماماً للمتصوفة أصحاب طريقة يسمونهم القادرية، وهو بريءٌ منهم رحمه الله، فهو معروف بالصلاح والاستقامة والعلم والتقى، كان من أكابر أصحاب مذهب الإمام أحمد، وله فيه مؤلف معروف اسمه: الغنية.

(وزيد بن الخطاب) صحابي جليل، وهو أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وقُتل في اليمامة وقبر فيها وكان عليه قبة، فلما جاء الشيخ محمد رحمه الله هدم هذه القبة ولم تقم إلى الآن، والحمد لله، ولن تقوم إن شاء الله.

. . . .

(والزبير بن العوام) رضي الله عنه، حَواريُّ رسول الله ﷺ، وهؤلاء الأولياء والصحابة يعبدهم القبوريون، ولكنهم لم يكتفوا بعبادتهم، بل عبدوا الطواغيت والكفرة والمردَةَ من السَّحرة والكَهَنة، والإباحيين والحلوليين، الذين يقولون: من ترك الأوامر والنواهي فهو مقرب من الله، وليس بحاجة للأوامر والنواهي، وإنما هي للعوام فقط، أما هو فوصل إلى الله ولا يحتاج إلى شيء.

(وشمسان وإدريس ويوسف) هؤلاء طواغيت كانوا في الرياض،قبل ظهور دعوة الشيخ، فلما جاء الشيخ، وقام بالجهاد في سبيل الله، واستولى المسلمون على الرياض أزالوا هذه الوثنيات منها ومن غيرها، والحمد لله.

الأسئلة :

- **سؤال: فضيلة الشيخ، ما صحة قول: لا معبود بحق في الوجود إلا الله؟**

الجواب: يكفي: لا معبود بحق، عن قوله: في الوجود.

- **سؤال: فضيلة الشيخ، نسمع كثيراً ما يسمى بالإعجاز العلمي في القرآن فهل يجوز إلحاقُه بمعجزات القرآن، وتنزيل آيات القرآن على تلك المسائل؟**

الجواب: نحن تكلمنا على هذا أكثر من مرة ونبهنا عليه، قلنا: لا يجوز تفسير كلام الله عز وجل إلا بأصول التفسير المعروفة: بأن يُفسر القرآن بالقرآن، ويُفسر بالسنة، ويُفسر بتفسير الصحابة، وتفسير التابعين، ولا يُزاد على هذا، فلا يُفسر بالنظريات الحديثة؛ لأنها تُخطئ وتصيب، وهي كلام بشر وعمل بشر، فلا نجعلها تفسيراً لكلام الله عز وجل، ولا نقول: هذا هو مراد الله بهذه الآية، هذا قول على الله بلا علمٍ تعالى الله عن ذلك. وكم من نظرية كانت مسلَّمة في يوم، وبعد مدة يسيرة صارت خاطئة

وكاذبة، وجاء نظرية غيرها ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] فلا يجوز أن نفسِّر القرآن بهذه الأشياء، ولا أن نقول: هذا من الإعجاز العلمي.

- **سؤال: فضيلة الشيخ، من يُخطِّئ الرسول ﷺ هل يكفر أم ينظر في أمره؟**

الجواب: من يخطئ الرسول ﷺ، فهو كافر؛ لأنه جاحد لنبوته.

- **سؤال: من يحب زوجته الكتابية، هل هذا مخالف للولاء والبراء؟**

الجواب: الله جل وعلا يقول: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١] أي: لا تحبوهم وتوالوهم وتناصروهم، وأما الزواج منهم فهو تعامل دنيوي، ليس هو تعاملاً دينياً، مثل ما تبيع معهم وتشتري، والمحبة بين الزوجين محبة طبيعة ما هي محبة دينية، هو لا يحبها لأجل دينها، ولكنه يحبها من أجل الزوجية.

- **سؤال: فضيلة الشيخ، ما أسباب تعلق هؤلاء الناس بالقبور والأضرحة وطلب الإعانات وشفاء المرضى،**

ما السبب في ذلك يا شيخ؟

الجواب: السبب في هذا:

أولاً: التقليد الأعمى؛ لأنهم يجدون من يفعلون هذه الأفعال، فيقلدونهم.

وثانياً: سكوت العلماء عن النهي عن ذلك، وهذا كتمان للعلم، وتقصير في الدعوة إلى الله عز وجل، وهم مسئولون عن ذلك.

ثالثاً: دعاة السوء، ودعاة الضلال الذين يروجون هذه الشِّركيات والبدعيات، ويحسِّنونها للناس في كلامهم، ومؤلفاتهم. فمجموع هذه الأمور يحصل به هذا الخلل العظيم في العقيدة.

- **سؤال: ما حكم الاحتفال بالمولد النبوي، نرجو التوضيح، والإجابة الصحيحة حول ذلك.**

الجواب: هذه المسألة تكلم فيها العلماء قديماً وحديثاً، ونهوا عنها وحذروا منها؛ لأنها بدعة، فالاحتفال بمناسبة المولد النبوي بدعة ما أنزل الله بها من سلطان؛ لأنه ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولا في عمل

القرون المفضَّلة دليل على الاحتفال بالمولد النبوي، وما كان كذلك فهو بدعة، وإنما حدث الاحتفال بالمولد النبوي بعد القرون المفضلة، بعد المئة الرابعة من الهجرة لما انتهت القرون التي أثنى عليها رسول الله ﷺ، وأخبر أنها يأتي بعدها أناس يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ومن ذلك أنهم أحدثوا هذه البدعة في دين الله عز وجل.

- **سؤال: ما حكم الصلاة في مسجد دخل في بنائه أموال مأخوذة من أناس بغير طيبة أنفسهم، وما هو الحل لهذه المشكلة مأجورين؟**

الجواب: لا يجوز بناء المساجد بالمال الحرام، ولا يجوز استخدام المال الحرام للمسلمين لا أكلاً، ولا شرباً، ولا لباساً، ولا سكنى، ومن باب أولى المساجد التي هي بيوت الله، فإن الله سبحانه وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيباً، والمال المغصوب حرام، لقوله ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه»[1]، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٧٢، والدارقطني ٣/ ٢٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ١٠٠ من حديث أبي حَرَّة الرقاشي عن عمه.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] وإذا بُني مسجد من المال المغصوب، فإن الحل في ذلك في نظري أن ينظر مقدار المال المغصوب فيُرد على صاحبه.

- **سؤال: هل يجوز الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة؟**

الجواب: الأحاديث الضعيفة تختلف إذا كانت ضعيفة شديدة الضعف، فإنها لا يُستشهد بها، أما إذا كان ضعفها ليس شديداً، أو كان لها ما يشهد لها من الأحاديث الأخرى، فإنها يُستشهد بها في فضائل الأعمال، ولا يؤسس بها أحكام شرعية، وإنما يُستشهد بها في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال.

(نموذج من ضرب الأمثلة على بطلان الشرك من القرآن الكريم)

من كلام الشارح في بعض دروسه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦ ـ ٢٧] ضرب الله ـ جل وعلا ـ مثلاً للموحِّد والمشرك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩] المشرك له عدة آلهة، يعبد أصناماً كثيرة ولا يدري ماذا يُرضي منها، مثل

المملوك الذي له أسياد كثيرون يملكونه، كل واحد يريده على ما يوافق هواه، وكل واحد له رغبة تخالف رغبة الآخر، فيُصبح هذا المملوك المسكين مزعزعاً بين هؤلاء الشركاء، لا يدري من يُرضي منهم.

وأما الموحد فهو مثل الذي يملكه رجل واحد يعرف مطلوبه ويعرف هواه، فهو في راحة معه، ليس هو معه في نزاع ولا في شقاق ولا في تعب، هو رجل مملوك لرجل واحد. كذلك الموحد هو عبد لرب واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، يقوم بطاعته ويجتنب معصيته ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ يعني خالصاً لرجل، يملكه رجل واحد، هل المملوك الذي يملكه عدة شركاء مثل المملوك الذي يملكه رجل واحد؟ لا.. هذا مَثَل للمشرك...

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ الاستفهام للإنكار، لا يستوي هذا وهذا، وهذا أيضاً مثل ضربه الله للشرك والتوحيد. وضرب الله مثلاً للشرك وبطلانه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] الموحد في رفعة مكانته وسمو منزلته مثل الذي في السماء مرتفع المكانة سامي المكانة عند الله سبحانه وتعالى، وأما المشرك فإنه مثله مثل الذي

يسقط من العلو، لما أشرك بالله سقط من الارتفاع الذي فيه أهل التوحيد، والسموِّ الذي فيه أهل التوحيد، والمكانة المرتفعة العالية التي فيها أهل التوحيد، المشرك لما أشرك بالله سقط من مرتفَع بعيد الارتفاع. ماذا تكون حاله في حالة السقوط والعياذ بالله؟ إما أن تعترضه جوارح الطير فتمزق لحمه وتأكله في الهواء، وإما أن يسلم من الجوارح لكن الريح تحمله وترمي به في مكان بعيد عن الأنس، تلقيه في مكان خالٍ موحش ما فيه شراب ولا فيه شيء. كذلك المشرك هو عرضة لهذه الأشياء، وهذه الأهواء، وهذه المناهج، وهذه المذاهب التي تقطعه وتشتِّته وتهلكه في النهاية. فهذا مثل للمؤمن ومثل للموحد، المؤمن في علوٍّ وارتفاع وسمو عند الله ـ جل وعلا ـ لتوحيده وإخلاصه، والمشرك ساقط من العلو ساقط من التوحيد، مُعرَّض لكل هلاك ولكل ضلال، وهذه حال المشركين والعياذ بالله، معرَّضين لكل بلاء ولكل هلاك ولكل هوى ولكل شيطان، يتنازعهم كل بلاء، هل يستوي هذا وهذا؟

ثم في آخر السورة ضرب الله مثلاً لبطلان الشرك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ

ٱلذُّبَابُ شَيۡـًٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] جميع الأصنام وجميع المعبودات من دون الله، كلُّها لا تستطيع أن تخلق الذباب، فكيف تُعبد من دون الله، وهي لا تستطيع أن تخلق الذباب الذي هو أصغر شيء وأحقر شيء؟ ما طُلب منهم أن يَخلقوا بلداً أو يخلقوا جبلاً أو يخلقوا إبلاً أو بقراً أو آدميين، بل ذباب أقل شيء!! هذا تعجيز من الله - جل وعلا - لآلهة المشركين، فإذا كانت لا تستطيع أن تخلق الذباب فكيف تُعبد مع الخالق الذي هو خالق كل شيء سبحانه وتعالى؟ الله خالق كل شيء، الخلَّاق العليم الذي لا يعجزه شيء، كيف يُقاس هذا بهذا؟

فهذا مثل واضح لبطلان الشرك، وأنه لا مستند له، ولا أصل له ولا فرع، ﴿لَن يَخۡلُقُواْ﴾ ولاحظوا كلمة (لن يخلقوا) هذا للمستقبل إلى يوم القيامة، فالتعجيز مستمر إلى يوم القيامة، أيُّ مشرك يدعو غير الله يقال له: هل الذي تعبده يخلق ذبابة؟. كل هذه التي يعبدون من المعبودات والأصنام والتماثيل والأولياء والصالحين والقبور والأشجار والأحجار، كلُّهم موجَّه إليهم هذا المثل. فما دام أنهم لا يقدرون على خلق الذباب فكيف يصلحون للعبادة؟

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢٠ ـ ٢١] ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠] ما يستطيع المشركون أن يقولوا إن معبوداتهم خلقت ولو ذبابة، ولا ويستطيعون هذا في المستقبل، حتى في زمان تقدم الصناعة الآن وتفنن الصناعة، ما يستطيع صنَّاع العالم ومهرة العالم وأطباء العالم أن يخلقوا ذباباً، يصنعون طيارة، يركِّبون بعضها في بعض، طائرة تحمل الركاب، هذه صناعة ممكنة يتعلمها الإنسان ويعرفها، والله هو الذي سخرها لنا، وهو الذي ألهمنا أن نستعملها وأن نستخدمها رحمة بنا، يمكن أن يصنع البشر طيارة ويصنعوا باخرة، لكن الخلق لا يخلق ذبابة! لأن هذا من خصائص الله سبحانه وتعالى. فالعبادة إنما يستحقها الخالق سبحانه وتعالى ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. ثم قال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ الذباب الذي هو أضعف شيء لو يأخذ من هذا الصنم الذي يُعبد، لو يأخذ منه شيئاً مما يوضع عليه من الطيب أو من الذهب؛ لأنهم يضعون على هذه المعبودات أشياء من

الحُلي ومن الذهب ومن الطيب والبخور، لو جاء الذباب وأخذ مما عليها شيئاً يسيراً، هل تستطيع هذه الأصنام أن تسترد ما أخذه الذباب؟ لا تستطيع أن تنتصر لنفسها من الذباب ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ الذي هو المشرك ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذي هو المعبود من دون الله عز وجل، ذباب أعجَز الجميع. فهذا من أعظم الأمثلة على بطلان الشرك بالله عز وجل.

يمكن أن يقولوا: نحن ما نقول: إن معبوداتنا تخلق مع الله، الله هو الخالق وحده ونحن نعترف بذلك، هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، نحن نعتقد هذا، لكن هؤلاء عباد صالحون ونريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله، نتخذهم وسائل، فنحن نعبدهم من أجل أن يقربونا إلى الله زلفى، وإلا نحن نعلم أنهم ما يخلقون ولا يرزقون، لكن لأنهم عباد صالحون لهم منزلة عند الله نريد منهم أن يقربونا ويشفعوا لنا إلى الله، أن يتوسطوا لنا عند الله. ويذبحون لهم وينذرون لهم ويطوفون بقبورهم ويعكفون عندها، ويصرفون لهم العبادات، وهم يعترفون أنهم ما يخلقون ولا يرزقون ولا يدبرون من الأمر شيئاً، وإنما يريدون منهم الوساطة عند الله عز وجل. الله عز

وجل أبطل هذا بالمثل: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨] فإذا كنتم لا ترضون أن يشارككم أحدٌ عبيدكم، فكيف ترضون لله أن يشاركه عبد من عبيده؟ فكيف تصفون الله بما تُنَزِّهون منه أنفسكم. وكانوا يقولون في تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك) فضرب الله لهم هذا المثل.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

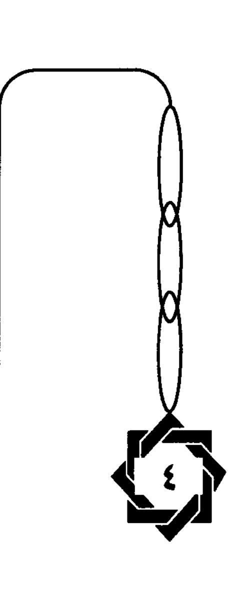

الرسالة
الرابعة

بعض فوائد سورة الفاتحة

سلسلة شرح الرسائل

٤ ـ شرح رسالة : بعض فوائد سورة الفاتحة

للإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم

فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعض فوائد من سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [١].

---

[١] بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. هذه الرسالة تختص ببيان فوائد سورة الفاتحة، هذه السورة العظيمة، سُميت بالفاتحة؛ لأنها افتُتح بها المصحف الشريف، فهي أول سورة فيه، وتسمى بالسبع المثاني؛ لأنها سبع آيات، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] فهي السبع المثاني. وقيل: سُميت بالمثاني؛ لأنها تُكرر قراءتها في كل ركعة، وتُسمى أم القرآن؛ لأن أم الشيء: الأصل الذي يرجع إليه الشيء، القرآن يرجع

. . . .

في معانيه إلى ما تضمنته هذه السورة، وتُسمى بالصلاة لقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عن ربه، أن الله ـ جل وعلا ـ يقول: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» يعني الفاتحة «فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل»[1].

وسورة الفاتحة سبع آيات، ثلاث آيات ونصف منها لله، ثناء على الله عز وجل، ، وثلاث ونصف منها للعبد، من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى آخر السورة. فهذا معنى قوله ـ جل وعلا ـ: «قسمت الصلاة» يعني سورة الفاتحة «بيني وبين عبدي نصفين».

وتسمى بالكافية، وتسمى بالرقية؛ لأن النفر من الصحابة الذين نزلوا على حي من أحياء العرب استضافوهم فلم يضيفوهم، فلُدغ كبيرهم، فجاءوا يطلبون من الصحابة

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة.

. . . .

الرقية، فقال أحد الصحابة: إننا نرقي ولكن أبيتم أن تضيفونا، فلا نرقي إلا بجُعلٍ ـ يعني بأجرة ـ فشرطوا لهم قطيعاً من الغنم، فقرأ عليه سورة الفاتحة، فقام كأنما بُعث من عقال. فلما قدموا على النبي ﷺ أخبروه بما حصل، فقال: «وما أدراك أنها رقية»[١]، فتسمى بالرقية.

وهي سورة عظيمة يدل على عظمتها أن الله جعل قراءتها ركناً من أركان الصلاة، وأنها تُكرر في كل ركعة، فهذا يدل على عظمة هذه السورة. وهي تتضمن معانيَ جليلةً، ففيها أنواع التوحيد الثلاثة في أولها (الحمد لله رب العالمين) هذا فيه توحيد الربوبية (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) هذا فيه توحيد الأسماء والصفات (إياك نعبد وإياك نستعين) هذا فيه توحيد العبودية، فتضمنت إذاً أنواع التوحيد الثلاثة.

وتضمنت نوعي الدعاء؛ لأن الدعاء على قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٦) و(٥٠٠٧) و(٥٧٣٦) و(٥٧٤٩)، ومسلم (٥٧٣٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

. . . .

دعاء العبادة: هو الثناء على الله ـ جل وعلا ـ وذكر الله عز وجل.

ودعاء المسألة: وهو طلب الحوائج من الله ـ جل وعلا ـ فهذا موجود فيها ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ كله طلب ودعاء، ولذلك يستحب بعد الفراغ من قراءتها أن يقول: (آمين) أي: اللهم استجب، والتأمين إنما يكون على دعاء، وسورة الفاتحة دعاء كلها، دعاء عبادة ودعاء مسألة.

وفيها إثبات الرسالات، وذلك لأن مقتضى قوله: (رب العالمين) والرب هو الذي يُصلح عباده ويربيهم، ومقتضى تربيتهم أن يرسل إليهم الرسل لهدايتهم وتربيتهم، وهذا من مقتضى الربوبية، ومن مقتضى الهداية (اهدنا الصراط المستقيم) لا يمكن الاهتداء إلى الصراط المستقيم إلا بالرسل عليهم الصلاة والسلام، ففيها إثبات الرسالات.

وفيها الرد على جميع الطوائف المنحرفة، ففيها الرد على الملاحدة الذين يعطلون الكون من خالقه، فيها الرد عليهم بإثبات أن هذا الكون له رب خلقه وهو (رب

. . . .

العالمين)، والرب معناه: الخالق المربي لجميع الخلق بالنعم، والمصلح والمالك، كل هذه تدخل في معاني الرب سبحانه وتعالى، ففيها الرد على الملاحدة المعطلة.

وفيها الرد على المشركين الذين يعبدون غير الله سبحانه وتعالى (إياك نعبد) حيث إن فيها إخلاص العبادة لله، ففيها الرد على المشركين الذين يعبدون مع الله غيره.

وفيها الرد على طوائف هذه الأمة التي اشتطَّت عن طريق الحق، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين ضلوا في باب القضاء والقدر، والرد على نفاة الصفات، المعطِّلة الذين عطلوا الأسماء والصفات من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وماتُريدية وغيرهم، كل من نفى الصفات أو نفى شيئاً منها، فهذه السورة ترد عليهم.

وفيها إثبات البعث (مالك يوم الدين) ويوم الدين: هو يوم الحساب؛ لأن الدين هنا معناه: الحساب، ويوم الدين هو يوم القيامة، سمي يوم الدين لأن الله يحاسب عباده ويجازيهم على أعمالهم. وفيها الرد على اليهود وهم المغضوب عليهم، ومن سار على نهجهم من كل عالم لا

هذه الآيات الثلاث تضمنت ثلاث مسائل [٢]:

يعمل بعلمه. وفيها الرد على النصارى الذين يعبدون الله على غير هدى.

ففيها الرد على كل مبتدع يعبد الله بغير دليل من النصارى وغيرهم؛ لأن الضال: هو الذي يعبد الله على غير هدى. فالنصارى والمبتدعة والخرافيون كلهم يدخلون تحت الضالين؛ لأنهم يعبدون الله بالبدع والمحدثات والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

كما أن فيها الرد على علماء الضلال الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويعملون بأهوائهم، ويحرفون النصوص ويؤولونها على غير مراد الله سبحانه وتعالى لتتوافق على أهوائهم، وفي مقدمة هؤلاء اليهود وكل من سار على نهجهم. كما أن في مقدمة المبتدعة النصارى، ولهذا يقول بعض السلف: من ضل من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن ضل من عبَّادنا ففيه شبه من النصارى. فالواقع أن هذه سورة عظيمة، وسيتكلم الشيخ ـ رحمه الله ـ عن فوائدها المهمة.

[٢] الثلاث آيات التي تلاها في أول الرسالة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ تضمنت ثلاث مسائل.

الآية الأولى: فيها المحبة؛ لأن الله منعم، والمنعم يحب على قدر إنعامه [٣]. والمحبة تنقسم

[٣] (الحمد لله رب العالمين) الحمد لله على ماذا؟ على نعمه، فهو يحمد سبحانه وتعالى لذاته ولأسمائه وصفاته ولأفعاله، فهو المنعم على عباده، فكل منعم فهو يُحمد على قدر ما أنعم، وهذا يقتضي أن يُحَب؛ لأن النفوس جُبلت على حب من أحسن إليها، والله ـ جل وعلا ـ هو المحسن وهو المنعم وهو المتفضل على عباده، فتحبه القلوب على نعمه وعلى فضله وإحسانه محبة لا يعادلها محبة. ولذلك كانت المحبة أعظم أنواع العبادة، فالحمد لله رب العالمين تتضمن المحبة. وسيذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ أن المحبة على أربعة أنواع:

محبة شركية: وهي محبة الأصنام والأوثان وكل ما يُعبد من دون الله، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] لأن محبتهم محبة توحيد وإخلاص.

النوع الثاني: محبة محرمة، وهي محبة ما يبغضه الله سبحانه وتعالى من الممنوعات والمنهيات والمحرمات،

إلى أربعة أنواع: محبة شِركية، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [٤].

ومن ذلك محبة المشركين ومحبة الكفار.

والنوع الثالث: محبة طبيعية، وهي محبة الإنسان لأولاده ولأبويه ولزوجته ولأصدقائه، هذه محبة طبيعية لا يؤاخذ عليها الإنسان.

النوع الرابع: محبة واجبة، وهي محبة أولياء الله، وهي المحبة في الله والموالاة لله عز وجل. كل هذا داخل في قوله: (الحمد لله رب العالمين).

[٤] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ أي: شُبهاء ونظراء لله عز وجل، فكل ما عُبد من دون الله فقد اتخذ نداً لله وشبيهاً لله عز وجل وعديلاً لله عز وجل، والمشركون يحبون معبوداتهم محبة شديدة، ولذلك يموتون دونها ويُقتلون دونها، ولو كانوا لا يحبونها ما قاتلوا دونها، لكن يتمسكون بها ويحبونها، لأنها أُشربت في قلوبهم والعياذ

. . . .

بـالله. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الـزمـر: ٤٥] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] لأن المشركين يحبون الله محبة مشتركة بينه وبين غيره، وأما محبة المؤمنين لله فهي محبة خالصة ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] يقول جل وعلا لو يعلمون ما سيؤولون إليه يوم القيامة مع من عبدوهم لكان لهم حال آخر؛ لأنهم في يوم القيامة، يتبرأ المتبوعون من الأتباع، ويكذبونهم ويقولون: نحن ما أمرناكم بعبادتنا، ولا علمنا أنكم تعبدوننا ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] والأسباب هي المحبة ـ كما يقول ابن عباس ـ المحبة التي كانت في الدنيا بينهم وبين معبوداتهم انقطعت، بعد أن كانوا يتحابون في الدنيا صاروا يتلاعنون في الآخرة ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

المحبة الثانية: حب الباطل وأهله وبغض الحق وأهله، وهذه صفة المنافقين [٥].

أما الذين عبدوا الله وأخلصوا له العبادة فإن الله ـ جل وعلا ـ يتولاهم في الآخرة ويكرمهم ويدخلهم الجنة. هذا مآل المؤمنين في الآخرة، وذاك مآل المشركين في الآخرة. وإن كانوا في الدنيا يتمسكون بعبادة تلك المعبودات، ويقاتلون دونها ويستميتون ويزهقون أنفسهم دفاعاً عنها، فإنها يوم القيامة ستنقلب هذه المودة وهذه الصلة، تنقلب عداوة وقطيعة والعياذ بالله ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] ما يبقى إلا المودة بين المتقين؛ لأنها مؤسسة على أساس صحيح، تبقى في الدنيا والآخرة، أما المودة التي بين الكفار والمشركين فإنها تنقطع وتنقلب إلى عداوة.

[٥] **النوع الثاني**: محبة الباطل وأهله، وبغض الحق وأهله، هذه صفة المنافقين، فإنهم يحبون الباطل ويكرهون الحق، يحبون الكفار ويبغضون المؤمنين. والنفاق: هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر. وعلامة المنافقين أنهم يحبون أهل الباطل ويبغضون أهل الحق، فإذا رأيت من يبغض

المحبة الثالثة: طبيعية، وهي محبة المال والولد، إذا لم تشغل عن طاعة الله ولم تعن على محارم الله فهي مباحة [٦].

أهل الحق خصوصاً صحابة رسول الله ﷺ، ويُبغض علماء الأمة وأئمة المسلمين، فاعلم أنه منافق، وإن كان يُظهر الإسلام، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله في الظاهر، لكنه في الباطن ملحد كافر يتستر بالإسلام وبالشهادتين، وإلا فهو كافر في الدرك الأسفل من النار.

[٦] **الثالثة**: محبة طبيعية، أي: مطبوع عليها الإنسان ومفطور عليها، يحب الإنسان أقاربه، يحب أولاده، يحب أصدقاءه، يحب من أحسن إليه، هذه محبة طبيعية لا يؤاخذ عليها الإنسان إلا إذا قدمها على محبة الله ورسوله، فإنه حينئذٍ يأثم ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] فإذا قدّم محبة هذه الأشياء على ما يحبه الله ورسوله، فإنه متوعَّد بهذا الوعيد.

والمحبة الرابعة: حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك، وهي أوثق عرى الإيمان، وأعظم ما يَعبُد به العبد ربه [٧].

الآية الثانية: فيها الرجاء [٨].

والآية الثالثة: فيها الخوف [٩].

---

[٧] **المحبة الرابعة**: محبة أولياء الله وبُغض أعداء الله، فهذه هي الموالاة في الله والمعاداة في الله، فيحب أهل التوحيد ويبغض أهل الشرك، هذا أوثق عرى الإيمان، وهذا هو الحب في الله والبغض في الله، هذا هو الولاء والبراء. وهذا من أصعب الأمور على الإنسان، فإن كان يحب أهل التوحيد ويواليهم، ويبغض أهل الشرك ويعاديهم، فهذه علامة الإيمان الراسخ.

[٨] **الآية الثانية من سورة الفاتحة وهي**: (الرحمن الرحيم) فيها الرجاء، رجاء رحمة الله سبحانه وتعالى؛ لأنه إذا كان رحمان رحيماً، فإنه تُرجى رحمته سبحانه وتعالى.

[٩] وهي قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فيها التخويف من هذا اليوم، والإدانة يوم القيامة بالأعمال

. . . .

السيئة، ففيها الخوف. فالآية الأولى فيها محبة الله (الحمد لله رب العالمين) والثانية (الرحمن الرحيم) فيها الرجاء، رجاء رحمة الله، الثالثة فيها الخوف من عقاب الله (مالك يوم الدين)، فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة: المحبة والرجاء والخوف فهي أساس العبادة. أما من أخذ بواحدة منها فقط فإنه يكون ضالاً، فمن عبد الله بالمحبة فقط ولا يخاف ولا يرجو، فهذه طريقة الصوفية الذين يقولون: لا نعبد الله خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، وإنما نعبده لأننا نحبه. وهذا ضلال والعياذ بالله؛ لأن الرسل والملائكة أفضل الخلق، يخافون الله ويرجونه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] الرسل يخافونه ويرجونه ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] هؤلاء كما جاء في التفسير أنهم العزير وعيسى وأمه الذين كان يعبدهم المشركون، هم عباد يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، فكيف يُعبدون مع الله؟.

ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو من المرجئة الذين

. . . .

يعتمدون على الرجاء ولا يخافون من الذنوب والمعاصي، يقولون: الإيمان تصديق في القلب، أو التصديق بالقلب مع النطق باللسان، ويقولون: الأعمال إنما هي مكمِّلات. وهذا ضلال والعياذ بالله، لأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، لا يكفي واحد من هذه الأمور، لابد منها جميعاً، ليس قولاً فقط، ولا عملاً فقط، ولا اعتقاداً فقط، بل لابد من هذه الأمور الثلاثة حتى يتحقق الإيمان، ومن عبد الله بالخوف فقط، فهو على طريقة الخوارج الذين يعبدون الله بالخوف، فيأخذون بنصوص الوعيد فقط، ويتركون نصوص الوعد والمغفرة والرحمة.

فهذه طوائف الغُلاة: الصوفية والمرجئة والخوارج.

أما طريق الحق فهو الجمع بين هذه الأمور: المحبة والخوف والرجاء. هذا هو الإيمان، وهذه طريقة المؤمنين، وهذا هو التوحيد. وهذا ماجمعته هذه الآيات الثلاث (الحمد لله رب العالمين) هذه فيها المحبة (الرحمن الرحيم) هذه فيها الرجاء (مالك يوم الدين) هذه فيها الخوف.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: أعبدك يا رب بما مضى، بهذه الثلاث: بمحبتك، ورجائك، وخوفك [١٠]. فهذه الثلاث أركان العبادة، وصرفها لغير الله شرك [١١]. وفي هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحد منهن كمن تعلق بالمحبة وحدها [١٢].

أو تعلق بالرجاء وحده [١٣] أو تعلق بالخوف وحده [١٤]، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك.

---

[١٠] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نعبده بهذه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء؛ لأنها لا تتحقق العبادة إلا بها، أي بمجموع الثلاثة.

[١١] أي: من أحب غير الله فهو مشرك، من رجا غير الله فهو مشرك، من خاف من غير الله فهو مشرك.

[١٢] وهم الصوفية.

[١٣] وهم المرجئة.

[١٤] وهم الخوارج والوعيدية، يسمَّون الوعيدية؛ لأنهم أخذوا نصوص الوعيد فقط.

وفيها من الفوائد: الرد على الطوائف الثلاث التي كل طائفة تتعلق بواحدة منها. كمن عبد الله تعالى بالمحبة وحدها.

وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده كالمرجئة [١٥]، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده كالخوارج [١٦].

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فيها توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فيها توحيد الألوهية،

---

[١٥] والمرجئة سموا مرجئة؛ لأنهم أرجؤوا الأعمال، أي: أخروها عن مسمى الإيمان؛ لأن الإرجاء معناه التأخير ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١ والشعراء: ٣٦] يعني: أخر شأنه وانظر فيه، فالإرجاء معناه التأخير، سموا مرجئة؛ لأنهم أخروا الأعمال عن حقيقة الإيمان، وأخرجوها من حقيقة الإيمان.

[١٦] الخوارج هم الذين خرجوا على ولاة المسلمين وكَفَّروهم، وهم يعتمدون على نصوص الوعيد، ويكفِّرون بالكبائر التي دون الشرك، ويقولون: من مات عليها فهو مُخلَّد في النار.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها توحيد الربوبية [١٧] ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فيها الرد على المبتدعين [١٨].

---

[١٧] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيها توحيد الألوهية وهو إفراد الله بأفعال العباد التي شرعها لهم؛ لأن الألوهية معناها العبادة، والعبادة من أفعال العباد ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها توحيد الربوبية؛ لأن الإعانة من أفعال الرب سبحانه، وتوحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله.

[١٨] ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾: الهداية على نوعين: هداية دلالة وإرشاد، ودلالة توفيق وتسديد. ودلالة الهداية والإرشاد هذه حاصلة لجميع الخلق المؤمنين والكفار والمشركين؛ لأن الله دلهم وأرشدهم إلى طريق الحق، لكن الكفار لم يقبلوا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] هديناهم: يعني بينا لهم، فالله هدى جميع الخلق هداية البيان والإرشاد.

النوع الثاني: هداية التوفيق وقبول الحق، وهذه خاصة بالمؤمنين، فأنت تسأل الله نوعي الهداية.

والمستقيم: يعني المعتدل، وصراط الله مستقيم، يعني: معتدل، بخلاف طرق الضلال، فإنها ملتوية ومنحرفة

وأما الآيتان الأخيرتان ففيهما من الفوائد ذكر أحوال الناس. قسمهم الله تعالى ثلاثة أصناف: منعَم عليه، ومغضوب عليه، وضال [١٩].

فالمغضوب عليهم أهل علم ليس معهم عمل [٢٠].

ومتعرجة تُضيع من سار عليها، أما صراط الله فهو واضح معتدل، من سار عليه أفضى به إلى الجنة ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فأنت تسأل الله أن يهديك هذا الصراط.

[١٩] الناس إما منعَم عليهم، وإما مغضوب عليهم، وإما ضالون، فالمنعم عليهم هم الذين أخذوا العلم والعمل، و المغضوب عليهم هم الذين أخذوا العلم وتركوا العمل، والضالون هم الذين أخذوا العمل وتركوا العلم.

أنت تسأل الله أن يجعلك مع المنعم عليهم، وأن يُجنبك طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين. وهذه سورة عظيمة ولذلك فرضها الله عليك في كل ركعة لماذا؟ لأجل ما فيها من هذه الأسرار.

[٢٠] وهم اليهود ومن سار معهم في هذا المضمار من

والضالون أهل عبادة ليس معها علم [٢١].

وإن كان سبب النزول في اليهود والنصارى، فهي لكل من اتصف بذلك [٢٢]. الثالث: من اتصف بالعلم والعمل وهم المُنعم عليهم [٢٣].

هذه الأمة، الذين تعلموا ولم يعملوا بعلمهم.

[٢١] منهم الصوفية المبتدعة والمخرِّفون، كلهم يدخلون في الضالين؛ لأنهم يشتغلون بالعبادة ويتركون العلم، يقولون: العلم يشغلك عن العمل.

[٢٢] إن كان سبب نزول: (المغضوب عليهم) في اليهود، (والضالين) في النصارى، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولهذا يقول بعض السلف: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبَّادنا ففيه شبه من النصارى.

[٢٣] قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] هؤلاء هم المنعم عليهم، فإذا أردت أن تكون معهم فاجمع بين العلم النافع والعمل الصالح.

وفيها من الفوائد: التبرؤ من الحول والقوة؛ لأنه مُنْعَمٌ عليه [٢٤].

وكذلك فيها معرفة الله على التمام ونفي النقائص عنه تبارك وتعالى [٢٥]. وفيها معرفة الإنسان ربَّه،

---

[٢٤] وذلك في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وقوله: ﴿اهْدِنَا﴾ لأن هذا فضل من الله ليس بحولك ولا بقوتك، توفيقك للعلم النافع، وتوفيقك للعمل بالعلم هذا من الله، لو شاء ربك لكنت مع المغضوب عليهم أو من الضالين، فالذي أنعم عليك وأخرجك من الطائفتين، وجعلك مع الأنبياء والصديقين والشهداء، هو الله ـ جل وعلا ـ هذا ليس بحولك ولا بقوتك وإنما بفضل الله سبحانه وتعالى. فأنت تُعلق قلبك بالله، وتتبرأ من الحول والقوة إلا بالله سبحانه وتعالى. يقول ابن القيم:

لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم

فالقلب بين أصابع الرحمن

[٢٥] هذه السورة، إذا تأملتها وتدبرتها عرفت الله سبحانه

ومعرفة نفسه [٢٦].

فإنه إذا كان رب فلا بد من مربوب [٢٧]، وإذا كان هنا راحم فلا بد من مرحوم [٢٨]، وإذا كان

وتعالى على التمام، بأسمائه وصفاته ونعمه عليك، فيزيدك هذا إيماناً ويقيناً.

[٢٦] ومعرفة نفسك أنك ضعيف، وأنك محتاج إلى الله سبحانه وتعالى، ولهذا تقرأ هذه السورة وتكررها في كل ركعة لأنك بحاجة إليها؛ لأن فيها هذا الدعاء العظيم الذي إذا تقبَّله الله منك سعدت في الدنيا والآخرة، وإذا غفلت عنه ولم تستعمله، فإنه لا ينفعك بشيء. فهذا مما يؤكد على العبد أن يَتدبَّر القرآن خصوصاً هذه السورة العظيمة، يقول ابن القيم:

تَدَبَّر القرآن إن رُمْتَ الهدى

فالعلم تحت تدبر القرآن

[٢٧] (رب العالمين) يدل على أنه لا بد من رب خالق ومن مخلوق مربوب، مخلوق لرب العالمين.

[٢٨] (الرحمن الرحيم) إذا كان هناك راحم فلا بد من

هنا مالك فلا بد من مملوك [٢٩]، وإذا كان هنا عبد فلا بد من معبود [٣٠].

وإذا كان هنا هاد فلا بد من مهدي [٣١]، وإذا كان هنا منعم فلا بد من منعم عليه [٣٢]، وإذا كان هنا مغضوب عليه فلا بد من غاضب [٣٣]، وإذا

مرحوم، وهو المخلوق، الراحم هو الله، والمرحوم هو المخلوق.

[٢٩] (مالك يوم الدين) إذا كان هنا مالك فلا بد من مملوك، وهم العباد وجميع المخلوقات.

[٣٠] إذا كان هنا عبد، لابد أن يكون هناك معبود، وهو الله سبحانه وتعالى.

[٣١] (اهدنا الصراط) إذا كان هناك هاد وهو الله، فهناك مهدي وهو العبد.

[٣٢] (أنعمت عليهم) هذا فيه أن هناك مُنْعِم، فلابد أن يكون هناك مُنْعَم عليه، وهم جميع العباد.

[٣٣] (غير المغضوب عليهم) وهم اليهود، ومن سار بركابهم ممن تعلموا ولم يعملوا، لابد أن يكون هناك

كان هنا ضال فلا بد من مُضل.

فهذه السورة تضمنت الألوهية والربوبية، ونفي النقائص عن الله عز وجل [٣٤]، وتضمنت معرفة العبادة وأركانها [٣٥]. والله أعلم [٣٦].

غاضب وهو الله سبحانه وتعالى، والغضب من صفاته، فهو يغضب، ويسخط ويمقت، والمغضوب عليه والممقوت والمسخوط عليه هو المخلوق العاصي المخالف لأوامر الله سبحانه وتعالى.

[٣٤] كما سبق أن فيها أنواع التوحيد الثلاثة التي هي توحيد: الربوبية، والألوهية والأسماء والصفات. ونفي النقائص والعيوب عن الله سبحانه وتعالى، وهذا هو التوحيد.

[٣٥] وفيها المحبة مع التذلل والرجاء والخوف، فهذه أركان العبادة.

[٣٦] وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وجزاه الله خيراً على ما بيَّن ووضح.

الأسئلة :

- **سؤال: أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ، هذا سائل يقول: نقرأ ونسمع عن مرجئة الفقهاء، فأرجوا توضيح ذلك؟**

الجواب: مرجئة الفقهاء، أو مرجئة أهل السنة: هم الحنفية؛ لأن عندهم أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب، وأما العمل فيقولون: إنه لا يدخل في حقيقة الإيمان، لكنه شرط أو مُكمِّل للإيمان، ولذلك سموا بالمرجئة؛ لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وسموا بمرجئة الفقهاء، أو مرجئة أهل السنة. ولاشك أن هذا خطأ، المهم أنهم أخف أنواع المرجئة.

فالمرجئة على أربعة أنواع:

شر الأنواع وأقبحها الجهمية الذين يقولون: الإيمان مجرد المعرفة في القلب ولو لم يُصدق. هذا شر الإرجاء.

الثاني: من يقول: الإيمان هو الاعتقاد بالقلب فقط دون النطق باللسان، وهذا قول الأشاعرة.

الثالث: الذين يقولون: الإيمان هو النطق باللسان ولو لم يعتقد بالقلب، وهذا قول الكرامية.

النوع الرابع: الذين يقولون: الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان، وهؤلاء هم الحنفية.

- **سؤال: هل من الكفر موالاة الكفار؟**

الجواب: موالاة الكفار محرمة وباطلة،وإذا أحب ما هم عليه من الكفر صار كافراً.

- **سؤال: أثابكم الله، سائل يقول: قول المؤلف رحمه الله في الثلاثة أصول: إنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل الثلاث. هل هذه الثلاث مسائل هي الحد الواجب تعلمه في العقيدة؟**

الجواب: هذه من أهم مسائل العقيدة.

- **سؤال: أثابكم الله، البعض ممن يشاهد المباريات يتأخر عن صلاة الجماعة، وذلك حتى لا يفوتهم شيء من المباراة، فهل هذا يقدح في توحيدهم ومحبتهم لله؟**

الجواب: نعم هذا ينقص توحيدهم؛ لأنهم قدموا محبة المباراة على طاعة الله سبحانه وتعالى قدموا محبة المباراة ومشاهدتها على ما يحبه الله. ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ . . .﴾.

- **سؤال: هل التداوي بالرقية وغيرها من وسائل التداوي فيه نقص في الإيمان؟**

الجواب: التداوي بالأدوية المباحة سبب من الأسباب التي يباح تعاطيها، مع الاعتماد والتوكل على الله سبحانه وتعالى، فلا يترك الأسباب ويأخذ التوكل فقط، ولا يأخذ التوكل ويترك الأسباب، بل يجمع بينهما، هذا طريق أهل الإيمان الجمع بين فعل الأسباب النافعة مع التوكل على الله سبحانه وتعالى، والعلاج سبب مباح.

- **سؤال: بيِّن لنا كيف يكون الجمع بين محبة الوالد لأولاده ومحبته لله تعالى؟**

الجواب: نعم إذا تعارضت محبتهم مع محبة الله، وقدِّمت محبتهم على محبة الله، فهذا هو الذي فيه الوعيد، فإذا تركت صلاة الجماعة لأجل طاعة أولادك أو أحد من الخلق فقد قدمت محبتهم، أو تركت الجهاد في سبيل الله وهو متعين عليك، أو تركت الهجرة من أجل الطمع في الوطن أو في الولد أو في المسكن. فهذا من تقديم محبة هذه الأشياء على محبة الله.

والحمد لله رب العالمين

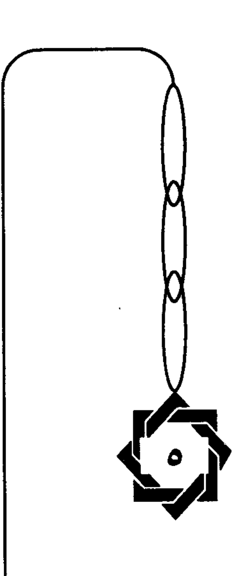

الرسالة الخامسة

نواقض الإسلام

سلسلة شرح الرسائل

٥ ـ شرح رسالة : نواقض الإسلام

للإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم

فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض [١].

---

[١] بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الشيخ رحمه الله: (اعلم) يعني: تعلم وافهم، وهذه الكلمة يؤتى بها للأهمية، والتنبيه على أهمية ما بعدها.

(أن نواقض الإسلام عشرة) النواقض: جمع ناقض، وهي المبطلات، مثل نواقض الوضوء، أي: مبطلاته، تسمى بالنواقض، وتسمى بأسباب الردة أو أنواع الردة، ومعرفتها مهمة جداً للمسلم من أجل أن يتجنبها ويحذر منها؛ لأن المسلم إذا لم يعرفها فإنه يُخشى أن يقع في

. . . .

شيء منها، وهي من الخطورة والأهمية بمكان؛ لأنها نواقض الإسلام ومبطلاته، ومعرفة أسباب الردة عن الإسلام مهمة جداً، والردة عن الإسلام: معناها الرجوع عن الإسلام، من: ارتد، إذا رجع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة ٢١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] وهذا تحذير شديد من الله للمؤمنين، : ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ ولم يتب قبل الموت ويرجع إلى الإسلام، فقد ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: بطلت ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، (مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ) يرجع عن دينه، ففي هذه الآيات التحذير من الردة والوعيدُ عليها، وأما الأحاديث فقد قال ﷺ: «لا يَحلُّ دمُ

. . . .

امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثَّيبُ الزاني، والنفسُ بالنفس، والتاركُ لدينه ـ هذا هو الشاهد: المفارق للجماعة»[1]، وقال ﷺ: «مَن بدَّلَ دينَه فاقتلوه»[2]، فإن كان المرتدون جماعة لهم شوكة فإنهم يُقاتلون كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين، حتى أخضعهم للإسلام، وقُتل من قُتل منهم على ردته، وتاب من تاب منهم، فقاتلهم رضي الله عنه محققاً بذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] قال العلماء: هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا المرتدين؛ لأنه يُخبر تعالى عن المستقبل (مَن يَرْتَدَّ) هذا في المستقبل، (فَسَوْفَ يأتي الله) جاء الله بأبي بكر الصديق وصحابة رسول الله ﷺ فقاتلوا المرتدين.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٢) أخرجه البخاري ٤/ ٧٥، وأبو داود ٢/ ٤٤٠، والترمذي ٦/ ٢٤٣، وأحمد ١/ ٢٨٢.

. . . .

وإن كان المرتد شخصاً واحداً فإنه يؤخذ ويُستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وليس هو مثل الكافر الأصلي؛ لأن المرتد عرف الحق، ودخل في دين الله باختياره وطوعه، واعترف أن الإسلام هو الحق، فإذا ارتد فهذا تلاعب منه بالدين؛ لأنه عرف الحق ودخل فيه، فإذا ارتد فإنه يُقتل حماية للعقيدة، وهذا من حفظ الضروريات الخمس أولها الدين، فلا يُترك الدين ألعوبة لمن يسلِم ثم يرتد، بل يُقتل حماية للعقيدة من التلاعب، ومن المرتدين من يُقتل بدون استتابة، وهو من تغلظت ردته، فإنه يُقتل ولا يُستتاب حماية للدين، وحماية لأول الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها.

ودراسة هذه النواقض مهمة جداً، والعلماء صنفوا فيها مصنفات، وجعلوا لها مكاناً خاصاً في كتب الفقه، وهو (حكم المرتد)، في كل كتاب من كتب الفقه يجعلون كتاباً يسمونه (كتاب حكم المرتد) أو (باب حكم المرتد) في المطولات وفي المختصرات، قالوا: والمرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه، إما لاعتقاد بقلبه، أو شك يحصل له في أمور الدين، أو فعلٍ كأن يسجد لغير الله، أو يذبح

. . . .

لغير الله، أو ينذر لغير الله، هذا فِعْلٌ مَنْ فَعَلَه فقد ارتد، أو قول بأن يتكلم بسب الله تعالى أو سب الرسول ﷺ، أو سب دين الإسلام ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦] فالردة تكون بالقول، وتكون بالفعل، وتكون بالاعتقاد، وتكون بالشك في شيء من أمور الدين، كمن شك في وجوب الصلاة، أو شك في وجوب الزكاة، أو شك في التوحيد، فإنه يُكفر، والشك، هو التردد بين أمرين. وأنواع الردة كثيرة، والشيخ رحمه الله ذكر في هذه الرسالة أهمها وأعظمها، وإلا فالنواقض كثيرة، وستجدونها في كتب الفقه في باب حكم المرتد، وللشيخ عبد الله بن محمد رحمهم الله رسالة اسمها (الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة) وهي مطبوعة في (الدرر السنية) وغيرها؛ والآن لما فشا الجهل واشتدت غربة الدين، ظهر ناس من الذين يتسمون بالعلم، ويقولون: لا تكفِّروا الناس، يكفي اسم الإسلام، يكفي أنه يقول: أنا مسلم، ولو فعل ما فعل، لو ذبح لغير الله، لو سب الله ورسوله، لو فعل ما فعل ما دام أنه يقول: أنا مسلم فلا تكفره، وعلى هذا يدخل في

. . . .

التسمي بالإسلام الباطنية والقرامطة، ويدخل فيه القبوريون، ويدخل فيه الروافض، ويدخل فيه القاديانية، ويدخل فيه كل من يدعي الإسلام، يقولون: لا تكفروا أحداً، ولو فعل ما فعل، أو اعتقد ما اعتقد، لا تفرقوا بين المسلمين، سبحان الله، نحن لا نفرق بين المسلمين، ولكن هؤلاء ليسوا مسلمين؛ لأنهم لما ارتكبوا نواقض الإسلام خرجوا من الإسلام، فكلمة لا تفرقوا بين المسلمين، كلمة حق والمراد بها باطل، لأن الصحابة رضي الله عنهم لما ارتد من ارتد من العرب بعد وفاة النبي ﷺ قاتلوهم، ما قالوا: لا تفرقوا بين المسلمين؛ لأنهم ليسوا مسلمين ما داموا على الردة، وهذا أشد من أنك تحكم لكافر بالإسلام، وسيأتيكم أن من الردة، من لم يكفر الكافر، أو شك في كفره، فهذه المسألة وهي من لم يكفِّر الكافر أو شك في كفره فهو كافر مثله، وهؤلاء يقولون لا تكفِّروا أحداً ولو فعل ما فعل، ما دام أنه يقول: لا إله إلا الله، أنتم واجهوا الملاحدة واتركوا هؤلاء الذين يدعون الإسلام، نقول لهم: هؤلاء أخطر من الملاحدة؛ لأن الملاحدة ما ادعوا الإسلام، ولا ادعوا أن الذي هم عليه إسلام، أما

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى [٢].

هؤلاء فيخدعون الناس ويدعون أن الكفر هو الإسلام، فهؤلاء أشد من الملاحدة، فالردة أشد من الإلحاد والعياذ بالله، فيجب أن نعرف موقفنا من هذه الأمور ونميزها ونتبينها؛ لأننا الآن في تعمية فهناك ناس يؤلفون ويكتبون وينتقدون ويحاضرون، ويقولون: لا تكفروا المسلمين، ونقول: نحن نكفر من خرج عن الإسلام، أما المسلم فلا يجوز تكفيره.

[٢] أعظم أنواع الردة الشرك في عبادة الله، بأن يعبد مع الله غيره، كأن يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو يسجد لغير الله، أو يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، هذا أعظم أنواع الردة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] فالشرك هو أخطر أنواع الردة، وهو أن يعبد غير الله بأي نوع من أنواع العبادات، بالدعاء، بالذبح، بالنذر، بالاستغاثة،

. . . .

بالاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، يدعو الموتى، يستغيث بالقبور، يستنجد بالأموات، هذا هو أخطر أنواع الردة وأعظمها، وهذا عليه كثير ممن يدَّعون الإسلام، يبنون الأضرحة ويطوفون بها، ويذبحون لها، وينذرون لها، ويتقربون إليها؛ يقولون لأنها تقربهم إلى الله، هم يتقربون لها، وهي بزعمهم تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، لماذا لم يتقربوا إلى الله من الأصل ويتركوا هذه المتاهات؟ ليتقربوا إلى الله فإنه قريب مجيب، لماذا تتقربون للمخلوقين وتقولون: المخلوقون يقربوننا إلى الله، هل الله سبحانه وتعالى بعيد، هل الله أغلق أبوابه، هل الله لا يعلم ولا يسمع خلقه، ولا يرى ما يفعلون، الله جل وعلا قريب مجيب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] إنه قريب مجيب، لماذا تذهب وتدعو غير الله؟ وتقول: هذا يقربني إلى الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] يعني كأن الله لا يعلم ولا يدري، هكذا زين شياطين الجن والإنس لهؤلاء وهم يدعون الإسلام

. . . .

ويشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ولكن يخلطون أعمالهم بالشرك الأكبر، فيخرجون من دين الإسلام، وهم يصلون ويصومون ويحجون، والذي يراهم يظن أنهم مسلمون، فينبغي معرفة هذا، فالشرك بالله عز وجل هو أخطر الذنوب، وأعظم الذنوب، ومع خطره وشره وقع فيه كثير ممن يدعون الإسلام، ولا يسمونه باسم الشرك، يسمونه التوسل، أو يسمونه طلب الشفاعة، أو يسمونه بأسماء غير الشرك، ولكن الأسماء لا تغيِّر الحقائق، الشرك هو الشرك، وهذا أخطر الأنواع، وأكثر الأنواع وقوعاً مع أنه ظاهر في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ظاهر، المناداة والتحذير منه والتوعد عليه، ظاهر لا تخلو سورة من القرآن من التحذير من الشرك، ومع هذا يقرؤون القرآن ولا يتجنبون الشرك، وربما يأتي واحد ويقول: هؤلاء جهَّال معذورون بالجهل، فنقول إلى متى الجهل، والقرآن يُتلى وهم يحفظون القرآن ويقرؤونه، لقد قامت عليهم الحجة ببلوغ القرآن ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] كل من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة ولا عذر له.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦] [٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ

---

[٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ هذا يدل على أن الشرك هو أعظم الذنوب بحيث أن الله لا يغفر لصاحبه إلا إذا تاب منه، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ما دون الشرك، كالزنا وشرب الخمر والسرقة وأكل الربا، هذه كلها دون الشرك، وهي داخلة تحت المشيئة، وأصحابها أصحاب كبائر وهم فُساق، ولكنهم لم يقعوا في الشرك، وإنما وقعوا في الكبائر، فهي تنقص إيمانهم، ويُحكم عليهم بالفسق، ولو ماتوا ولم يتوبوا، فإنهم تحت المشيئة إن شاء الله غفر لهم بما معهم من التوحيد، وإن شاء عذبهم بذنبوهم، ثم مآلهم إلى الجنة بالتوحيد الذي معهم، هذا مآل أصحاب الكبائر التي دون الشرك، وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ دل على أن جميع الذنوب كلها دون الشرك، وأن الشرك هو أعظمها وأخطرها، فدل على خطورة الشرك، وأنه أعظم الذنوب.

عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] [٤].

---

[٤] هذه عاقبته في الآخرة، أنه حرم عليه الجنة، يعني منعه من دخولها منعاً باتاً مطلقاً، لا مطمع له فيها، أين يذهب، إذا لم يكن من أهل الجنة فأين يذهب، يصير عَدَماً؟ لا، مأواه النار خالداً مخلداً فيها ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ يعني المشركين؛ لأن الشرك ظلم وهو أعظم الظلم، ما لهم من أنصار: ما أحد يستطيع أن يخرجهم من النار، أو يشفع لهم عند الله، كما يُشفع لأصحاب الكبائر ويخرجون من النار بالشفاعة، هؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين، ﴿مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، المشرك لا تُقبل فيه شفاعة ـ والعياذ بالله ـ ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ مأواه: يعني مقره، وبئست المأوى، ليس له مأوى غيرها أبد الآباد، فَذَنْبٌ هذا خطره وهذه عاقبته، هل يجوز تجاهله وعدم معرفته وعدم التحذير منه؟! ويُقال: اتركوا الناس، اتركوا القبوريين، وعباد الأضرحة، واتركوا كل من عنده ردة اتركوه، ما دام أنه يدَّعي الإسلام فهو مسلم، وواجهوا الملاحدة، نقول: هؤلاء أشد من الملاحدة وأخطر من الملاحدة.

ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر [٥].

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً [٦].

---

[٥] الشيخ رحمه الله ذكر هذا المثال لأنه واقع، ويتساهل الناس فيه، ويذبحون لغير الله، يذبحون للجن اتقاءً لشرهم، ويذبحون لهم من أجل العلاج والشفاء، يتساهل الناس في هذا، وهو كثير الوقوع مع أنه شرك أكبر يُخرج من الملة، وما هو سهل، يقول له الشيطان اذبح خروفاً، اذبح دجاجة هذا سهل، ولكن لا ينظر إلى الشرك، فالذي ذبح ذباباً، دخل النار، ليس النظر إلى المذبوح، وإنما النظر إلى العقيدة، النظر إلى نية القلب، النظر إلى عدم المبالاة بالشرك، ليس النظر إلى قيمة المذبوح، فالذي ذبح ذباباً دخل النار، الناس يتساهلون في هذا، من أجل أن يقضي حاجته، أو يعلمه الشيء الغائب، أو يخبره عن المال المفقود، أو غير ذلك من الأمور التي يسأله عنها، فيخرج من دينه والعياذ بالله، ويرتد في شيء يظنه أنه سهل، فالأمر خطير جداً.

[٦] هذا نوع من الناقض الأول وهو الذي يجعل بينه

. . . .

وبين الله وسائط، ولكن الشيخ أفرده وجعله نوعاً مستقلاً لكثرة وقوعه؛ لأن هذا يقع ممن يدَّعون الإسلام، وهذا كثير عند القبوريين، يتقربون إلى الولي ليشفع لهم عند الله، أو يوصل حوائجهم إلى الله، بزعمهم، هذا اتخاذ الوسائل من دون الله عز وجل، يذبح لهم وينذر لهم، ويستغيث بهم، ويقول: هذا ليس بشرك، هذا إنما هو توسط، طلب واسطة وشفاعة توصلني إلى الله، هذا رجل صالح له مكانة عند الله، فأنا أتقرب إليه من أجل أن يقربني إلى الله، هذه حجته، وهي حجة المشركين الأولين ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] يقولون: ما جعلناهم شركاء لله، ولكن جعلناهم وسائط يقربوننا، والله سماه شركاً ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] فسماه شركاً، مع أنهم يسمونه تشفُّعاً، وهذا هو الواقع، أن كثيراً ممن يدعون الإسلام وما يفعلونه مع القبور الآن، يتخذونها وسائط بينهم وبين الله، فهذه المسألة خفيت على كثير حتى من

الثالث: من لم يُكفِّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر [٧].

طلبة العلم، وهناك علماء يدافعون عن هؤلاء، ويقولون: هذا ليس بشرك، الشرك عبادة الأصنام، وهؤلاء ما يعبدون أصناماً، يا سبحان الله، عبادة الأصنام نوع من أنواع الشرك، الشرك هو عبادة غير الله سواءٌ كان صنماً أو شجراً أو حجراً أو قبراً أو ولياً، أو ملكاً من الملائكة، أو ولياً من الأولياء، أو صالحاً من الصالحين، هذا هو الشرك، وليس الشرك عبادة الأصنام فقط.

[٧] وهذه المسألة خطيرة جداً، يقع فيها كثير من المنتسبين للإسلام، من لم يكفِّر المشركين، يقول: أنا والحمد لله ما عندي شرك، ولا أشركت بالله، ولكن الناس لا أكفرهم، نقول له: أنت ما عرفت الدين، يجب أن تكفر من كفره الله، ومن أشرك بالله عز وجل، وتتبرأ منه كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه وقال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧].

(أو صحح مذهبهم) وهذه أشد، إذا صحح مذهبهم، أو قال: في الذي يعملونه نظر، هذا إنما هو اتخاذ وسائل،

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر [٨].

أو يقول: هؤلاء جهال وقعوا في هذا الأمر عن جهل، ويدافع عنهم، فهذا أشد كفراً منهم؛ لأنه صحح الكفر، وصحح الشرك، أو شك، فنقول له: كونك مسلماً وتابعاً للرسول ﷺ، والرسول جاء بتكفير المشركين وقتالهم واستباحة أموالهم ودمائهم، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس ليقولوا: لا إله إلا الله»[١]، «بُعثت بالسيف حتى يُعبد الله»[٢]، ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ فتنة: يعني شرك، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

[٨] من أنواع الردة، الحكم بغير ما أنزل الله، إذا اعتقد أن هذا أمر مباح، وأنه يجوز أن يحكم بالشريعة، ويجوِّز

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢٠)، ومالك في الموطأ ١/ ٢٦٩، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي ٥/ ١٤ من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه أحمد (٥١١٥)، وابن أبي شيبة ٥/ ٣١٣، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٩٩)، وابن حجر في تغليق التعليق ٣/ ٤٤٥.

. . . .

أن يحكم بالقوانين ويقول: المقصود حل النزاعات، وهذا يحصل بالقوانين، ويحصل بالشريعة، فالأمر متساو، نقول: سبحان الله، تجعل حكم الطاغوت مثل حكم الله!! تحكيم شرع الله هذا عبادة لله عز وجل، ليس القصد منه فقط حل النزاع، القصد منه العبادة بتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى، وتحكيم غيره شرك، شرك في الطاعة وشرك في الحكم، أما ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] فسماه شركاً، فالذي يسوي بين حكم الله وحكم الطاغوت، والطاغوت المراد به: كل حكم غير حكم الله، سواءٌ عوائد البادية أو أنظمة الكفار، أو قوانين الفرنس أو الإنجليز، أو عادات القبائل، كل هذا طاغوت، وكذا تحكيم الكهان، فالذي يقول: إنهما سواء كافر، وأشد منه من يقول: إن الحكم بغير ما أنزل الله أحسن من الحكم بما أنزل الله، هذا أشد، فالذي يقول: الناس ما يصلح لهم اليوم إلا هذه الأنظمة، ما يصلح لهم الشرع،

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر [٩].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول أو

الشرع ما يطابق لهذا الزمان، ولا يساير الحضارة، ما يصلح إلا تحكيم القوانين، ومسايرة العالم، تكون محاكمنا مثل محاكم العالم، هذا أحسن من حكم الله، هذا أشد كفراً من الذي يقول: إن حكم الله وحكم غيره متساويان.

أما إذا حكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه، أو جهل بما أنزل الله، وهو يعتقد أن حكم الله هو الحق، وهو الواجب، فهذا فعل كبيرة من كبائر الذنوب وذلك كفر دون كفر.

[٩] الخامس من نواقض الإسلام من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، فبغض ما جاء به الرسول ردة، ولو عمل به، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، الكراهة هي البغض هذا ردة ولو عمل به، فإنه يكفر، بغضه في القلب كفر، ولو كان يعمل به في الظاهر، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

ثواب الله، أو عقابه كفر [١٠].

---

[١٠] السادس من أنواع الردة: الاستهزاء بما أنزل الله، أو بشيء مما جاء به الرسول، ولو كان من السنن والمستحبات، كالسواك وقص الشارب وأخذ شعر الإبط وتقليم الأظافر، إذا استهزأ به صار كافراً، الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦] فالذي يستهزئ بشيء مما جاء به الرسول فرضاً أو واجباً أو سنةً فإنه يكون مرتداً عن دين الإسلام، ما بالكم بالذي يقول: إعفاء اللحية وحَفُّ الشارب وأخذ الآباط وغسل البراجم هذه قشور، هذا هو الاستهزاء بدين الله عز وجل، إذا قالوا هذا الشيء ولو كانوا هم يعملونه فإنهم يرتدون عن الدين؛ لأن هذا تنقُّص لما جاء به الرسول ﷺ، فالواجب تعظيم سنة الرسول ﷺ، واحترامها، وحتى لو أن الإنسان وقع في شيء من المخالفة لهوى في نفسه فإنه يحترم سنة الرسول ﷺ، يحترم السنن، ويحترم الأحاديث، ولا يقول: هذه قشور.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ـ٦٦] [١١].

---

[١١] سبب نزول الآية أن جماعة كانوا مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك، وهم مسلمون، ثم في مجلس صاروا يقولون: ما رأينا مثل قُرائنا هؤلاء، أكذب ألسنة، وأرغب بطوناً، وأجبن عند اللقاء، يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان معهم شاب من الصحابة فاغتاظ من هذا الكلام، وذهب يبلغ الرسول ﷺ بما قاله القوم، فوجد الوحي قد سبق، فجاء القوم يعتذرون لما علموا أن الرسول اطلع على ما دار في مجلسهم وقال: واحد منهم وتعلق بنسعة ناقة النبي ﷺ وهو راكب، وقال: يا رسول الله إننا نتحدث حديث الركب، نقطع به عنا السفر، ما قصدنا الاستهزاء، وإنما قصدنا المزح، والرسول ﷺ لا يلتفت إليه، وإنما يقرأ عليه هذه الآية ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ لاحظ قوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ فدل على أنهم قبل هذه المقالة كانوا مؤمنين،

. . . .

فلما قالوها ارتدوا عن الإسلام، وهم يقولون: هذا مزح، لأن أمور الدين لا يُمزح فيها، فقد كفَّرهم الله بعد إيمانهم، نسأل الله العافية.

فهذا دليل على أن من سب الله أو رسوله أو كتابه أو شيئاً من القرآن أو شيئاً من سنة الرسول ﷺ، أنه يرتد عن الإسلام، وإن كان يمزح، وأين الذين يقولون: إنه لا يرتد إلا إذا نوى من قلبه؟ فلو سب الله والرسول أو القرآن، ما نحكم عليه إلا إذا كان اعتقده، ما نحكم عليهم بمجرد التكلم أو التلفظ أو الفعل، من أين أتوا بهذا الكلام وهذا القيد؟ الله حكم عليهم بالردة، وهم يقولون: ﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، هم مؤمنون بالله ورسوله موحدون، ولكن لما قالوا هذه المقالة الله جل وعلا قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ولم يقل: إن كنتم تعتقدون هذا، نسأل الله العافية، فيجب أن الأمور تنزل منازلها ولا نتدخل فيها بزيادات أو نقص أو تقييدات من عند أنفسنا، الله ما سأل عن عقيدتهم، ما ذكر أنهم يعتقدون، بل حكم عليهم بالردة بعد الإيمان ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ رتب هذا على القول، رتب هذا على الاستهزاء، ولم يقيده بهذه القيود،

السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢] [١٢].

الإنسان إذا تكلم بكلمة الكفر وهو غير مكره يُحكم عليه بالردة، أما إن كان مكرهاً فهذا لا يرتد.

[١٢] النوع السابع من أنواع الردة السحر، والسحر عمل يعمله الساحر، وهو على نوعين: سحر حقيقي، وسحر تخييلي.

النوع الأول: سحر حقيقي هو عبارة عن عُقد، ينفث فيها الساحر، ورقى وكلام يُتَمْتم به، ويستعين بالشياطين في كلامه، وعزائم يعلقونها، وكتابات طلاسم يكتبونها بأسماء الشياطين، هذا هو السحر الحقيقي، هذا يؤثر في المسحور، إما بقتله وإما بإمراضه وإما بالإخلال بعقله.

والنوع الثاني تخييلي، بأن يعمل أشياء يُخيل إلى الناس أنها صحيحة، وهي غير صحيحة، يُخيل للناس أنه يقلب الحجر إلى حيوان، أو أنه يقتل شخصاً ويحييه، يقطع رأسه

. . . .

ثم يرده، أو أنه يجر السيارة بشعره أو بأسنانه، أو أن السيارة تمشي عليه ولا تضره، أو أنه يدخل في النار، أو يأكل النار، أو يطعن نفسه بالحديد، يطعن عينه بأسياخ الحديد، أو يأكل الزجاج، كل هذه من أنواع الشعوذة، وهي لا حقيقة لها، مثل سحر سحرة فرعون، قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] وقال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦] هذا سحر تخييلي، وهذا يسمونه القمرة، التي يعملها الساحر على أعين الناس، ثم إذا انتهت القمرة، عادت الأشياء إلى حقيقتها، والسحر كفر والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] السحر تعلُّمه وتعليمه كفر بالله عز وجلَّ، وهو نوع من أنواع الردة، فالساحر مرتد، إذا كان مؤمناً ثم سحر فإنه يرتد عن دين الإسلام، ويُقتل ولا يُستتاب، عند بعض العلماء؛ لأنه حتى ولو تاب في الظاهر فهو يخادع الناس، ولا يزول علم السحر من قلبه ولو تاب.

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]) الله جل وعلا أنزل

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين [١٣].

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] [١٤].

ملَكين من السماء يعلمان السحر، ابتلاءً للناس، وامتحاناً للناس، فإذا جاءهم من يريد تعلم السحر نصحاه، وقالا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يعني لا تتعلم السحر، فدل على أن تعلم السحر كفر.

[١٣] الثامن من أنواع الردة مظاهرة المشركين على المسلمين، أي معاونتهم، فالمظاهرة معناها المعاونة، بأن تعين الكفار، على قتال المسلمين وأذية المسلمين.

وكذلك من أحب الكفار فإنه يكفر، وهذا هو التولِّي ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ يتولاهم بالمناصرة والمظاهرة، أو يتولاهم بالمحبة، فإنه يكفر؛ لأنه أحب الكفر وأحب الكفار فيكفر بذلك، إذا أحبهم معناه أنه لم ينكر الكفر، ومن لم ينكر الكفر فهو كافر.

[١٤] أول الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر [١٥].

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أي لا تتولوهم لا بمظاهرة ولا بمحبة ولا بمعاونة ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ يعني من المسلمين ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي يكون من اليهود والنصارى وهذا دليل على ردته، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فسماهم ظالمين.

[١٥] التاسع من أجاز لأحد أن يخرج عن شريعة محمد ﷺ؛ لأن الله بعث محمداً ﷺ إلى الناس كافة، وأوجب طاعته على العالمين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأراف: ١٥٨]، فمن لم يستجب للرسول ويتبع هذا الرسول فهو كافر، سواءٌ أكان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، أو أي ملة كان؛ لأنه ببعثته أوجب الله طاعته واتباعه، ومن كان على دين اليهودية والنصرانية فإنه قد نُسخ ببعثته ﷺ، فلا يسع أحداً أن يخرج عن طاعته.

أما خروج الخضر عن طاعة موسى، فلأن موسى لم

. . . .

يرسَل إلى الخضر؛ لأن رسالة موسى خاصة ببني إسرائيل، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥] فرسالة موسى عليه السلام لبني إسرائيل، ما هي عامة لجميع الناس، فلذلك الخضر كان على عبادة لله، واختلف العلماء في الخضر هل هو نبي أو رجل صالح؟ على قولين:

القول الأول: إنه نبي؛ لأنه عمل أشياء لا تكون إلا معجزات، مثل خرقه للسفينة، ومثل ذبحه الولد، ومثل إقامته الجدار الذي يريد أن ينقض، هذه أمور معجزة لأنها مبنية على أشياء مغيبة، والمعجزات لا تكون إلا لنبي، وأصل قصة موسى مع الخضر، أن موسى عليه الصلاة والسلام خطب في بني إسرائيل، فسألوه: هل هناك أعلم منه، فقال: لا، فأوحى الله إليه أن هناك عبداً في أرض كذا وكذا عنده من العلم ما ليس عندك، فذهب موسى عليه الصلاة والسلام إلى هذا الرجل يطلب ذلك العلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ سافر ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ إلى آخره، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ

. . . .

رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٤ - ٧٨] إلى آخر القصة التي ذكرها الله في سورة (الكهف) هذا أصل القصة، فالخضر ما هو من أمة موسى، لأن موسى لم يُبعث إلى الناس كافة، فلذلك وسعه الخروج، أما محمد ﷺ فإنه مبعوث إلى الناس كافة، فلا يسع أحداً الخروج عن شريعته، وهذا فيه رد على الصوفية الذين يزعمون أنهم يصلون إلى حالة ليسوا بحاجة إلى اتباع الرسل، وأنهم يأخذون عن الله مباشرة، ولا يأخذون عن الرسول، ويقولون: إن الرسل إنما هم للعوام، أما الخواص فلا يحتاجون إلى الرسل؛ لأنهم يعرفون الله ويصلُّون إلى الله، ويأخذون عن الله مباشرة، هذا ما عليه غلاة الصوفية، إنهم يصلون إلى حالة يستغنون عن الرسول ﷺ، ويخرجون عن شريعته، ولذلك لا يصلُّون ولا يصومون ولا يحجون، ولا يعملون بما جاء به الرسول؛ لأنهم خواص يقولون: ما نحن بحاجة إلى الرسول، نحن وصلنا إلى الله نسأل الله العافية، هذا قصد الشيخ من ذكر هذه المسألة، هذا رد على الصوفية الذين

العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى، لا يتعلمه ولا يعمل به [١٦].

يزعمون أنهم يسعهم الخروج عن شريعة محمد ﷺ؛ لأنهم ليسوا بحاجة إليه.

[١٦] العاشر وهو الأخير، الإعراض عن دين الله، لا يهتم بالدين، لا يتعلم، ولو تعلم لا يعمل، يُعرض عن العلم أولاً، ثم يعرض عن العمل نسأل الله العافية، وحتى لو عمل وهو على غير علم فعمله ضلال، فلابد أن يتعلم أولاً ثم يعمل، أما من أخذ العلم وترك العمل فهذا من المغضوب عليهم، ومن أخذ العمل وترك العلم فهذا ضال، وهذا ما نستعيذ منه في كل ركعة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧] فمن أعرض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، فإنه يكون مرتداً عن دين الإسلام، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، أعرض عن ذكري: لم يتعلمه ولم يعمل به، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] أعرض عنها بعد ما ذكّر بها.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] [١٧].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه، نعوذ

وهناك إنسان لا يتعلم من باب الكسل، هذا لا يكفَّر ولكنه يُلام على كسله، أما إذا كان ترك طلب العلم عدم رغبة في العلم، هذا هو الإعراض والعياذ بالله، هذا هو الذي يكفر، ولكن إن كان المرء يرغب العلم ويحب العلم ولكنه عنده كسل، لأن طلب العلم صعب يتطلب صبراً، ويتطلب تحملاً، ويتطلب جلوساً، وهو كسلان، فهذا يُلام على كسله وعلى تفريطه، ولكنه لا يصل إلى حد الكفر.

[١٧] الإعراض الذي يدل على عدم الرغبة في العلم أو كراهية العلم، هذا هو الكفر والعياذ بالله.

بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه [١٨]. وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

---

[١٨] لا فرق في هذه النواقض العشرة بين الجاد: الذي يقصد ما يقول أو يفعل، والهازل: وهو الذي لا يقصد، وإنما يفعل هذا من باب المزح واللعب، وفي هذا رد على المرجئة الذين يقولون: لا يكفر حتى يعتقد بقلبه، لا فرق بين الجاد والهازل، أو الخائف الذي يفعل هذه الأشياء دفعاً للخوف، فالواجب عليه أن يصبر.

(إلا المكره) إذا أُكره أن يقول كلمة فيها كفر، ولم يمكنه التخلص من الظلم إلا بها، فرخص له الله في ذلك ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] بهذا الشرط، ويكون قصده دفع الإكراه فقط، إلا أن قلبه لا يعتقد بما يتلفظ به، كما حصل لعمار بن ياسر الذي سبب نزول الآية فيه رضي الله عنه، لما أخذه الكفار وعذبوه حتى يقول في محمد ﷺ، أي يسب الرسول ﷺ، فوافقهم وسبَّ الرسول، وجاء نادماً إلى الرسول ﷺ خائفاً مما حصل له، فقال له النبي ﷺ: «كيف تجد قلبك» قال: مطمئنًا بالإيمان، قال: «فإن عادوا

. . . .

فعد»[١]، وأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

(نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه) آمين.

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١/ ٣٦٠، وابن سعد ٣/ ٢٤٩، والطبري في التفسير ١٤/ ٣٧٤، والحاكم ٢/ ٣٥٧، والبيهقي في دلائل النبوة ٨/ ٢٠٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٣/ ٣٧٣، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٣٢.

الأسئلة :

- **سؤال: ما هو الفرق بين الكافرين والمشركين؟**

الجواب: بينهما عموم وخصوص، الشرك أعم من الكفر، فكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشركاً، فالمشرك يعبد الله ويعبد غيره، وأما الكافر فإنه يجحد وجود الله جل وعلا ولا يعترف بالله عز وجل، ولا يعترف بدين من الأديان، هذا هو الكافر الجاحد، أما المشرك فهو يعترف، ويعتقد، ولكن يعبد الله ويعبد غيره، فهو مشرك كافر، فكل مشرك فإنه كافر، وليس كل كافر يكون مشركاً؛ لأن الكافر قد يكون ملحداً جاحداً.

- **سؤال: أحسن الله إليكم، يقول: أشكل علينا قول المؤلف: (الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به) هل يدخل فيه العوام اليوم الذين لا يفقهون العلم الشرعي، ولا يرغبون به، ولكنهم تعلموا من طفولتهم التوحيد وعملوا به؟**

الجواب: لا يدخل هؤلاء لأنهم عاجزون عن التعلم أو

متكاسلون عن التعلم، هم مسلمون وهم مؤمنون ويعبدون الله، ما هم مثل المُعرض، المعرض الذي ماله رغبة في العلم ولا له رغبة في الدين، هذا هو المعرض.

- **سؤال: فضيلة الشيخ، حاطب بن أبي بلتعة عاون المشركين والكفرة ولم يكفره النبي ﷺ، فهل كل من عاون الكفار من المسلمين يكفر؟**

الجواب: حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه له من السوابق ما كفَّر الله به عنه؛ لأنه من أصحاب بدر، وقد قال النبي ﷺ: «إن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وهو مؤمن صادق الإيمان، ولكنه فعل ما فعل لأنه تأول لنفسه، وظن أن هذا ما يضر المسلمين، ولذلك الرسول ﷺ لم يكفره؛ لأنه صحابي جليل حصل منه خطأ عن تأويل، وله سابقة كفرت عنه ما حصل.

- **سؤال: أثابكم الله، يقول: هل الفطرة حجة على من كفر؟**

الجواب: الحجة بإرسال الرسل، أما الفطرة وحدها فلا تكفي حجة، لو كانت الفطرة حجة ما أرسل الله الرسل

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾، لا تعرف الواجبات والمحرمات والمكروهات، هذا ما يبينه إلا الرسل، ولكن الفطرة تربة صالحة للخير، ولكنها لا تكفي، لو عاش الإنسان عليها ولم يتعلم ولم يعمل شيئاً، فإنها لا تكفي.

- **سؤال: أثابكم الله، إذا مد الكفار يدهم ليصافحوا هل أعرض؟**

الجواب: إذا سلموا عليك ومدوا أيديهم إليك فصافحهم ما فيه بأس، أما أنك تبدأهم بالسلام وبالمصافحة فهذا لا يجوز.

- **سؤال: من قال: بالذهاب إلى العرافين في محاولة البحث عن المفقود من الأموال مثلاً، وهو يعتقد أنه لا يجوز الذهاب إليهم في شفاء من مرض؟**

الجواب: لا يجوز هذا، لأن «من أتى عرافاً، لن تُقبل له صلاة أربعين يوماً»[1]، «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠)، وأحمد (١٦٦٣٨)، والبيهقي في السنن ٨/ ١٣٨.

بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد»[١] ولما سئل عن الكهان، قال ﷺ: «لا تأتهم»[٢] فلا يجوز الذهاب إليهم حتى ولو لم يصدقهم.

- **سؤال: أثابكم الله، من أنكر حديثاً أو حكماً من الأحكام بدعوى أن هذا حديث آحاد، هل يكفر بذلك؟**

الجواب: لا يكفر بذلك إذا كان متأولاً؛ لأن أكثر هؤلاء مقلدون لمن قبلهم، ومتأولون، فلا يكفَّرون، ولكن يخطَّؤون ويُضللون.

- **سؤال: أحسن الله إليكم، يقوم بعض الأخوة بفرض غرامة مالية على من قال على زميله بكلمة نابية أو غيرها، ثم تجمع هذه الغرامات بعد فترة، ويقيمون بها عشاءً أو غداءً، وإذا كان الخطأ كبيراً فرضوا على المخطئ ذبيحة وأصلحوا بين المتخاصمين، فما حكم هذا؟**

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤) والترمذي (١٣٥)، والنسائي في الكبرى (٩٠١٧)، وأحمد (٩٢٩٠) و(١٠١٦٧)، وابن أبي شيبة ٤/ ٢٥٢، والدارمي (١١٣٦)، والبيهقي في السنن ٧/ ١٩٨.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧)، والنسائي ٣/ ١٤، وأحمد (٢٣٧٦٢)، والطيالسي (١١٥٠)، وابن خزيمة (٨٥٩)، وابن حبان (٢٢٤٧)، والبيهقي في السنن ٢/ ٢٤٩.

هذا لا يجوز، لأنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه، أما أنه يُفرض عليه ويُلزم به، فهذا حرام.

- **سؤال: ما حكم التعظيم للاعب كرة محترف كافر، ويثني عليه عندما يتسبب في نصر الفريق؟**

الجواب: ما أثنى على كفره وإنما أثنى على لعبه ومهارته في لعبه، فعلى كل حال هذا خطر ويأثم عليه، ولكن ما يصل إلى حد الكفر، الكفر لو أنه مدحه على كفره، وعلى ضلاله، أو شركه فإنه يكون كافراً، أما على لعب الكرة أو المهارة في صناعة، فهذا فيه تعظيم للكافر وفيه إثم ولكن ما يصل إلى حد الكفر.

- **سؤال: أثابكم الله، ما القول فيمن يقول: لا يكفر المعين إلا إذا استوفى الشروط وانتفت الموانع؟**

الجواب: من صدر منه الكفر قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً أو شكاً فإنه يُحكم بكفره، أما ما في قلبه هذا لا يعلمه إلا الله، نحن ما وُكلنا بالقلوب، إنما نحن موكلون بالظاهر، فمَن أظهر الكفر حكمنا عليه بالكفر، وعاملناه معاملة الكافر.

- **سؤال: ما حكم مشاهدة أفعال السحرة، ولو لم يعتقد فيما يفعله؟**

الجواب: هذا رضي بالمنكر.

- **سؤال: أثابكم الله، شخص يلجأ إليه الناس قبل حفر الآبار، ويدعي أنه يرى الماء، ويقوم الناس بتصديقه.**

الجواب: هو ما يدعي أنه يرى الماء، ولكن يدعي أنه يعرف التربة وأنواع الشجر التي في الأرض، علامات يستدلون بها، هذا لا بأس؛ لأنه يستدل بأشياء ظاهرة، وهي نوع التربة نوع الشجر الذي ينبت في الأرض، بحكم خبرتهم بهذه الأمور.

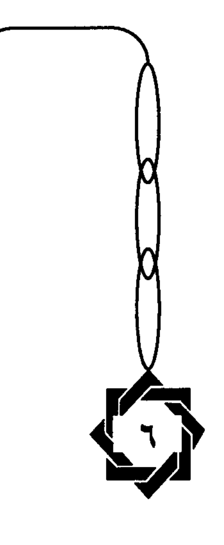

الرسالة السادسة

الجامع لعبادة الله وحده

سلسلة شرح الرسائل

٦ ـ شرح رسالة : الجامع لعبادة الله وحده

للإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم

فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن قيل: فما الجامع لعبادة الله وحده؟

قلت: طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه [١]

---

[١] بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد فإن الله سبحانه وتعالى، خلق الجن والإنس لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] بل إنه سبحانه خلق الملائكة أيضاً لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ و٢٠]، والعبادة مأخوذة من

. . . .

التعبد وهو التذلل، يقال: طريق معبد، إذ ذللته الأقدام، هذا من ناحية اللغة. وأما في الشرع: فعرَّفها العلماء تعاريف كثيرة.

التعريف الأول: أنها غاية الحب مع غاية الذل.

كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه

مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر

ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله

لا بالهوى والنفس والشيطان

فلا بد من الجمع بين الأمرين، غاية الحب مع غاية الذل، فمن أحب شيئاً ولم يذل له، لم يكن ذلك عبادة له، كما يحب الإنسان زوجته، ويحب أولاده، لكنه لا يذل لهم، فحب الزوج لزوجته وحبه لأولاده، وحب الولد

. . . .

لأبويه وأقاربه، لا يسمى عبادة، لأنه ليس معه ذل، وكذلك من ذل لشيء ولم يحبه فليس ذلك عبادة له، كمن ذل لجبار من الجبابرة، أو لظالم من الظلمة، لكنه لا يحبه، فهذا ليس بعبادة، إنما العبادة ما جمعت بين الأمرين: غاية الحب مع غاية الذل، وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، ولا بد أن تدور عليهما أفلاك العبادة بجميع أنواعها، ولهذا قال:

وعليهما فلك العبادة دائر
ما دار حتى قامت القطبان

يعني على الأصلين الحب والذل.

فإنسان يقتصر على الحب والذل من غير أن يفعل ما أمر الله به، وأن يترك ما نهى الله عنه، لا يعتبر عابداً لله، فغاية الحب مع غاية الذل يقتضيان امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه، وبهذا تتحقق العبادة.

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بتعريف شامل دقيق، فقال: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من

فإن قيل: فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى [٢].

الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، كل ذلك عبادة، وله رسالة في هذا جيدة، اسمها العبودية، ذكر فيها هذا التعريف، وذكر أنواع العبادة التي أمر الله تعالى بها في كتابه، أو أمر بها رسوله ﷺ في سنته.

والشيخ هنا يقول: (فإن قيل) يعني لو سئلتَ (ما الجامع لعبادة الله؟) أي: ما هو التعريف الجامع لعبادة الله باختصار، فإنك تقول: (طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه).

[٢] العبادة أنواع كثيرة كما قال شيخ الإسلام: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فتكون ظاهرة على الجوارح كالصلاة والصيام والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام وغير ذلك، وهذه عبادات ظاهرة، والعبادات الباطنة تكون في القلوب، من الخوف والخشية والرغبة والرهبة والمحبة والتوكل والإنابة هذه كلها عبادات قلبية لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ومنها ما هو على اللسان

قلتَ: من أنواعها الدعاء [٣].

مثل ذكر الله، والتسبيح والتهليل والتحميد، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع.

[٣] أنواع العبادة كثيرة أعظمها الدعاء، قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. أمر الله بدعائه وسمى ذلك عبادة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أي: عن دعائي، وقال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة»(١).

فالدعاء هو أعظم أنواع العبادة، فمن دعا غير الله من الموتَى والمقبورين والجن والشياطين، فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وقال سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] مخلصين له في الدعاء، فسمى الدعاء ديناً كما سماه في الآية الأخرى عبادة، إذاً فالدعاء دين، والدعاء عبادة الله عز وجل، وهذا مما يدل على عظم

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، والترمذي (٢٣٧٢)، وابن حبان (٨٩٠).

. . . .

الدعاء، وأنه لا يجوز أن يدعو غير الله سبحانه وتعالى، فإنه هو القادر على كل شيء، وهو الذي إذا دعوته فإنه يقدر على إجابتك ويقدر على إعطائك ما تريد، أما غير الله فإنه عاجز، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ و٢٣] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] لأنهم أموات أو جمادات لا تسمع الدعاء ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟﴾ [فاطر: ١٤] ما يقدرون على الإجابة؛ لأنهم فقراء لا يملكون شيئاً، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢] فيكف يدعون مع الله سبحانه وتعالى؟ بل كيف يترك دعاء الله ويصرف الدعاء لغير الله من هؤلاء الأموات، والأشجار والأحجار والغائبين؟ أين عقول بني آدم تدعو أناساً لا يسمعون، ولو أنهم سمعوا لم يقدروا على الإجابة؛ لأنهم لا يملكون شيئاً؟!

والاستعانة [٤].

---

[٤] الاستعانة: طلب العون، على أمر من الأمور، وطلب العون على قسمين، القسم الأول: أن تطلب العون ممن يقدر على إعانتك، وهذا يجوز أن تستعين بالمخلوق فيما يقدر عليه، والله جل وعلا يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] فالتعاون بين الناس فيما يقدرون عليه وينفعهم أمر طيب، إذا كان الإنسان حياً حاضراً على أن يعينك فهذا لا بأس به، كأن تطلب من يساعدك بالمال، أو يعينك على حمل شيء، أو يعينك على بناء حائط، أو يعينك على حصاد زرع، وهذه أمور يقدر عليها الناس، لا بأس بالاستعانة بالمخلوقين فيها، ولا يعد هذا شركاً «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[1].

النوع الثاني: الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالاستعانة في حصول الرزق، أو الاستعانة بحصول الولد والذرية، أو الاستعانة في شفاء المرضى، أو غير ذلك، فهذا لا يطلب إلا من الله، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٢٢٧)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٤٢٥) وابن ماجه (٢٢٥) من حديث أبي هريرة.

والاستغاثة [٥].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نعبد سواك؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، ثم قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الاستعانة نوع من أنواع العبادة وهي طلب العون من الله تعالى.

وعطفها عليها من باب عطف الخاص على العام اهتماماً به، فالاستعانة بالله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، كشفاء المرضى وإنزال المطر، وإيجاد الرزق، وغير ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، فهذه لا تطلب إلا من الله، لا تطلب من الأموات، ولا من القبور، ولا من الأضرحة، ولا من الأصنام، ولا من الأحجار والأشجار، فمن طلبها من غير الله فإنه يكون مشركاً الشرك الأكبر المخرِج من الملة.

[٥] الاستغاثة: نوع من الاستعانة لكنها أخص، فالاستعانة عامة والاستغاثة خاصة؛ لأنها لا تكون إلا في أمور الشدة، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]. هذا في وقعة بدر لما اشتد الأمر بالمسلمين، استغاثوا بربهم، لكنها أخص من الاستعانة لأنها لا تكون إلا في حال الشدة، فيجب إخلاص الاستغاثة لله عز وجل، ولا

وذبح القربان [٦].

يجوز الاستغاثة بالأموات، كثير ممن يدَّعون الإسلام، إذا وقعوا في شدة يستغيثون بأمواتهم وأوليائهم، ويصرخون بأسمائهم في البر والبحر، وهذا من غلظة شركهم، فصاروا أغلظ شركاً من الأولين؛ لأن المشركين الأولين يشركون في حالة الرخاء، لكنهم في حال الشدة يخلصون الدعاء والاستغاثة لله عز وجل؛ لأنهم يعلمون أنه لا ينقذ من الشدائد إلا الله سبحانه وتعالى، أما مشركو هذا الزمان فإنهم على العكس، إذا وقعوا في شدة استغاثوا بغير الله، ونادوا بأسماء معبوداتهم كما هو معلوم عنهم.

[٦] الذبح على قسمين:

القسم الأول: الذبح لأكل اللحم، هذا مباح وليس هو عبادة، وإنما هو ذبح للأكل، فهو مباح، إلا أنه لا بد أن يذكر عليه اسم الله عند الذبح، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

النوع الثاني: الذبح على وجه التقرب لله جل وعلا، فهذا نوع من أنواع العبادة، كذبح الأضاحي، وذبح الهدي، وذبح العقيقة للمولود، هذه ذبائح عبادة لا يجوز التقرب بها

. . . .

إلا لله عز وجل، فمن ذبح لغير الله على وجه التقرب فإنه يكون مشركاً الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] النسك الذبح وقرنه مع الصلاة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] قرن النحر مع الصلاة، فكما أنه لا تجوز الصلاة لغير الله، فكذلك الذبح والنحر على وجه التقرب لا يكون إلا لله، فمن ذبح يتقرب إلى ميت أو إلى قبر أو إلى ضريح كما عليه عباد القبور اليوم، فإنه يكون مشركاً الشرك الأكبر.

وفي الحديث عن علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض»[1] فمن هذه الأمور الملعونِ من فعلها الذبح لغير الله، من ذبح لغير الله كأن يذبح للقبور يتقرب إليهم ليقضوا له حوائجه، أو يذبح للجن من أجل أن لا يضروه، كما يفعله بعض الناس إذا نزل منزلاً جديداً يذبح للجن من أجل أنهم

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، وأحمد (٨٥٥).

والنذر [٧].

لا يضرونه في هذا المنزل، يذبح عند الباب ويرش من دمه على الجدران، يتقرب إلى الجن، أو إذا أقام مشروعاً من المشاريع كالمصانع يذبح عند أول حركة الآليات لأجل أن المصانع تسلم، وكذلك إذا قدم ملك من الملوك أو رئيس من الرؤساء يذبحون عند وصوله، والسلام عليه تعظيماً له، ذبح تحية، أما لو كانوا يذبحون له وليمة، فلا بأس، هذا من المباحات، لكن يذبحون تعظيماً له، إذا نزل من الطائرة أو نزل من السيارة يذبحون تحت السيارة وتحت الطائرة، تعظيماً لهذا الوافد، هذا من الشرك؛ لأنه من باب التحية والتعظيم.

[٧] النذر هو التزام عبادة لم يلزم بها الشرع وهو نوع من أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] فأثنى عليهم أنهم يوفون بالنذر، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠] قرنه مع النفقة والصدقة، والنفقة والصدقة عبادة، فيكون النذر عبادة قال سبحانه: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] قرنه مع

والخوف [٨].

الطواف، والطواف عبادة لله عز وجل، فالوفاء بالنذر عبادة، هذا في نذر الطاعة، إذا نذر أن يتصدق، إذا نذر أن يصلي، إذا نذر أن يصوم، إذا نذر أن يحج، إذا نذر أن يعتمر، قال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»[١]، أما نذر المعصية فإنه يحرم الوفاء به، قال ﷺ: «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

ومِن نذر المعصية النذرُ للقبور، فمن نذر لقبر أو نذر لميت فإنه يكون مشركاً شركاً أكبر؛ لأنه صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

[٨] الخوف من أعمال القلوب، فهو عبادة قلبية، والمراد خوف العبادة، وهو الخوف الذي يكون معه تعظيم ومحبة للمخوف، يحبه ويخافه، هذا خوف العبادة ويسمى خوف السر، وهو لا يجوز إلا لله عز وجل، فالذي يخاف من مخلوق خوف العبادة فإنه أشرك، وإذا عمل له نوعاً من أنواع العبادة لأنه يخافه، مثل الذي يخاف من الجن فيذبح لهم، أو الذي يخاف من الميت فيذبح له، هذا خوف

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) وأحمد (٢٤٠٧٥) من حديث عائشة.

والرجاء [٩]، والتوكل [١٠].

عبادة، فإنه يكون مشركاً الشرك الأكبر، أما الخوف الطبيعي كأن تخاف من العدو، وتخاف من السباع، وتخاف من الثعابين، فهذا خوف طبيعي، ليس هو بعبادة.

[٩] من أنواع العبادة الرجاء وهو تأميل الخير فيما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يجوز أن ترجو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أما الرجاء في الأمور العادية، كأن ترجو من شخص أن يعطيك مالاً أو يساعدك فيما يقدر عليه، فهذا ليس من العبادة، تقول: يا أخي أرجوك أن تعطيني كذا وكذا، مما يقدر عليه، لكن لا ترجو مخلوقاً فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالذين يرجون الأموات والغائبين والجن، هذا رجاء العبادة فلا يجوز وهو شرك أكبر.

[١٠] من أنواع العبادة التوكل، وهو تفويض الأمور إلى الله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقال: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣] قرنه مع العبادة، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ هذا حصر؛ لأن تقديم الجار والمجرور على الفعل يفيد الحصر، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا على غيره

والإنابة [١١]، والمحبة [١٢].

﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: لا على غيره، فالتوكل عبادة لا يجوز إلا لله، أما التوكيل فيما يقدر عليه المخلوق، كأن توكل أحداً يشتري لك حاجة، وتوكل أحداً يعمل لك عملاً، هذا جائز، الرسول ﷺ وَكَّل من يشتري له، وكان يوكل العمال ينوبون عنه في بعض الأمور، قال تعالى عن أصحاب الكهف أنهم قالوا: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩] هذا توكيل، فالتوكيل جائز، أما التوكل فإنه يكون خاصاً بالله عز وجل.

[١١] والإنابة الرجوع، والإنابة والتوبة، بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

[١٢] المحبة: لها مقام عظيم في العبادة، وهي محبة الله سبحانه وتعالى؛ لأن المحبة على قسمين:

محبة عبادة: وهي التي يكون معها ذل وخضوع

والخشية [١٣].

للمحبوب، وهذه لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى؛ لأنها محبة عبادة.

أما النوع الثاني، وهو المحبة الطبيعية كأن تحب المال، وتحب زوجتك، وتحب أولادك، وتحب والديك، وتحب من أحسن إليك، هذه محبة طبيعية لا تعد من العبادة؛ لأنها ليس معها ذل، وليس معها خضوع، وإنما هي مودة، مجردة، إلا إذا قدم محبة هذه الأشياء على محبة الله تعالى فإنه يكون عليه وعيد شديد كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤] فالله لا يقدَّم على محبته محبة شيء من الأموال والأولاد والبلاد وغير ذلك، فإن تعارضت محبة الله مع محبة غيره من الأموال والأولاد فإنه يقدم محبة الله.

[١٣] الخشية: هي نوع من الخوف، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠] فلا تقدم خشية المخلوق على خشية الله قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ

والرغبة [١٤]، والرهبة [١٥]، والتأله [١٦].

وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

[١٤] فالرغبة تكون إلى الله جلَّ وعلا وهي الطمع فيما عنده قال تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] وهي الرغبة فيما عند الله، والتعلق بالله عز وجل، فإذا رغب فيما عند الله حمله ذلك على طاعة الله، وتقديم رضا الله سبحانه وتعالى.

[١٥] والرهبة كذلك هي نوع من الخوف، قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] يجب أن ترهب الله وتخاف من الله وتخشى الله، ولا ترهب المخلوقين رهبة تجعلهم في منزلة الله أو يساوون الله عز وجل، لا ترهب منهم فتتركَ طاعة الله من أجلهم.

[١٦] التأله: التعبد، ويطلق التأله ويراد به المحبة من الوله، وهو المحبة، هذا حق لله سبحانه وتعالى، فالألوهية حق لله جل وعلا، لا يجوز أن يتخذ معه إلهاً آخر يؤله ويحب ويعبد مع الله عز وجل، فالألوهية حق لله، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤] يعني يألهه ويعبده ويحبه أهل السماء وأهل الأرض.

والركوع والسجود [١٧]، والخشوع [١٨].

---

[١٧] الركوع عبادة لا يكون إلا لله، لا يركع الإنسان لأحد، ولا يخضع لأحد ولا ينحني لأحد تعظيماً له، فالانحناء على وجه الذل والتعظيم لمن انحنى له ركوع لغير الله عز وجل، ولا يسجد إلا لله، لا يسجد للصنم، ولا للقبر ولا للضريح، ولا لعظيم من العظماء، لا يجوز السجود إلا لله سبحانه وتعالى، كان الفرس والروم يعظمون ملوكهم فيسجدون لهم، ولما رآهم معاذ بن جبل رضي الله عنه وقدم على النبي ﷺ أراد أن يسجد له، فمنعه عليه الصلاة والسلام من ذلك وقال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها»[١]. فالسجود لا يكون إلا لله عز وجل.

[١٨] الخشوع من أعمال القلوب، والخشوع هو الرقة التي تكون في القلب، وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، فلا تخشع لمخلوق وإنما تخشع للخالق تعظيماً له سبحانه وتعالى، ترق له وتفتقر إليه، وتبكي من خوفه وخشيته سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩٨٦)، وابن أبي شيبة (٤/ ٣٠٥) من حديث معاذ.

والتذلل [١٩]، والتعظيم الذي هو من خصائصه الإلهية [٢٠]، ودليل الدعاء [٢١] قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] [٢٢].

---

[١٩] التذلل هو الخضوع وهو كما سبق ركن من أركان العبادة، فالعبادة تدور على الحب والذل، والخوف والرجاء، فلا يكون الذل إلا لله سبحانه وتعالى لا تذل لمخلوق مثلك.

[٢٠] وهو التعظيم الذي يكون معه خضوع للمعظَّم، وصرف شيء من أنواع العبادة لهذا المعظم وصرف هذا النوع من التعظيم لغير الله شرك بالله عز وجل.

[٢١] لمَّا ذكر أهم أنواع العبادة أراد أن يستدل لكل نوع من هذه الأنواع؛ لأن الكلام بدون دليل لا يقبل لا سيما الكلام في هذا الأمر العظيم المهم وهو الكلام في العبادات؛ لأن العبادات توقيفية، لا يفعل منها شيء إلا بدليل.

[٢٢] هكذا يجب أن تكون المساجد لله عز وجل، لا تبنى للرياء والسمعة، أو تبنى على الأضرحة والقبور، وإنما تبنى لعبادة الله وحده لا شريك له، فهي بيوت الله، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] هذا محل الشاهد حيث نهى أن يدعى معه غيره.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤] [٢٣].

ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] [٢٤] ودليل الاستغاثة قوله تعالى:

---

[٢٣] أي: هو الذي يدعى حقاً، وأما غيره من الأصنام والأحجار والقبور والأضرحة فدعاؤها باطل؛ لأنها لا تسمع ولا تقدر على إجابة من دعاها، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ [الرعد: ١٤] لو جئت إلى ماء في قعر بئر وليس معك دلو ولا حبل، وجعلت تشير إلى الماء ليرتفع إلى فمك فإنه لا يصل إليك، وهذا مثل مَن يدعو غير الله عز وجل، فإن حصول نفعه له من المستحيل كاستحالة وصول الماء إلى من يبسط يده إلى الماء ليرتفع إلى فمه دون أن يكون معه سبب يرفعه.

[٢٤] الدليل على أن الاستعانة نوع من أنواع العبادة، هذه الآية ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ١] فقدمَ المعمول في ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ على العامل وهو ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ وهذا يفيد الحصر أي: لا نستعين بغيرك في الأمور التي لا يقدر

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] [٢٥] ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] [٢٦].

عليها إلا أنت، لا نستعين بصنم ولا بوثن ولا بقبر ولا بحجر ولا بشجر.

[٢٥] يذكر الله المؤمنين بما حصل لهم في بدر، حين اشتد بهم الأمر فاستغاثوا به فأغاثهم قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأغاثهم الله سبحانه وتعالى بالملائكة تثبتهم وتعينهم على القتال، وتوقع الرعب في قلوب الأعداء ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢] فالملائكة نزلت في ساحة القتال في بدر مع المؤمنين تثبتهم وتقوي قلوبهم، وتطمئنهم وتوقع الرعب في قلوب أعدائهم، وتعين المؤمنين على القتال، فالذين يقتلون الكفار هم المؤمنون، لكن الملائكة تمدهم وتعينهم وتقويهم وتثبتهم.

[٢٦] قرن النسك وهو الذبح مع الصلاة، والصلاة عبادة،

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] [٢٧] ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] [٢٨] ودليل

فالنسك عبادة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] ما أحيا عليه وما أموت عليه كله لله سبحانه وتعالى ثم قال: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ نفى الشرك في الذبح وفي الصلاة، ونفى الشرك في الحياة والموت، ثم قال: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: يقول الرسول ﷺ: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: أمرني الله سبحانه وتعالى ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: أول المنقادين الممتثلين لهذا الأمر.

[٢٧] فدل على أن النذر عبادة يجب إخلاصها لله، فمن نذر لغير الله كالموتى والقبور والأضرحة فهو مشرك، وهذا يقع كثيراً من الذين ينذرون للقبور وينذرون للأموات يتقربون إليهم بذلك، وهذا نذر معصية ونذر شرك، لا يجوز الوفاء به، أما من نذر لله فإنه يجب عليه الوفاء لأنه عبادة.

[٢٨] لما توعد المشركون رسول الله ﷺ وأصحابه بعد وقعة

الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] [٢٩].

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] [٣٠] ودليل الإنابة قوله

أحد وقالوا: إنا سنرجع إليكم ونستأصلكم، فالمؤمنون ما زادوا على أن قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] يعني نحن نعتمد على الله ولا يهمنا تهديدكم أو وعيدكم، فنحن نعتمد على الله سبحانه وتعالى، ثم قال جل وعلا ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] هذا التخويف إنما هو من الشيطان، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ يعني يخوفكم بأوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آلعمران: ١٧٥] هذا هو محل الشاهد، دل على أن الخوف نوع من أنواع العبادة يجب أن يفرد الله به.

[٢٩] قال المفسرون: معناها ـ والله أعلم ـ يرجو أن يرى ربه سبحانه وتعالى يوم القيامة في الجنة، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] فجعل الرجاء من العبادة وأمر أن لا يشرك به معه غيره.

[٣٠] التوكل من أعظم أنواع العبادة، قال تعالى:

تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤] [٣١].

ودليل المحبة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] [٣٢] ودليل الخشية: ﴿فَلَا

﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] فمن توكل على الله كفاه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] يعني كافيه، ومن يتوكل على مخلوق فإن الله يَكِلُه إلى ذلك المخلوق الضعيف. وفي هذه الآية التي ساقها المصنف جعل الله التوكل شرطاً في صحة الإيمان. فمن لم يتوكل على الله فليس بمؤمن.

[٣١] الإنابة الرجوع، وأنيبوا: يعني ارجعوا إليه بالطاعة وترك المعصية، فالإنابة نوع من أنواع العبادة.

[٣٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] لأنهم أحبوا الله وحده، ولم يحبوا معه غيره، أما المشركون فإنهم أحبوا مع الله غيره ولذلك صاروا مشركين.

تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤] [٣٣] ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] [٣٤] ودليل التأله قوله

---

[٣٣] فدل على أن الخشية نوع من أنواع العبادة، وأن من خشي غير الله فترك ما أوجبه الله عليه فقد أشرك به.

[٣٤] لما ذكر الله في سورة الأنبياء مواقف الأنبياء في العبادة ومواقفهم عند الابتلاء والامتحان، قال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾ أي: طمعاً فيما عند الله، ﴿وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٩٠] أي: خوفا من عقابه، فدل على أن الرغبة والرهبة نوعان من أنواع العبادة يجب إخلاصهما لله، قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [التوبة: ٥٩] قدم الجار والمجرور ليفيد الحصر، أي: لا نرغب إلى غيره سبحانه وتعالى.

وفي الآية، رد على الصوفية الذين يقولون: لا نعبده خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته وإنما نعبده لأننا نحبه، وهذا مخالف لما عليه الأنبياء.

تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] **[٣٥]**.

ودليل الركوع والسجود قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] **[٣٦]**.

ودليل الخشوع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

---

[٣٥] إلهكم: يعني معبودكم المستحق للعبادة، إله واحد وهو الله سبحانه وتعالى لا يستحق العبادة غيره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] وكل من عبد غير الله فقد اتخذه إلهاً، لكنه إله باطل، والإله الحق هو الله سبحانه وتعالى، فالألوهية حق لله عز وجل لا يجوز أن نتأله لغيره.

[٣٦] حيث أمر الله بالركوع والسجود والركوع هو الخضوع بالرأس والانحناء، والسجود وضع الجبهة على الأرض على وجه التعظيم، هذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، لا يجوز لأحد أن يركع لأحد، ولا أن يسجد لأحد، فإن ركع لغير الله أو سجد لغير الله فهو مشرك.

ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ١٩٩] [٣٧] ونحوها، فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله تعالى فقد أشرك بالله غيره [٣٨].

---

[٣٧] الخشوع هو الانخفاض وعدم الترفع، وهو نوع من أنواع العبادة، وهذه الآية فيها الثناء على مؤمني أهل الكتاب المتَّصفين بهذه الصفة، فهم لا يخشعون لغيره سبحانه وتعالى.

[٣٨] لأن هذه كلها من أنواع العبادة، فمن صرف منها نوعا فإنه يكون مشركاً بالله في عبادته الشرك الأكبر الذي لا يغفر إلا بالتوبة، وكثير من الناس يدَّعون الإسلام ويصرفون أنواعاً كثيرة من هذه الأنواع لغير الله عز وجل، نسأل الله العافية، ويعتبرون هذا ليس من العبادة وإنما هؤلاء شفعاء ووسائط تقربهم إلى الله، يزين لهم شياطين الجن والإنس هذا العمل، ويسمون الشرك بغير اسمه، يسمونه طلباً للشفاعة، يسمونه توسلاً إلى الله سبحانه وتعالى، إلى غير ذلك من الأسماء. التي أضلوا بها كثيراً من الرعاع، لا سيما وأنهم يرغِّبون بأنه مَن فَعَل هذا حصل له كذا، وأن

. . . .

من لم يفعله يحصله عليه كذا، ويرهبونهم، فالناس الذين ليس فيهم إيمان قوي يتأثرون بهذا الوعيد أو بهذه الوعود والترهيبات، فيمارسون هذه الأنواع إما خوفاً وإما رجاء، تأثراً بما يسمعون وما يقرؤون من الدعاية لعبادة غير الله عز وجل، ولا يسمونها شركاً بل يقولون إنها من صميم التوحيد، والذي ينكرها يصفونه بأنه خارجي، وهو الذي لا يعرف قدر الصالحين، ولا يتأملون القرآن والسنة؛ لأن الله أعمى بصائرهم فلم يلتفتوا إلى دلائل القرآن والسنة، وإنما يلتفتون إلى أقوال شيوخهم ومعظّميهم ويقولون: هم أعلم منا بالقرآن، وأعلم منا بالسنة، هذا من ناحية.

والناحية الثانية: إنهم يقولون أن من قال لا إله إلا الله فإنه مسلم مؤمن ولو عمل ما عمل من الأمور، لو يدعو الأموات ويستغيث بهم ويذبح لهم، ما دام إنه يقول: لا إله إلا الله فهو مسلم.

وهو إنما يقول: لا إله إلا الله لفظاً ويناقضها معنى، وهذا لا يفيده شيئاً، هو قالها بلسانه لكن خالفها باعتقاده وخالفها بأفعاله، فلا تفيده لا إله إلا الله شيئاً لأنه أبطلها وناقضها.

فإن قيل: فما أجلُّ أمرٍ أمَرَ الله به؟ قيل: توحيده بالعبادة، وقد تقدم بيانه، وأعظم نهي نهى الله عنه الشرك به، وهو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة [٣٩]، فمن صرف شيئاً

---

[٣٩] أعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، فالتوحيد هو أعظم المأمورات، والشرك المنهيات أعظم من شرب الخمر، وأعظم من قتل النفس بغير حق، والتوحيد هو أعظم ما أمر الله به، أعظم من الصلاة وأعظم من الزكاة، وأعظم من جميع أنواع العبادة، ولذلك أول ما بدأ به الرسول بالدعوة إلى التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا نطق بالشهادتين فإنك تأمره بالصلاة، وتأمره بالزكاة، وتأمره بالحج، أما ما دام أنه لم ينطق بالشهادتين لا تقل له صَلِّ؛ لأنه لو صلى فلا فائدة في ذلك، ولا تقبل صلاته، ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم

من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد اتخذه ربًّا وإلهاً، وأشرك مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة، وقد تقدم من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه، وأنكره على المشركين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] [٤٠] والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أن الله افترض عليهم صدقة»[1] يعني الزكاة، فلم يأمرهم بالصلاة ولا بالزكاة قبل أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأعظم ما أمر الله به التوحيد؛ لأنه الأصل والأساس والقاعدة لهذا الدين.

[٤٠] هذا واضح، وهذا يدل على أن الشرك هو أعظم

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

. . . .

الذنوب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] فإذا كان الشرك لا يقبل المغفرة وغيره يقبل المغفرة، فهذا دليل على أن الشرك هو أعظم الذنوب، الزنا والسرقة وشرب الخمر وأكل الربا هذه قابلة للمغفرة فهي تحت المشيئة، إن شاء الله غفر لأصحابها، وإن شاء عذبهم، ولكن لا يخلدون في النار، وإنما يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار؛ لأنهم من أهل التوحيد وأهل الإيمان، أما الشرك فإنه لا يغفر، وصاحبه لا يخرج من النار أبداً، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

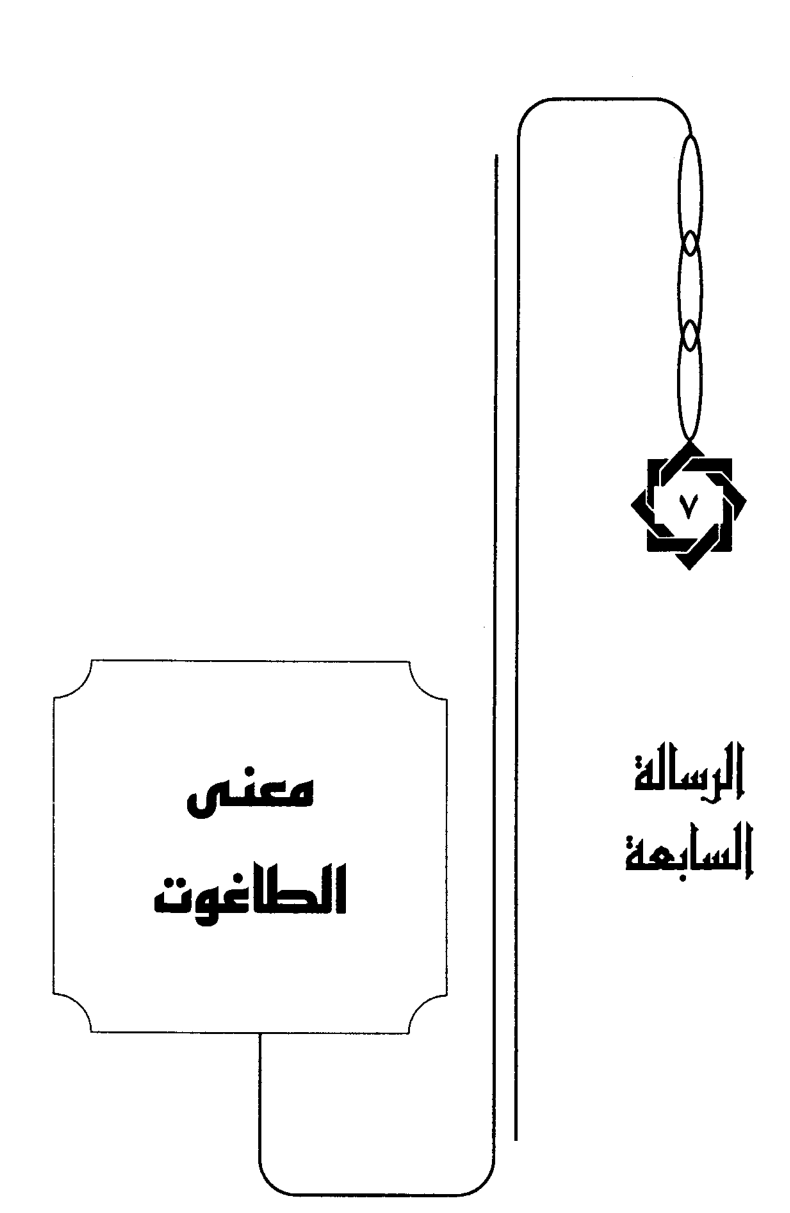
٧
الرسالة
السابعة
معنى
الطاغوت

سلسلة شرح الرسائل

٧ ـ شرح رسالة : معنى الطاغوت

للإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم

فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله [١].

---

[١] بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

يشير الشيخ رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ ليس معناه أن الكفار يتركون ولا يُقاتلون ولا يدعون إلى الإسلام، كما يقوله الآن المغرضون والكفار والجهال من المسلمين بحُجَّةِ حرية الأديان، وحرية العقيدة، هذا كذب على الله جل وعلا،

. . . .

ليس هذا هو مراد الله جل وعلا، الله جل وعلا خلق الخلق لعبادته لا لعبادة غيره كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧]، فلو كان الناس يتركون كفاراً يعبدون ما شاؤوا، فما كان لقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ما كان لها فائدة، ولما كان للجهاد في سبيل الله فائدة، ولما كان للدعوة لله فائدة، كيف تدعونهم وهم أحرار فيما يعتقدون وفيما يعبدون؟ اتركوهم على مقتضى هذا الكلام الباطل، فليعبدوا ما يختارون.

فلو كان كما يقولون: إن الناس أحرار في عبادتهم، وفي اعتقاداتهم ولا يُعترض على أحد، لبطلت كل هذه الأمور، ولما صار هناك فائدة للدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، بل لَمَا كان هناك فائدة لخلق الجنة والنار، فما دام الكفار أحراراً لماذا يدخلون النار ويعذبون فيها أبد الآباد وهم آخذون بالحرية كما يقول هؤلاء، فهذا كلام باطل.

إذاً ما معنى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]؟ لأنهم

. . . .

يرددون هذه الآية، يقولون: الناس أحرار في عقائدهم؛ لأن الله يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ نقول لهم: كذبتم على الله، ليس هذا هو مراد الله جل وعلا، بقوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ بل فيها أقوال للمفسرين:

القول الأول: منهم من يقول: إن هذه كانت في أول الأمر، ثم نُسخت بآيات الجهاد، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.

القول الثاني: أن قوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ خاص بأهل الكتاب، من اليهود والنصارى، فهؤلاء إذا دفعوا الجزية وخضعوا لحكم الإسلام، فإنهم لا يُكرهون على الدخول في الإسلام، بل يُتركون بشرط أن يدفعوا الجزية وهم صاغرون، وبشرط أن يخضعوا لحكم الإسلام؛ لأنهم على علم، وعندهم علم بالدين والرسل، ما هم مثل الوثنيين، أُعطوا الفرصة ليراجعوا ما عندهم، ويتأملوا في القرآن، ويتأملوا فيما عندهم، فيجدوا أن القرآن يتوافق تماماً مع التوراة والإنجيل السالمَين من التحريف، الباقيين على أصلهما كما أنزل الله سبحانه وتعالى، فلا خلاف بين الكتب السماوية، أنها كلُّها من عند الله جل وعلا، في

. . . .

أمور العقائد، أما أمور المعاملات والحلال والحرام فهي يختلف بحسب الشرائع، وبحسب حكمة الله جل وعلا، في كل وقت بحسبه، ولكن العقائد ليس بين الكتب السماوية فيها اختلاف أبداً، أنه لا يُعبد إلا الله جل وعلا، وأن عبادة غيره باطلة، أجمعت الكتب السماوية، وأجمعت الرسل، وأجمع المسلمون من قديم الخليقة إلى آخر الخليقة على أن العبادة لا تكون إلا لله، وأن من عبد غير الله فإنه يُدعى إلى عبادة الله، فإن أصر فإنه يُقاتل دفعاً لكفره وشره، ولئلا ينتشر الكفر في الأرض، ويحتج به المخالف، فلو كان الناس أحراراً ولا اختلاف في الدين كما يقولون ما احتاج الناس إلى بعث الرسل، ولا إلى إنزال الكتب، وإنما الناس أحرار ولا أحد يُدعى، ولا أحد يُقاتل، ولا أحد تفرض عليه الجزية والخضوع للإسلام، فهم أحرار كما تقولون .

القول الثالث أن قوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ خاص باليهود والنصارى، قيل: إنهم أسلم منهم ناس فأرادوا أن يكرهوا أولادهم على الدخول في الإسلام، فالله أنزل هذه الآية، في أنهم لا يكرهون، وأما قولهم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي

. . . .

ٱلدِّينِۖ﴾ أنه محمول على الاختيار والحرية، فهذا أمر باطل لا دليل عليه من القرآن، بل أدلة الشرع كلها ترد على هذا.

وقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] سبق لنا أن قلنا: إن هذه الآية هي معنى (لا إله إلا الله)، الذي يكفر بالطاغوت: هذا معنى (لا إله)، ويؤمن بالله: هذا معنى (إلا الله) ففيها معنى النفي والإثبات اللذين في (لا إله إلا الله).

والطاغوت: لفظ عام مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، والطواغيت أنواع: فأعظم الطواغيت من يُعبد من دون الله عز وجل وهو راضٍ بذلك.

يقول ابن القيم: الطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة:

١. إبليس لعنه الله.

٢. ومن عُبد وهو راض.

٣. ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه.

٤. ومن ادعى علم الغيب.

٥. ومن حكم بغير ما أنزل الله.

. . . .

هذه رؤوس الطواغيت:

الأول: إبليس، وهو أول الطواغيت.

الثاني: (من عُبد وهو راضٍ بذلك)، أما من عُبد وهو غير راضٍ بذلك فهذا لا يُسمى طاغوتاً، فالملائكة عُبدوا من دون الله، لكن لم يرضوا بذلك ولا أمروا به، والمسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسول الله عُبد من دون الله وهو ينهى عن ذلك في حياته، ويتبرأ من أصحابه، فلا يُعد طاغوتاً، وإنما الطاغوت الذي أمرهم بعبادته وهو الشيطان، وكذلك الأولياء والصالحون الذين ماتوا على صلاحهم وعلى ولايتهم لله، وعلى عملهم الصالح، ولكن عُبدوا بعد ما ماتوا، هؤلاء لا يُقال لهم طواغيت، وإنما الطاغوت هو الذي أمرهم بذلك وهو الشيطان.

الثالث: (من دعا الناس إلى عبادة نفسه)؛ لأن بعض الطواغيت يأمر الناس بأن يعبدوه، ويقول لهم: إنه يستطيع أن ينفعهم وأن يضرهم، ويحقق لهم مطالبهم، كما عليه اليوم طواغيت الصوفية ومشايخ الصوفية، الذين يزعمون أنهم يُحققون لمن عبدهم مطالبهم، وأنهم يتصلون بالله مباشرة، ويأخذون عن الله مباشرة، وبعضهم يوصي يقول:

. . . .

إذا مت لا يمنعكم من دعائي والاستغاثة بي ذراع من التراب، هلموا إلى قبري واطلبوا مني وأنا أغيثكم وأنا وأنا، هذا دعا الناس إلى عبادة نفسه، فهو طاغوت.

الرابع: (من ادعى علم الغيب)، وهو الكاهن، الطواغيت كُهان كما يقول بعض السلف: كانت تنزل عليهم الشياطين، وفي كل حي من أحياء العرب منهم واحد، فالكُهان طواغيت، لماذا؟ لأنهم يدَّعون علم الغيب الذي اختص الله تعالى به، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] فقد يطلعه الله على بعض المغيبات لمصلحة الدعوة إلى الله عز وجل، وتكون معجزة له، ودليلاً على صدقه لمصلحة الناس، وإلا فالغيب لا يعلمه إلا الله ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، والرسول الذي علم شيئاً من الغيب لم يعلمه أصلاً، وإنما علمه بإطلاع الله له عليه، فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] أما الكهان والشياطين، فهؤلاء كذبة، ولكن يحصلون على شيء من الغيب بواسطة استراق السمع.

. . . .

والخامس وهو الأخير: (من حكم بغير ما أنزل الله)، ومنهم الحُكام الذين يسنُّون القوانين، ويلغون الشريعة ويجعلون القوانين محلها، هؤلاء طواغيت، الذي يحكم بغير ما أنزل الله هذا طاغوت بنص القرآن ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ فمن حكم بغير ما أنزل الله متعمداً ذلك فإنه يكون طاغوتاً، أما من حكم بغير ما أنزل الله مجتهداً، يتحرى الحق ولكنه أخطأ، فهذا ليس طاغوتاً، فالفقهاء إذا اجتهدوا في المسائل الفقهية وأخطؤوا لا يعدُّون طواغيت؛ لأنهم لم يتعمدوا هذا، هم يبحثون عن الحق، ولكن لم يصلوا إليه، فهم معذورون قال ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد» لأنه لم يتعمد مخالفة الشرع، وإنما أخطأ باجتهاده، ولا يجوز اتباعه على الخطأ، لا يجوز أن نأخذ الاجتهاد الذي نرى أنه خالف الدليل، ولكن هو في نفسه معذور وليس طاغوتاً، بل له أجر إذا كان من أهل العلم، أما إذا اجتهد وهو ليس عنده مؤهلات الاجتهاد، فهذا على كل حال مخطئ، فلا يجوز له أن يجتهد وهو لا يحسن ذلك، ولكن هذا في المجتهدين

. . . .

الذين عندهم مؤهلات الاجتهاد إذا أخطؤوا كالأئمة الأربعة وأقرانهم من أهل العلم الذين توفرت فيهم شروط الاجتهاد، فإنهم ليسوا معصومين، إنما الطاغوت الذي تعمد مخالفة الشرع، وتعمد الحكم بغير ما أنزل الله، يجلب القوانين والمحاكم القانونية يجعلها محل الشريعة، هذا لا شك أنه طاغوت، ليس طاغوتاً عادياً بل من رؤوس الطواغيت الخمسة. فما دام أن الله جل وعلا فرض عليك الكفر بالطاغوت، فلا يجوز لك أن تبقى جاهلاً وما تدري ما هو الطاغوت، لابد أن تعرف ما هو الطاغوت؟ وما هي أنواعه؟ حتى تتجنبه، حتى تحذر منه، أما أن تقرأ القرآن بأوامره ونواهيه، وفيه ذكر التوحيد والشرك، ولا تعرف كيف تفرق بينهما، هذا لا يجوز للمسلم، لابد له أن يتعلم هذه الأشياء، ويكون على بصيرة منها في نفسه، ويتجنبها ويحذر منها من أجل أن يعرف الحق، من أجل أن يعمل به هو، ويدعو الناس إليه، ويبينه لهم، فالأمر مهم جداً.

يجب الكفر بكل هؤلاء، فمن لم يكفر بهم أو لم يكفر ببعضهم، وصحح شيئاً من الطواغيت، فصحح الكهانة، وصحح الحكم بغير ما أنزل الله، وقال: الوقت تغير

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] [٢] .

والزمان يختلف، ولا يسع الناس اليوم الحكم بالشريعة، ولابد أن نُساير الدول، ونُساير العالم، هذا لم يكفر بالطاغوت، وإن كان يقول: (لا إله إلا الله)، وإن كان يصلي ويصوم ويحج، ما دام أنه يقول: الحكم بما أنزل الله لا يُناسب هذا الوقت، يتعارض مع الحضارة الحديثة، ومع سياسة الدول، فعلينا أن نسايرهم في هذه الأمور، والشرع إنما يكون في المساجد، وأما الحكم بين الناس والحكم السياسي فهذا لابد فيه من مُسايرة الدول، ولا ينفرد عنها، هذا ولو كان يصلي ويصوم ويحج ويقول: (لا إله إلا الله) عدد الأنفاس فهو كافر؛ لأنه لم يكفر بالطاغوت، والله قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأن الإيمان بالله لا يصح إلا بعد الكفر بالطاغوت.

[٢] هذا الدليل على أن من عُبد من دون الله وهو راضٍ أو دعا إلى عبادة نفسه أو حكم بغير ما أنزل الله فهو من الطواغيت، الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، هذه

فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها وتكفِّر أهلها وتعاديهم [٣].

الآية مثل قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾، فهو لم يقتصر على قوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، بل قال: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾؛ لأن عبادة الله لا تصح إلا مع اجتناب الطاغوت، فمن يعبد الله ليلاً ونهاراً، ولكنه لم يجتنب الطاغوت، فعبادته باطلة، كالذي يصلي ويصوم ويحج ويتصدق ويتبرع وينفق، ولكنه يستغيث بالأموات، ويدعو الأموات من دون الله، هذا لم يكفر بالطاغوت.

جميع الرسل على هذا، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ هذا عام لجميع الرسل، أنهم جاءوا بالأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت، فلابد من الأمرين، وهذا هو معنى: (لا إله إلا الله)، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هذا معنى الإثبات، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ هو معنى النفي في (لا إله إلا الله).

[٣] هذا معنى ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ لابد من هذه الأمور: أن تعرف أولاً ما هو الطاغوت؟، ثم تجتنبه، ولا يكفي أنك تجتنبه، بل لابد أن تعادي أهله وتبغضهم؛ لأنهم

وأما معنى الإيمان بالله فهو أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه [٤].

أعداء الله، والله جل وعلا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، فلابد من هذه الأمور.

أولاً: أن تعرف الطاغوت ما هو ؟ لأنك إذا لم تعرفه فلا يمكن أنك تتجنبه، كيف تتجنب شيئاً مجهولاً.

ثانياً: إذا عرفته سهل عليك اجتنابه.

ثالثاً: إذا اجتنبته فلابد أن تعاديه، وأن تبغضه وتبغض أتباعه وتعاديهم في الله عز وجل .

[٤] هذا معنى الإيمان بالله: أن تعتقد بقلبك أن الله هو المستحق للعبادة دون ما سواه، وأن كل ما عُبد من دون الله فهو باطل، سواءٌ كان من الملائكة أو من الأنبياء أو من الصالحين، أو من الأحجار والأشجار والأوثان، لابد أن تكفر بهذا كله، هذا معنى الإيمان بالله، أن تعتقد بقلبك أنه لا يستحق العبادة إلا الله، وأن ما عُبد من دونه فهو باطل، هذا لازم هذه العقيدة، ما يكفي أنك تقول هذا

وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه [٥].

بلسانك بدون أن تعتقد بقلبك، ولا يكفي أنك تعمل هذا بجوارحك، فأنت تصلي وتصوم وتقول: أنا لا أعبد إلا الله، ولكن يقول: ما أدري عن عبادة هؤلاء الذين يعبدون القبور ويعبدون الأضرحة، ما أقدر أن أقول إنهم على باطل، وهم يصومون ويصلون ويقولون: (لا إله إلا الله)، نقول: أنت ما فهمت معنى (لا إله إلا الله) ولا فهمت معنى الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وإلا لو فهمت حق الفهم لعرفت أن الإيمان بالله لا يصح إلا بالكفر بالطاغوت ظاهراً وباطناً، ظاهراً باللسان وباطناً بالاعتقاد.

[٥] هذا معنى الإيمان بالله، أن تصرف العبادات كلها لله، لا تصرف منها شيئاً لغير الله، كالذي يصوم ويصلي ويزكي، ولكن يدعو غير الله، ويستغيث بغير الله، يذبح لغير الله، هذا عبد الله في شيء، وعبد غيره في شيء، فهو مشرك، لابد أن تكون جميع العبادات كلها لله، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] لابد أن تكون العبادات كلها لله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]

وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم [٦].

أما الذي يعبد الله ببعض العبادات، ويعبد غيره بأنواع أخرى من العبادات، فهذا لم يؤمن بالله، كالذين يصومون ويصلون ويحجون وينطقون بالشهادتين، ولكن يدعون غير الله، يدعون الأموات، ويذبحون للأموات، وينذرون للأموات، ويطوفون بالقبور، هؤلاء لم يعبدوا الله، بل هم مشركون؛ لأنه لا يجتمع عبادة الله وعبادة غيره أبداً، الله جل وعلا يقول: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) وفي رواية (فهو للذي أشرك وأنا منه بريء) الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد في أي نوع من أنواع العبادات، بل يجب أن تكون العبادات كلها لله عز وجل، ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] فلا يكون الدين بعضه لله وبعضه للأصنام أو للقبور، أو لفلان أو لعلان، الدين كله لله.

[٦] هذا من لازم التوحيد، من وحد الله وكفر بالطاغوت فلابد أن يوالي، أي يحب، ويناصر، أولياء الله سبحانه

. . . .

وتعالى، وهم أهل التوحيد، ويعادي ويبغض أهل الشرك؛ لأن الله يبغضهم، فأنت تبغض من يبغضهم الله، أما الذي يقول: أنا ما عليَّ إلا نفسي، ولا أعادي الناس وأبغض الناس وأكفر الناس، نقول له : أنت ما كفرت بالطاغوت، الكفر بالطاغوت من لازمه معاداة أعداء الله وبغض أعداء الله ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ فتربصوا : يعني انتظروا ما يحل بكم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] سماهم فاسقين خارجين عن طاعة الله سبحانه وتعالى، فلابد من الموالاة في الله والمعاداة في الله، فالذي عنده الناس سواء لم يكفر بالطاغوت، إنما يكفر بالطاغوت من والى في الله وعادى في الله، وأحب في الله وأبغض في الله عز وجل.

وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها [٧].

وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] [٨].

---

[٧] الله جل وعلا بعث نبيه محمداً ﷺ بملة إبراهيم، التي هي إفراد الله بالعبادة وترك ما سواه، والبغض في الله، والحب في الله، ملة إبراهيم عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ هذه ملة إبراهيم، معاداة أعداء الله، والبراءة منهم ومن دينهم، فمن لم يتبرأ منهم فإنه ليس على ملة إبراهيم، بل إن إبراهيم تبرأ من أبيه، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] هذه ملة إبراهيم: الحب في الله، والكره في الله.

[٨] الأسوة: معناها القدوة، وأول السورة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

والطاغوت عام، فكل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت [٩]. والطواغيت كثيرة

ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١] إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الممتحنة: ٤] هذا هو التوحيد، وهذه هي عبادة الله، وهذا هو الكفر بالطاغوت، ما يكفي أنك تقول: أنا أكفر بالطاغوت، ولكن لا تنفذ هذا في أفعالك ولا تعتقده بقلبك، فهذا لا يكفي.

[٩] (فكل ما عُبد من دون الله) ورضي بالعبادة، فإنه يُسمى طاغوتاً من الطغيان، وهو الخروج عن الحد .

فالمعبود من الأصنام والأوثان والأشخاص إذا رضي بذلك أو المتبوع في غير طاعة الله، الذين يتبعون الكفار ويتبعون أهل الضلال، هؤلاء لم يكفروا بالطاغوت؛ لأن

ورؤوسهم خمسة: [١٠].

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] [١١].

الواجب أن يتبعوا رسول الله ﷺ، فالذي يتبع أحداً غير رسول الله ﷺ فإنه لم يكفر بالطاغوت؛ لأن الله أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ، ولا نتبع غيره عليه الصلاة والسلام، فالذين يحرِّمون الحلال، ويحللون الحرام هؤلاء يجب أن نعصيهم ولا نطيعهم، ما نطيع إلا بطاعة الله عز وجل، ولهذا يقول النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» فلا يجوز لنا أن نطيع مخلوقاً إلا في طاعة الله، إذا كان مطيعاً لله أطعناه، فإذا أمرنا بمعصية الله فإننا نعصيه ولا نوافقه.

[١٠] الطواغيت كثيرة، فكل من خرج عن طاعة الله فهو طاغوت، وهذا لا حصر له، ولكن رؤوس الطواغيت هم هؤلاء الخمسة.

[١١] (الأول: الشيطان) لأن أصل الطواغيت هو الشيطان، ومثله طواغيت الإنس، شياطين الإنس الذين يحسِّنون

. . . .

للناس عبادة غير الله، ويسمونها بأسماء خادعة، يسوغون للناس الذبح لغير الله والنذر لغير الله والاستغاثة بغير الله، ودعاء الموتى، يسوغون هذا، ويسمونه بأسماء يخدعون الناس بها، هؤلاء طواغيت.

وعبادة الشيطان تكون بطاعته، فمن أطاعه فقد عبده، على اختلاف أنواع هذه العبادة، منها ما يصل إلى حد الكفر والشرك، ومنها ما هو دونها بحسب طاعة الشيطان، فكل المعاصي طاعة للشيطان وأشدها الشرك، ويساعده شياطين الإنس من علماء الضلال الذين يدعون الناس إلى عبادة غير الله عز وجل، ويسمونها بغير الشرك، يسمونها توسلاً، أو يسمونها المحبة للصالحين، أو بغير ذلك من أنواع الأسماء الخداعة، فهؤلاء من أعوان الشيطان، الله أخبر أن الجن لهم شياطين، وأن الإنس لهم شياطين، ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] يساعدون على إضلال بني آدم، هذا هو النوع الأول من الطواغيت: الشيطان، ومن سار في ركاب الشيطان، حتى ولو قال الإنسان: أنا ما أعبد الشيطان، نقول: إذا أطعته، وانقدت له فقد عبدته، شئت

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى [١٢].

أم أبيت، الذي لا يعبد الشيطان هو الذي يخالفه ويعصيه، هذا هو الذي لا يعبد الشيطان، لكن قد تكون عبادة الشيطان تصل إلى الكفر المخرِج من الملة، وتكون دون ذلك، ولكنها كلها طاعة للشيطان.

[١٢] **الثاني**: من حكم بغير ما أنزل الله، هذا يعم كل من حكم بغير ما أنزل الله بين الناس في الخصومات والمنازعات، حكم بينهم بالقانون أو بعوائد البدو والسلوم التي عليها البدو والقبائل، وأعرض عن كتاب الله، هذا هو الطاغوت، يحكمون بغير ما أنزل الله، ويدَّعون أن هذا من الإصلاح والتوفيق بين الناس، هذا كذب، الإصلاح لا يكون إلا بكتاب الله، والتوفيق بين الناس والمؤمنين لا يكون إلا بكتاب الله عز وجل ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟

. . . .

أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٢-٦٤] لو أنهم تابوا إلى الله، (وجاءوك) هذا في حياة النبي ﷺ، أما بعد موته فلا يُذهب إلى قبره، الإنسان إذا أذنب يتوب إلى الله ويستغفر في أي مكان، والله غفور رحيم، ولا يحتاج أن يذهب إلى قبر الرسول كما يقول المخرفون الآن، إن هذا يدل على أن المذنب يذهب عند القبر ويطلب من الرسول المسامحة ويستغفر عند القبر، هذا كذب، الرسول ما أمر أنه يُستغفر عند قبره، ولا الصحابة كانوا يذهبون إلى قبر الرسول ليستغفروا، كانوا يتوبون إلى الله في أي مكان، لا يحتاج إلى أنك تذهب إلى قبره، ولكن هذا في حياة الرسول؛ لأنهم أساءوا في حق الرسول، حيث انصرفوا عن التحاكم إليه، فهذه إساءة في حق الرسول ﷺ، فهم يذهبون ويعتذرون عند الرسول بعد التوبة إلى الله عز وجل، فكان هذا فيه مخالفة لله، ومخالفة للرسول، فالمخالفة في حق الله لها الاستغفار، والمخالفة في حق الرسول يذهبون إليه ويطلبون منه المسامحة والعفو عنهم؛ لأنهم أخطأوا في حقه ﷺ.

والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] [١٣].

الثالث: الذي حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] [١٤].

---

[١٣] هذا الدليل على أن من حكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] فالطاغوت قيل: هو الشيطان، وقيل: هو كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل أنهم الكهان؛ لأن العرب عندهم لكل قبيلة كاهن يحكم بينهم.

[١٤] فالآية حكمت عليه بالكفر، وهذا إذا تعمد الحكم بغير ما أنزل الله، وجعل المحاكم تحكم بغير ما أنزل الله بقوانين وضعية، وألغى الشريعة وقصرها على الأحوال الشخصية فقط، وأما المنازعات بين الناس والخصومات فيُحكَّم فيها القانون، هذا كافر.

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] [١٥].

ويستثنى من ذلك **أولاً**: من حكم بغير ما أنزل الله بسبب اجتهاد وأخطأ في اجتهاده، وهو أهل لاجتهاده فهذا مأجور ومغفور له خَطَؤُه.

الثاني: مَن حكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم أنه مخالف، ولكن حكم به لهوى في نفسه أو لطمع في مال أو رشوة، وهو يعتقد أنه يجب الحُكم بما أنزل الله، يعتقد هذا ويعتقد أنه مخالف فهو مذنب وعاصٍ، صاحب كبيرة.

[١٥] هؤلاء هم الكهان فهم طواغيت، ولا يجوز التحاكم إليهم، ولا يجوز الذهاب إليهم وسؤالهم؛ لأن بعض الناس يذهب إليهم إذا ضاع له شيء، ويسألهم عن الذي ضاع له، ويسألهم من الذي سحره، أو يسألهم عن أهله إذا كانوا غائبين، ما حالتهم، أو عن أمواله الضائعة، فهذا يكفر إذا صدقهم، لقوله ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» وإن كان لم يصدقهم فإنه لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، فمجرد ذهابه إليهم

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧] [١٦].

وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] [١٧].

معصية كبيرة، لا تُقبل له صلاة أربعين يوماً عقوبة له على ذهابه إليهم.

[١٦] ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧] سواءٌ كان رسولاً من الملائكة أو من البشر، فإن الله قد يطلعه على شيء من الغيب لمصالح العباد، وليكون معجزة للرسول، ويكون مع الرسول رصد من الملائكة.

[١٧] عنده جل وعلا علم الغيب الخاص والعام، الخاص مفاتح الغيب، هذه لا يعلمها أحد لا ملَك مقرب ولا نبي مرسل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمان: ٣٤] هذا لا يدري عنه أحد إلا الله جل

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة .

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] [١٨].

وعلا، هذا في الغيب، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] هذا العلم العام.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] هذا علم الله الشامل لكل شيء، ومع علمه بكل شيء كتب هذه الأشياء في اللوح المحفوظ، علمها أولاً، وأحاط بها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ.

[١٨] بهذا القيد (وهو راض بالعبادة)، أما الذي يُعبد من دون الله وهو غير راضٍ فهذا لا يُسمى طاغوتاً، يخرج بذلك الملائكة والأنبياء والصالحون، أولياء الله الصالحون

واعلم أن الإنسان لا يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت. والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] الرشد: دين محمد ﷺ، والغي: دين أبي جهل، والعروة الوثقى: شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لاشريك له [١٩].

لا يدخلون في الطواغيت؛ لأنهم لم يرضوا بها، بل كانوا ينهون عنها في حياتهم، وإنما حصل هذا بعد موتهم وغيبتهم عن الناس.

[١٩] والعروة الوثقى هي لا إله إلا الله، تسمى العروة الوثقى، وتسمى كلمة التقوى، وتسمى كلمة الإخلاص.

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ ما هو الرشد؟ هو دين محمد عليه الصلاة والسلام، ودين كل الأنبياء، هذا هو الرشد، والغي : دين أبي جهل، ودين جميع الكفار، ولكن ذكر

. . . .

شهادة أن لا إله إلا الله. (هي المتضمنة للنفي والإثبات) النفي في قوله: (لا إله)، والإثبات في قوله: (إلا الله). (تنفي جميع أنواع العبادات عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له) هذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أنها تنفي العبادة عن ما سوى الله، وتثبتها لله سبحانه وتعالى؛ لأنها حق لله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فالعبادة حق لله، ليس لأحد فيها استحقاق، ليس من حق أحد أن يَعبد غير الله جل وعلا .

وصلىٰ الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الأسئلة :

- **سؤال: أثابكم الله، ما حكم من لديه قابلية لما يُسمى معاديل في الأمم المتحدة؟**

الجواب: الحمد لله، الله أغنى المسلمين بالشرع، والمحاكم موجودة ولله الحمد، ففي كل مقاطعة، وفي كل محافظة، بل في كل مدينة من المدن محكمة شرعية، فالواجب التحاكم إلى شرع الله عز وجل، وترك التحاكم إلى أعراف القبائل وعادات القبائل سواءٌ يسمونها معاديل أو غير معاديل ما يجوز هذا .

والإصلاح بينهم بالعدل مع تراضيهم من غير إكراه، ومن غير إجبار إذا رضي الطرفان بالصلح، فالنبي ﷺ يقول: «الصلح جائز بين المسلمين» الصلح عن تراض وفيه عدل ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] إذا كان الصلح عادلاً ما فيه هوى مع أحد وفيه تراضٍ بين الطرفين لا بأس بذلك، أما إنهم يلزمون بهذه الأحكام الجاهلية، يُلزمون بها ويتحاكمون إليها هذا هو الطاغوت.

● **سؤال: أثابكم الله، هل يجب بغض أهل الكبائر وإن كانوا من الأقارب؟**

الجواب: قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] هل هناك أقرب من الأب؟ ومن الأب والابن، إذا كان عدواً لله تبرأْ منه، ولو كان أباك.

● **سؤال: أثابكم الله، هل قول البعض : الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه، صحيح؟**

الجواب: لا أعرف لهذا أصلاً، ولكن يقول: الحمد لله على كل حال، أما لا يُحمد على مكروه سواه، أنا ما أعلم لهذا أصلاً، وإن كان جارياً على ألسنة بعض الناس.

● **سؤال: ما هم الصوفية؟ وهل هم موجودون الآن ؟**

الجواب: أصل الصوفية العُباد الذين اجتهدوا في العبادة والزهد، فأصلهم الزهاد الذين يجتهدون في العبادة والزهد والتخلي عن الدنيا، هذا في أول الأمر، وكانوا في أول الأمر على استقامة، ولكن عملهم هذا وانقطاعهم الانقطاع الشديد هذا ليس بمحمود، من البداية ليس

بمحمود من كل وجه، ولكن ما كان عندهم شرك، ولا كان عندهم غلو، ولكن فيما بعد تطور التصوف إلى أن دخله الشرك، ودخله الكفر، وصاروا يعتقدون أن العارف بالله، الذي عرف الله أنه وصل إلى الله، وليس بحاجة إلى اتباع الرسول ﷺ، وأنه يأخذ عن الله مباشرة، ويأمرهم وينهاهم ويطيعونه، ويقولون: المريد مع شيخه مثل الميت مع غاسله، لا يعترض عليه بشيء، يَقبل منه أي شيء يأمره به، تطور التصوف إلى هذا الحد، وهذا بلا شك أنه كفر والعياذ بالله، بل تطور إلى القول بوحدة الوجود، بأن الكون كله هو الله، وأنه ليس فيه انقسام وأن الذي يقول: الكون فيه خالق ومخلوق مشرك، والتوحيد معناه أنك تعتقد أن الكون كله هو الله، وأن كل من عبد شيئاً، فهو قد عبد الله، الذين يعبدون الأصنام، والذين يعبدون الأشجار والأحجار كلهم يعبدون الله؛ لأنهم يعبدون شيئاً من هذا الكون، هذا تطور إليه منهج التصوف والعياذ بالله عند ابن عربي والحلاج والتلمساني وابن سبعين وغيرهم من طغاتهم، وصل بهم الحد إلى هذا الكفر الشنيع. والصوفية الآن أغلب عباداتهم بدع ما فيها شيء مشروع، يتمشون على البدع، وما يأمرهم به ساداتهم، فإنهم يفعلونه، لا يقولون: الواجب أننا نتبع الرسول ﷺ، يقولون:

الرسول للعوام، أما نحن نتبع الخواص، ومنهم من يقول: إنه إذا وصل إلى حد من المعرفة فليس عليه تكاليف، لا عليه صلاة ولا صوم ولا حج؛ لأنه وصل ولا يحرم عليه شيء، لا يحرم عليه زنا، ولا لواط، لأنه زال عنه التكليف وقد وصل إلى الله، فهل بعد هذا الكفر كفر والعياذ بالله، هذا منتهى الكفر، وأن مشايخهم يتصرفون في الكون، مشايخ الطرق يتصرفون في الكون، يحيون ويميتون ويعطون ويمنعون، هذا التصوف وهذا ما آل إليه، وهكذا الضلال يبدأ أول شيء بهذا الشكل وبنية حسنة، ثم يتطور إلى أن يخرج إلى النهاية القبيحة، فزهدهم لما كان مخالفاً لطريقة الرسول ﷺ تطور إلى هذا الحد، أما الذين تمسكوا بما جاء به الرسول ﷺ في عباداتهم، الحمد لله ما تغير منهم شيء، ولا حصل منهم مخالفة؛ لأنهم يسيرون على الطريق الصحيح، أما الذي يسير على البدع والمحدثات، هذه نهايته والعياذ بالله.

● **سؤال: أثابكم الله، وما هو الفرق بين من غَير حكم الله والذي يحكم بغير ما أنزل الله؟**

الجواب: كله سواء، ولكن هذا من باب التشنيع عليه؛ لأنه إذا حكم بغير ما أنزل الله فقد غير حكم الله، وإذا

حكم بغير ما أنزل الله فهو جائر؛ لأن العدل في حكم الله، والجور في غير حكم الله سبحانه وتعالى.

- **سؤال: أثابكم الله، إذا اهتم المسلم بالأركان والأذكار وابتعد عن الفواحش ووسائل الشرك، ولكن ابتلي بالتهاون بالنظر إلى المحرمات وسماع الأغاني؟**

الجواب: هذه كبائر، النظر إلى ما حرم الله واستماع ما حرم الله يُعد من الكبائر فعليه التوبة إلى الله، ولكن ما يخرجه ذلك من الدين ولكن يعتبر عاصياً وصاحب كبيرة، ولكن إذا تاب إلى الله تاب الله عليه.

- **سؤال: سؤال من عبد الله من اليمن، يقول: إن التمائم والتولة شرك، هذا الحديث، ما هي التمائم وما هي التولة، جزاكم الله خيراً؟**

الجواب: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرُّقى والتمائم والتولة شرك» والرقى: المراد بها رقى الجاهلية التي فيها دعاء لغير الله عز وجل، واستغاثة بالجن والشياطين وغير ذلك، هذه شرك محرمة؛ لأن فيها دعاء لغير الله، أما الرقى التي من القرآن، أو من الأدعية

الشرعية فهذه لا باس بها، والتمائم : ما يُعلق، التمائم كل ما يُعلق على الأبدان أو على المحلات أو على السيارات لاتقاء العين بزعمهم، فيعلقونها على أبدانهم أو على ممتلكاتهم يتقون بها العين بزعمهم، فهذا منهي عنه؛ لأنه شرك كما قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرُقى والتمائم والتولة شرك» لأن فيه اعتماداً على غير الله سبحانه وتعالى في رفع البلاء أو دفعه، فهو شرك كما سماه النبي ﷺ، والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها أو الزوج إلى امرأته، وهذا من عمل السحرة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ لايعني من السحرة ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢] هذه هي التولة.

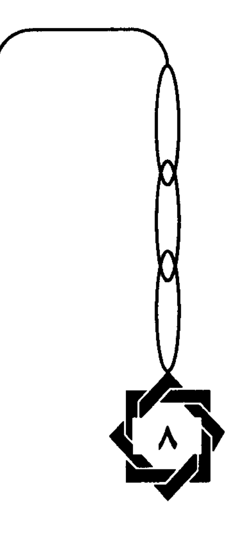

الرسالة الثامنة

شرح القواعد الأربع

سلسلة شرح الرسائل

٨ ـ شرح رسالة : القواعد الأربع

للإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم

فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة [١].

---

[١] هذه «القواعد الأربع» التي ألّفها شيخُ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب ـ رحمه الله ـ.

وهي رسالة مستقلّة، ولكنها تُطبَع مع «ثلاثة الأصول» من أجل الحاجة إليها لتكون في متناوَل أيدي طلبة العلم.

و(القواعد) جمع قاعدة، والقاعدة هي: الأصل الذي يتفرّع عنه مسائلُ كثيرة ـ أو فروعٌ كثيرة ـ.

ومضمون هذه القواعد الأربع التي ذكرها الشيخ ـ رحمه الله ـ: معرفة التوحيد ومعرفة الشرك.

وما هي القاعدة في التوحيد؟، وما هي القاعدة في الشرك؟، لأنّ كثيراً من الناس يتخبّطون في هذين الأمرين،

. . . .

يتخبّطون في معنى التوحيد ما هو؟، ويتخبّطون في معنى الشرك، كلٌّ يفسّرهما على حسَب هواه.

ولكن الواجب: أنّنا نرجع في تقعيدنا إلى الكتاب والسنّة، ليكون هذا التقعيد تقعيداً صحيحاً سليماً مأخوذاً من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، لاسيّما في هذين الأمرين العظيمين ـ التوحيد والشرك ـ.

والشيخ ـ رحمه الله ـ لم يذكر هذه القواعد من عنده أو مِنْ فكره كما يفعل ذلك كثيرٌ من المتخبِّطين، وإنما أخذ هذه القواعد من كتاب الله ومن سنّة رسول الله ﷺ وسيرته.

فإذا عرفت هذه القواعد وفهمتها سهُل عليك بعد ذلك معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، ومعرفة الشرك الذي حذّر الله منه وبيّن خطره وضرره في الدنيا والآخرة. وهذا أمرٌ مهمّ جدًّا، وهو ألزم عليك من معرفة أحكام الصلاة والزكاة والعبادات وسائر الأمور الدينيّة، لأن هذا هو الأمر الأوّلي والأساس، لأنّ الصلاة والزكاة والحج وغيرها من العبادات لا تصحّ إذا لم تُبنَ

. . . .

على أصل العقيدة الصحيحة، وهي التوحيد الخالص لله ـ عزّ وجل ـ.

وقد قدّم ـ رحمه الله ـ لهذه القواعد الأربع بمقدِّمة عظيمة فيها الدعاء لطلبة العلم، والتنبيه على ما سيقوله، حيث قال: «أسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يتولّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مبارَكاً أينما كنت، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هذه الثلاث هي عنوان السعادة».

هذه مقدّمة عظيمة، فيها دعاءٌ من الشيخ ـ رحمه الله ـ لكلّ طالبِ علم يتعلّم عقيدته يريد بذلك الحق، ويريد بذلك تجنُّب الضلال والشرك، فإنه حَرِيٌّ بأن يتولاه الله في الدنيا والآخرة.

وإذا تولّاه الله في الدنيا والآخرة فإنه لا سبيل إلى المكاره أن تصل إليه، لا في دينه ولا في دنياه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فإذا تولّاك الله أخرجك من الظّلمات ـ ظلمات الشرك والكفر والشُّكوك والإلحاد ـ إلى

. . . .

نور الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

فإذا تولّاك الله برعايته وبتوفيقه وهدايته في الدنيا وفي الآخرة؛ فإنّك تسعد سعادة لا شقاء بعدها أبداً، في الدنيا يتولّاك بالهداية والتوفيق والسير على المنهج السليم، وفي الآخرة يتولّاك بأن يُدخلك جنّته خالداً مخلّداً فيها لا خوف ولا مرض ولا شقاء ولا كبَر ولا مكارِه، هذه وَلاية الله لعبده المؤمن في الدنيا والآخرة.

قال: «**وأن يجعلك مبارَكاً أينما كنت**» إذا جعلك الله مباركاً أينما كنت فهذا هو غاية المطالب، يجعل الله البركة في عمرك، ويجعل البركة في رزقك، ويجعل البركة في علمك، ويجعل البركة في عملك، ويجعل البركة في ذريّتك، أينما كنت تصاحبك البركة، أينما توجّهت، وهذا خيرٌ عظيم، وفضلٌ من الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

قال: «**وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر**» خلاف الذي إذا أُعطي كفر النعمة وبطِرها، فإنّ كثيراً من الناس إذا أُعطوا النعمة كفَروها وأنكروها، وصرفوها في غير طاعة الله ـ عزّ

. . . .

وجل ـ، فصارتْ سبباً لشقاوتهم، أمّا مَن يشكُر فإنّ الله يزيده: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

والله ـ جلّ وعلا ـ يزيد الشّاكرين من فضله وإحسانه. فإذا أردت المزيد من النعم فاشكر الله ـ عزّ وجل ـ، وإذا أردت زوال النعم فاكفُرها.

قال: «**وإذا ابتُلي صبر**»، الله ـ جلّ وعلا ـ يبتلي العباد، يبتليهم بالمصائب، يبتليهم بالمكارِه، يبتليهم بالأعداء من الكفّار والمنافقين، فيحتاجون إلى الصبر وعدم اليأس وعدم القنوط من رحمة الله، ويثبُتون على دينهم، ولا يتزحزحون مع الفِتَن، أو يستسلمون للفتن، بل يثبُتون على دينهم، ويصبرون على ما يقاسون من الأتعاب في سبيلها، بخلاف الذي إذا ابتُلي جزِع وتسخّط وقنِط من رحمة الله ـ عزّ وجل ـ فهذا يُزاد ابتلاء إلى ابتلاء ومصائب إلى مصائب، قال ﷺ: «إنّ الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فعليه السخط»[1]،

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء (٤/ ٦٠١)، وابن ماجه في الفتن، باب الصبر على البلاء (رقم ٤٠٣١)

=

. . . .

«وأعظم الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل»[(١)]، ابتُلي الرسل، وابتُلي الصدِّيقون، وابتُلي الشهداء، وابتُلي عباد الله المؤمنون، لكنهم صبروا، أما المنافِق فقد قال الله فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ يعني: طرف ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، فالدنيا ليست دائماً نعيماً وتَرَفاً ومَلذّات وسُروراً ونصراً، ليست دائماً هكذا، الله يداوِلها بين العباد، الصحابة أفضل الأمة ماذا جرى عليهم من الابتلاء والامتحان؟، قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فلْيُوَطِّنِ العبدُ نفسه أنه إذا ابتُلي فإنّ هذا ليس خاصًّا به، فهذا سبق

= من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.
وقال الترمذي: «هذا حديثٌ غريبٌ».
وأخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨) من حديث محمود بن لبيد ـ رضي الله عنه ـ.

(١) قطعةٌ من حديث أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٤/ ٦٠١ـ٦٠٢)، وابن ماجه في الفتن، باب الصبر على البلاء، (رقم: ٤٠٢٣)، وأحمد (١/ ١٧٢، ١٧٣ ـ ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥)، والدارمي (٢/ ٣٢٠)، وابن حبّان في «صحيحه» (٧/ ١٣١ ـ الإحسان)، والحاكم (١/ ٤١)، والبيهقي (٣/ ٣٧٢).
وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

. . . .

لأولياء الله، فيوطِّن نفسه ويصبِر وينتظر الفرج من الله ـ تعالى ـ، والعاقِبة للمتّقين.

قال: «**وإذا أذنب استغفر**» أمّا الذي إذا أذنب لا يستغفر ويستزيد من الذنوب فهذا شقي ـ والعياذ بالله ـ، لكن العبد المؤمن كلّما صدر منه ذنب بادر بالتوبة ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء: ١٧]، والجَهالة ليس معناها عدم العلم، لأن الجاهل لا يؤاخَذ، لكن الجهالة هنا هي ضدّ الحِلْم، فكلّ مَنْ عصى الله فهو جاهل بمعنى ناقص الحِلْم وناقص العقليّة وناقص الإنسانيّة، وقد يكون عالماً لكنه جاهل من ناحية أخرى من ناحية أنه ليس عنده حِلم ولا ثبات في الأمور: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ يعني: كلّما أذنبوا استغفروا، ما هناك أحد معصوم من الذنوب، ولكن الحمد لله أنّ الله فتح باب التوبة، فعلى العبد إذا أذنب أن يُبادِر بالتوبة، لكن إذا لم يتب ولم يستغفر فهذه علامةُ الشقاء. وقد يقنط من رحمة الله ويأتيه الشيطان ويقول له: ليس لك توبة.

اعلم ـ أرشدك الله لطاعته ـ: أن الحنيفيّة ملّة إبراهيم أن تعبد الله مخلصاً له الدين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] [٢].

هذه الأمور الثلاث: إذا أُعطي شكر، وإذا ابْتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر هي عنوان السعادة، مَنْ وُفِّق لها نال السعادة، ومن حُرِم منها ـ أو من بعضها ـ فإنّه شقيّ.

[٢] **«اعلم أرشدك الله»** هذا دعاء من الشيخ ـ رحمه الله ـ، وهكذا ينبغي للمعلم أن يدعو للمتعلم.

وطاعة الله معناها: امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

«أن الحنيفيّة ملة إبراهيم» الله ـ جلّ وعلا ـ أمر نبيّنا باتّباع ملّة إبراهيم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

الحنيفيّة: ملة الحنيف وهو إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، والحنيف هو: المقبل على الله المعرِض عمّا سواه، هذا هو الحنيف: المقبِل على الله بقلبه وأعماله ونيّاته ومقاصِده كلّها لله، المعرِض عمّا سواه، والله أمرنا

. . . .

باتّباع ملّة إبراهيم: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ [الحج: ٧٨].

وملة إبراهيم: «**أن تعبد الله مخلصاً له الدين**» هذه الحنيفيّة، ما قال: (أن تعبد الله) فقط، بل قال: «**مخلصاً له الدين**» يعني: وتجتنب الشرك، لأنّ العبادة إذا خالطها الشرك بطلتْ، فلا تكون عبادة إلّا إذا كانت سالمةً من الشرك الأكبر والأصغر.

«**كما قال ـ تعالى ـ**: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة: ٥]» جمع: حنيف، وهو: المخلِص لله ـ عزّ وجل ـ.

وهذه العبادة أمر الله بها جميع الخلْق كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومعنى يعبدون: يُفْرِدوني بالعبادة، فالحكمة من خلق الخلق: أنهم يعبدون الله ـ عزّ وجل ـ مخلِصين له الدين، منهم من امتثل ومنهم من لم يمتثل، لكن الحكمة من خلقهم هي هذه، فالذي يعبُد غيرَ الله مخالِف للحكمة من خلق الخلق، ومخالِف للأمر والشرع.

. . . .

وإبراهيم هو: أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده، فكلّهم من ذريّته، ولهذا قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فكلهم من (بني إسرائيل) ـ حفيد إبراهيم عليه السلام ـ، إلا محمداً ﷺ فإنه من ذرّية إسماعيل، فكلّ الأنبياء من أبناء إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، تكريماً له. وجعله الله إماماً للناس ـ يعني: قدوة ـ: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] يعني: قدوة، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] يعني: إماماً يُقتدى به. وبذلك أمر الله جميع الخلق كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإبراهيم دعا الناس إلى عبادة الله ـ عزّ وجل ـ كغيره من النبيّين، كلّ الأنبياء دعوُا الناس إلى عبادة الله وترْك عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وأما الشرائع التي هي الأوامر والنواهي والحلال والحرام فهذه تختلف باختلاف الأمم حسب الحاجات، يشرع الله شريعة ثم ينسخها بشريعة أخرى إلى أنْ جاءت شريعة الإسلام فنسخت جميع الشرائع وبقِيَتْ هي إلى أنْ

فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته؛ فاعلم أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلا مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة [٣].

تقوم السّاعة، أما أصل دين الأنبياء ـ وهو التوحيد ـ فهو لم يُنسخ ولن يُنسخ، دينهم واحد وهو دين الإسلام بمعنى: الإخلاص لله بالتوحيد. أما الشرائع فقد تختلف، تُنسخ، لكن التوحيد والعقيدة من آدم إلى آخر الأنبياء، كلهم يدعون إلى التوحيد وإلى عبادة الله، وعبادة الله: طاعته في كلّ وقت بما أمر به من الشرائع، فإذا نسخت صار العمل بالناسخ هو العبادة، والعمل بالمنسوخ ليس عبادة لله.

[٣] «**فإذا عرفتَ أن الله خلقك لعبادته**» يعني: إذا عرفت من هذه الآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] وأنت من الإنس، داخلٌ في هذه الآية، وعرفت أن الله ما خلقك عبثاً، أو خلقك لتأكل وتشرب فقط، تعيش في هذه الدنيا وتَسْرَحْ وتَمْرَحْ، لم يخلقك

. . . .

لهذا، خلقك الله لعبادته، وإنما سخّر لك هذه الموجودات من أجل أن تستعين بها على عبادته، لأنّك لا تستطيع أن تعيش إلا بهذه الأشياء، ولا تتوصّل إلى عبادة الله إلا بهذه الأشياء، سخّرها الله لك لأجل أنْ تعبده، ليس من أجل أن تفرح بها وتسرح وتَمْرَحْ وتفسُق وتفجُر تأكل وتشرب ما اشتهيت، هذا شأن البهائم، أمّا الآدميّون فالله ـ جلّ وعلا ـ خلقهم لغايةٍ عظيمة وحكمة عظيمة وهي العبادة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]، الله ما خلقك لتكتسب له، أن تحترف وتجمع له مالاً، كما يفعل بنو آدم بعضهم لبعض يجعلون عُمّالاً يجمعون لهم المكاسب، لا، الله غني عن هذا، والله غني عن العالَمين، ولهذا قال: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧] الله ـ جلّ وعلا ـ يُطعِم ولا يُطعَم، غنيّ عن الطعام، وغني ـ جلّ وعلا ـ بذاته، وليس هو في حاجة إلى عبادتك، لو كفرت ما نقصتَ ملك الله، ولكن أنت الذي بحاجة إليه، أنت الذي بحاجة إلى العبادة، فمن رحمته: أنه أمرك بعبادته من أجل مصلحتك، لأنّك إذا عبدته فإنه ـ سبحانه

. . . .

وتعالى ـ يُكرِمُك بالجزاء والثواب، فالعبادة سببٌ لإكرام الله لك في الدنيا والآخرة، فمن الذي يستفيد من العبادة؟، المستفيد من العبادة هو العابِد نفسه، أما الله ـ جلّ وعلا ـ فإنّه غنيّ عن خلقه.

قال: «**فاعلم: أن العبادة لا تسمّى عبادة إلّا مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاةً إلا مع الطهارة**».

إذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فإن العبادة لا تكون صحيحة يرضاها الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلا إذا توفّر فيها شرطان، إذا اختلّ شرطٌ من الشرطين بطلت:

الشرط الأوّل: أنْ تكون خالِصة لوجه الله، ليس فيها شرك. فإنْ خالطها شركٌ بطلت، مثْل الطهارة إذا خالطها حدث بطلت، كذلك إذا عبدت الله ثم أشركت به بطلت عبادتك. هذا الشرط الأوّل.

الشرط الثاني: المتابَعة للرسول ﷺ، فأيّ عبادة لم يأتِ بها الرسول فإنّها باطلة ومرفوضة، لأنّها بدعة وخُرافة، ولهذا يقول ﷺ: «مَنْ عمِل عملاً ليس عليه أمرُنا

. . . .

فهو رَدّ»[1]، وفي رواية: «مَنْ أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ»[2]، فلا بدّ أنْ تكون العبادة موافِقة لِمَا جاء به الرّسول ﷺ، لا باستحسانات الناس ونيّاتاهم ومقاصدهم ما دام أنها لم يدلّ عليها دليل من الشرع فهي بدعة ولا تنفع صاحبها بل تضرّه لأنها معصية، وإنْ زعم أنه تقرّب بها إلى الله ـ عزّ وجل ـ.

فلا بد في العبادة من هذين الشرطين: الإخلاص، والمتابعة للرّسول ﷺ حتى تكون عبادة صحيحة نافعة لصاحبها، فإنْ دخلها شركٌ بطلتْ، وإذا صارت مبتدَعة ليس عليها دليل فهي باطلة أيضاً، بدون هذين الشرطين لا فائدة من العبادة، لأنّها على غير ما شرع الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والله لا يقبل إلا ما شَرع في كتابه أو على لسان رسول ﷺ.

(١) أخرجه مسلم (رقم: ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدّثات الأمور، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) أخرجه البخاري (رقم: ٢٦٩٧) في الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ومسلم (رقم: ١٧١٨)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفتَ أنّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك، لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشَّبَكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله ـ تعالى ـ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله ـ تعالى ـ في كتابه [٤]:

فلا هناك أحد من الخلق يجب اتّباعه إلّا الرسول ﷺ، أما ما عدا الرسول فإنه يُتْبَع ويُطاع إذا اتّبع الرسول، أما إذا خالف الرّسول فلا طاعة، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وأولو الأمر هم: الأمراء والعلماء، فإذا أطاعوا الله وجبتْ طاعتهم واتّباعهم، أما إذا خالفوا أمر الله فإنها لا تجوز طاعتهم ولا اتّباعُهم فيما خالفوا فيه، لأنّه ليس هناك أحدٌ يُطاع استقلالاً من الخلق إلا رسول الله ﷺ، وما عداه فإنّه يُطاع ويُتّبَع إذا أطاع الرّسول ﷺ واتّبع الرسول، هذه هي العبادة الصحيحة.

[٤] **«فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار...»**

. . . .

أي: مادام أنك عرفتَ التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة، يجب أن تعرف ما هو الشرك، لأنّ الذي لا يعرف الشيء يقع فيه، فلابدّ أنك تعرف أنواع الشرك من أجل أن تتجنبها، لأنّ الله حذّر من الشرك وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذا الشرك الذي هذا خطرُه، وهو أنه يَحْرِمُ من الجنّة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، ويَحْرِمُ من المغفرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

إذاً: هذا خطرٌ عظيم، يجب عليك أن تعرفه قبل أيّ خطر، لأنّ الشرك ضلّت فيه أفهام وعُقول. لنعرف ما هو الشرك من الكتاب والسنة، الله ما حذّر من شيء إلا ويبيِّنُه، وما أمَر بشيء إلا ويُبيّنه للناس، فهو لن يحرِّم الشرك ويتركه مجمَلاً، بل بيّنه في القرآن العظيم وبيّنه الرسول ﷺ في السنّة، بياناً شافياً، فإذا أردنا أن نعرف ما هو الشرك نرجع إلى الكتاب والسنة حتى نعرف الشرك، ولا نرجع إلى قول فلان. وهذا سيأتي.

القاعدة الأولى: أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأنّ الله ـ تعالى ـ هو الخالِق المدبِّر، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل: قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١][٥].

---

[٥] **القاعدة الأولى**: أن تعرف أن الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرِّين بتوحيد الرّبوبيّة، ومع ذلك إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدخلهم في الإسلام، ولم يحرِّم دماءهم ولا أموالهم.

فدلّ على أنّ التوحيد ليس هو الإقرار بالربوبيّة فقط، وأنّ الشرك ليس هو الشرك في الربوبيّة فقط، بل ليس هناك أحدٌ أشرك في الربوبيّة إلا شواذّ من الخلق، وإلّا فكل الأمم تُقِرّ بتوحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية هو: الإقرار بأنّ الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر، أو بعبارة أخصر: توحيد الربوبية هو: إفراد الله ـ تعالى ـ بأفعاله ـ سبحانه وتعالى ـ.

. . . .

فلا أحد من الخلق ادّعى أنّ هناك أحداً يخلُق مع الله ـ تعالى ـ، أو يرزق مع الله، أو يحيي، أو يُميت، بل المشركون مقرّون بأنّ الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧]، اقرءوا الآيات من آخر سورة المؤمنون تجدون أنّ المشركين كانوا مقرّين بتوحيد الربوبيّة، وكذلك في سورة يونس ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فهم مقرّون بهذا.

فليس التوحيد هو الإقرار بتوحيد الربوبيّة كما يقول ذلك علماءُ الكلام والنُّظّار في عقائدهم، فإنّهم يقرّرون بأنّ التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، فيقولون: (واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحدٌ في أفعاله لا شريك له) وهذا هو توحيد الربوبيّة، ارجعوا إلى أيّ كتاب من كتب علماء الكلام تجدوهم لا يخرجون عن توحيد الربوبيّة، وهذا ليس

القاعدة الثانية: أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة، فدليل القُربة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣][٦].

هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، والإقرار بهذا وحده لا ينفع صاحبه، لأنّ هذا أقرّ به المشركون وصناديد الكَفَرة، ولم يُخرجهم من الكفر، ولم يُدخلهم في الإسلام، فهذا غلطٌ عظيم، فمن اعتقد هذا الاعتقاد ما زاد على اعتقاد أبي جهل وأبي لهب، فالذي عليه الآن بعض المثقّفين هو تقرير توحيد الربوبية فقط، ولا يتطرّقون إلى توحيد الألوهيّة، وهذا غلطٌ عظيم في مسمّى التوحيد.

وأما الشرك فيقولون: (هو أن تعتقد أنّ أحداً يخلُق مع الله أو يرزق مع الله)، نقول: هذا ما قاله أبو جهل وأبو لهب، ما قالوا: إن أحداً يخلُق مع الله، ويرزُق مع الله، بل هم مقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت.

[٦] **القاعدة الثانية**: أن المشركين الذين سمّاهم الله

. . . .

مشركين وحكم عليهم بالخُلود في النار، لم يشركوا في الربوبيّة وإنما أشركوا في الألوهية، فهم لا يقولون إنّ آلهتهم تخلق وترزُق مع الله، وأنهم ينفعون أو يضرّون أو يدبّرون مع الله، وإنما اتخذوهم شفعاء، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ هم معترفون بهذا إنهم لا ينفعون ولا يضرّون، وإنما اتّخذوهم شفعاء، يعين: وُسطاء عند الله في قضاء حوائجهم، يذبحون لهم، وينذُرون لهم، لا لأنّهم يخلقون أو يرزقون أو ينفعون أو يضرّون في اعتقادهم، وإنما لأنهم يتوسّطون لهم عند الله، ويشفعون عند الله، هذه عقيدة المشركين.

وأنت لمّا تناقش الآن قبورياً من القبوريّين يقول هذه المقالة سواءً بسواء، يقول: أنا أدري أنّ هذا الوليّ أو هذا الرجل الصالح لا يضر ولا ينفع، ولكن هو رجلٌ صالح وأُريد منه الشفاعة لي عند الله.

والشفاعة فيها حقّ وفيها باطل، الشفاعة التي هي حقّ وصحيحة هي ما توفّر فيها شرْطان:

ودليل الشفاعة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيّة وشفاعة مثبَتة: فالشفاعة المنفيّة ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله،

الشرط الأوّل: أن تكون بإذن الله.

والشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد، أي: من عُصاة الموحدين.

فإنِ اختلّ شرطٌ من الشرطين فالشفاعة باطلة، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهم عُصاة الموحّدين، أما الكفّار والمشركون فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

فهؤلاء سمعوا بالشفاعة ولا عرفوا معناها، وراحوا يطلبونها من هؤلاء بدون إذن الله ـ عزّ وجل ـ، بل طلبوها لمن هو مشركٌ بالله لا تنفعه شفاعة الشافعين، فهؤلاء يجهلون معنى الشفاعة الحقّة والشفاعة الباطلة.

والدليل: قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] [٧].

والشفاعة المثبَتة هي: التي تُطلب من الله، والشّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضيَ الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن

---

[٧] الشفاعة لها شروط ولها قُيود، ليست مطلَقة.

فالشفاعة شفاعتان: شفاعة نفاها الله ـ جلّ وعلا ـ، وهي الشفاعة بغير إذنه ـ سبحانه وتعالى ـ، فلا يشفع أحد عند الله إلّا بإذنه، وأفضل الخلق وخاتم النبيّين محمد ﷺ إذا ارد أن يشفع لأهل الموقف يوم القيامة يخرّ ساجداً بين يدي ربّه ويدعوه ويحمدُه ويُثني عليه، ولا يزال ساجداً حتى يُقال له: «ارفع رأسك، وقل تُسْمَعْ، واشفع تُشَفَّعْ»(١)، فلا يشفع إلا بعد الإذن.

---

(١) قطعةٌ من حديث طويل أخرجه البخاري (رقم: ٧٥١٠)، في التوحيد، باب كلام الربّ عزّ وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم (رقم: ١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنّة منزلة فيها؛ من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] [٨].

والقاعدة الثالثة: أنّ النبي ﷺ ظهر على أُناسٍ متفرقين في عباداتهم منهم مَن يعبُد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر. وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرِّق بينهم [٩].

---

[٨] والشفاعة المثبتة هي التي تكون لأهل التوحيد، فالمشرك لا تنفعه شفاعة، والذي يقدِّم القرابين للقبور والنذور للقبور هذا مشرك لا تنفعه الشفاعة.

وخلاصة القول: أن الشفاعة المنفية هي التي تطلب بغير إذن الله، أو تطلب لمشرك.

والشفاعة المثبتة هي التي تكون بعد إذن الله، ولأهل التوحيد.

[٩] **القاعدة الثالثة**: أنّ النبي ﷺ بُعث إلى أُناسٍ من المشركين، منهم مَنْ يعبُد الملائكة، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأصنام والأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين.

. . . .

وهذا من قبح الشرك أنّ أصحابه لا يجتمعون على شيء واحد، بخلاف الموحّدين فإنّ معبودهم واحد ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ، مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠]، فمن سلبيّات الشرك وأباطيله: أنّ أهله متفرّقون في عباداتهم لا يجمعهم ضابط، لأنّهم لا يسيرون على أصل، وإنّما يسيرون على أهوائهم ودعايات المضللين، فتكثُر تفرّقاتهم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]، فالذي يعبد الله وحده مثل المملوك الذي يعبده شخص واحد يرتاح معه، يعرف مقاصده ويعرف مطالبه ويرتاح معه، لكن المشرك مثل الذي له عدّة مالكين، ما يدري مَنْ يُرضي منهم، كلّ واحد له هوى، وكلّ واحد له طلب، وكل واحد له رغبة، كل واحد يريده أن يأتي عنده، ولهذا قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ يعني: يملكه عدّة أشخاص، لا يدري مَن يُرضي منهم، ﴿وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ﴾ مالكه شخص واحد، هذا يرتاح معه، هذا مثل ضربه الله للمشرك وللموحّد.

. . . .

فالمشركون متفرّقون في عباداتهم، والنبي ﷺ قاتلهم ولم يفرِّق بينهم، قاتل الوثنيين، وقاتل اليهود والنصارى، وقاتل المجوس، قاتل جميع المشركين، وقاتل الذين يعبدون الملائكة، والذين يعبدون الأولياء الصالحين، لم يفرِّق بينهم.

فهذا فيه ردٌّ على الذين يقولون: الذي يعبد الصنم ليس مثل الذي يعبد رجلاً صالحاً ومَلَكاً من الملائكة، لأنّ هؤلاء يعبدون أحجاراً وأشجاراً، ويعبدون جمادات، أما الذي يعبد رجلاً صالحاً ووليًّا من أولياء الله ليس مثل الذي يعبد الأصنام.

ويريدون بذلك أن الذي يعبد القبور الآن يختلف حكمه عن الذي يعبد الأصنام، فلا يكفر، ولا يعتبر عمله هذا شركاً، ولا يجوز قتاله.

فنقول: الرسول لم يفرّق بينهم، بل اعتبرهم مشركين كلّهم، واستحلّ دماءهم وأموالهم، ولم يفرِّق بينهم، والذين يعبدون المسيح، والمسيح رسول الله، ومع هذا قاتلهم. واليهود يعبدون عُزيراً، وهو من أنبيائهم، أو من

والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] [١٠].

صالحيهم، قاتلهم رسول الله ﷺ، لم يفرِّق بينهم. فالشرك لا تفريق فيه بين مَنْ يعبُد رجلاً صالحاً أو يعبُد صنماً أو حجراً أو شجراً، لأن الشرك هو: عبادة غير الله كائناً مَنْ كان، ولهذا يقول: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وكلمة ﴿شَيْـًٔا﴾ في سياق النهي تعمّ كلّ شيء، تعمّ كل مَنْ أُشرك مع الله ـ عزّ وجل ـ من الملائكة والرسل والصالحين والأولياء، والأحجار والأشجار.

[١٠] قوله: «**والدليل قوله ـ تعالى ـ**: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾» أي: الدليل على قتال المشركين من غير تفريق بينهم حسب معبوداتهم؛ قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾، وهذا عامّ لكل المشركين، لم يستثنِ أحداً، ثم قال: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ والفتنة: الشرك، أي: لا يوجَد شرك، وهذا عامّ، أيَّ شرك، سواءً الشرك في الأولياء والصالحين، أو بالأحجار، أو بالأشجار، أو بالشمس، أو بالقمر.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾: تكون العبادة كلها لله، ليس فيها شَرِكَةٌ لأحد كائناً مَنْ كان، فلا فرق بين الشرك بالأولياء والصالحين

ودليل الشمس والقمر قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧][١١].

أو بالأحجار أو بالأشجار أو بالشياطين أو غيرهم.

[١١] دلّ على أنّ هناك مَن يسجُد للشمس والقمر، ولهذا نهى الرسول ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها[١] سدًّا للذريعة، لأنّ هناك مَن يسجُد للشمس عند طلوعها ويسجد لها عند غروبها، فنهينا أنْ نصليَ في هذين الوقتين وإنْ كانت الصلاة لله، لكن لَمّا كان في الصلاة في هذا الوقت مشابهة لفعل المشركين مُنِعَ من ذلك سدًّا للذريعة التي تُفضي إلى الشرك، والرسول ﷺ جاء بالنهي عن الشرك وسدّ ذرائعه المفضية إليه[٢].

---

(١) كما في حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يتحرّى أحدُكم، فيصلِّي عند طلوع الشمس، ولا عند غروبها».
أخرجه البخاري (رقم: ٥٨٥) في المواقيت، باب لا يتحرّى الصلاة قبل غروب الشمس، ومسلم (رقم: ٨٢٨) في المساجد، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها.

(٢) انظر: «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد»: (٢/ ٨٣٥ ـ ٨٣٩).

ودليل الملائكة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠][١٢].

ودليل الأنبياء قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] [١٣].

---

[١٢] قوله: «**ودليل الملائكة . . .إلخ**» دلّ على أنّ هناك مَنْ عَبد الملائكة والنبيّين، وأن ذلك شرك.

وعبّاد القبور اليوم يقولون: الذي يعبد الملائكة والنبيّين والصالحين ليس بكافر.

[١٣] وقوله: «**ودليل الأنبياء . . .إلخ**» هذا فيه دليل على أن عبادة الأنبياء شرك مثل عبادة الأصنام.

ففيه ردٌّ على من فرَّق في ذلك من عبّاد القبور.

فهذا فيه ردّ على هؤلاء الذين يقولون: إن الشرك عبادة الأصنام، ولا يسوَّى عندهم بين مَن عبد الأصنام وبين مَن عبد وليًّا أو رجلاً صالحاً، وينكرون التسوية بين هؤلاء،

ودليل الصالحين قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ..﴾ الآية [الإسراء: ٥٧] [١٤].

ويزعمون أنّ الشرك مقصورٌ على عبادة الأصنام فقط، وهذا من المغالَطة الواضحة من ناحيتين:

الناحية الأولى: أنّ الله ـ جلّ وعلا ـ في القرآن أنكر على الجميع، وأمر بقتال الجميع.

الناحية الثانية: أنّ النبي ﷺ لم يفرّق بين عابدِ صنمٍ وعابدِ ملَك أو رجل صالح.

[١٤] «**ودليل الصالحين**» يعني: أنّ هناك مَن عبد الصالحين من البشر: قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ قيل: نزلت هذه الآية فيمن يعبد المسيح وأمّه وعُزيراً، فأخبر ـ سبحانه ـ أنّ المسيح وأمه مريم، وعُزيراً كلهم عبادٌ لله، يتقرّبون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فهم عبادٌ محتاجون إلى الله مفتقرون إليه يدعونه ويتوسّلون إليه بالطّاعة ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، يعني: القُرب منه ـ سبحانه ـ

. . . .

بطاعته وعبادته، فدلّ على أنهم لا يصلُحون للعبادة لأنّهم بشرٌ محتاجون فقراء، يدعون الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، ومَن كان كذلك لا يصلُح أن يُعبد مع الله - عزّ وجل -.

والقول الثاني: أنها نزلت في أُناسٍ من المشركين كانوا يعبدون نفَراً من الجن، فأسلم الجن ولم يعلم هؤلاء الذين يعبدونهم بإسلامهم، وصاروا يتقرّبون إلى الله بالطاعة والضَّراعة ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فهم عبادٌ محتاجون فقراء لا يصلُحون للعبادة.

وأيًّا كان المراد بالآية الكريمة فإنّها تدلّ على أنه لا يجوز عبادة الصالحين، سواءً كانوا من الأنبياء والصدِّيقين، أو من الأولياء والصالحين، فلا تجوز عبادتهم، لأنّ الكُل عبادٌ لله فقراء إليه، فكيف يُعبدون مع الله - جلّ وعلا -.

والوسيلة معناها: الطاعة والقُرب، فهي في اللغة: الشيء الذي يوصِّل إلى المقصود. فالذي يوصِّل إلى رضى الله وجنته هو الوسيلة إلى الله، هذه هي الوسيلة المشروعة في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

. . . .

أما المحرِّفون المخرِّفون فيقولون: الوسيلة: أنْ تجعل بينك وبين الله واسطة من الأولياء والصالحين والأموات، تجعلهم واسطة بينك وبين الله ليقرِّبوك إلى الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فمعنى الوسيلة عند هؤلاء المخرّفين: أن تجعل بينك وبين الله واسطة تُعرِّف الله بك وتنقُل له حاجاتك وتُخبره عنك، كأنّ الله ـ جلّ وعلا ـ لا يعلم، أو كأن الله ـ جلّ وعلا ـ بخيل لا يعطي إلّا بعد ما يلحّ عليه بالوسائط ـ تعالى الله عمّا يقولون ـ. ولهذا يشبّهون على النّاس ويقولون: الله ـ جلّ وعلا ـ يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ فدلّ على أنّ اتّخاذ الوسائط من الخلق إلى الله أمرٌ مشروع لأنّ الله أثنى على أهله، وفي الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [المائدة: ٣٥]، قالوا: إن الله أمرنا أن نتّخذ الوسيلة إليه، والوسيلة معناها: الواسطة، هكذا يحرّفون الكَلِم عن مواضعه، فالوسيلة المشروعة في القرآن وفي السنة هي: الطاعة التي تقرِّب إلى الله، والتوسُّل إليه بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى. هذه هي الوسيلة المشروعة، أما التوسُّل بالمخلوقين إلى الله فهو

. . . .

وسيلةٌ ممنوعة، ووسيلة شركيّة، وهي التي اتّخذها المشركون من قبل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، هذا هو شرك الأوّلين والآخرين سواء بسواء، وإنْ سمّوه وسيلة فهو الشرك بعينه، وليس هو الوسيلة التي شرعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ، لأنّ الله لم يجعل الشرك وسيلة إليه أبداً، وإنما الشرك مُبْعِدٌ عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] فكيف يُجعل الشرك وسيلة إلى الله ـ تعالى الله عمّا يقولون ـ.

الشّاهد من الآية: أنّ فيها دليلاً على أنّ هناك من المشركين مَن يعبد الصالحين، لأنّ الله بيّن ذلك، وبيّن أن هؤلاء الذين تعبدونهم هم عبادٌ فقراء ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ يعني: يتقرّبون إليه بالطّاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ يتسابقون إلى الله ـ جلّ وعلا ـ بالعبادة لفقرهم إلى الله وحاجتهم ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ ومَن كان كذلك فإنّه لا يصلُح أنْ يكون إلهاً يُدعى ويُعبد مع الله ـ عزّ وجل ـ.

ودليل الأحجار والأشجار قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] [١٥].

---

[١٥] قوله: «**ودليل الأحجار والأشجار . . .إلخ**» في هذه الآية دليل أنّ هناك مَن يعبد الأحجار والأشجار من المشركين.

فقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ هذا استفهام إنكار، أي: أخبروني، من باب استفهام الإنكار والتوبيخ.

﴿ٱللَّٰتَ﴾ ـ بتخفيف التاء ـ: اسمُ صنم في الطائف، وهو عبارة عن صخرة منقوشة، عليها بيتٌ مبني، وعليه ستائر، يضاهي الكعبة، وحوله ساحة، وعنده سَدَنَة، كانوا يعبدونها من دون الله ـ عزّ وجل ـ، وهي لثقيف وما والاهم من القبائل، يفاخِرون بها.

وقُرئ: ﴿أفرأيتم اللاتَّ﴾ ـ بتشديد التاء ـ اسم فاعل من (لَتَّ يلُتُّ)، وهو: رجلٌ صالح كان يلُتُّ السَّويق ويُطعمه للحُجّاج، فلمّا مات بنوا على قبره بيتاً، وأرْخوا عليه الستائر، فصاروا يعبدونه من دون الله ـ عزّ وجل ـ، هذا هو اللّات.

. . . .

﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾: شجرات من السَّلَم في وادي نخلة بين مكّة والطائف، حَوْلَها بناء وستائر، وعندها سَدَنة، وفيها شياطين يكلّمون الناس، ويظنّ الجهّال أنّ هذا الذي يكلّمهم هو نفس هذه الشجرات أو هذا البيت الذي بنوه مع أنّ الذي تكلِّمهم هي الشياطين لتضلّهم عن سبيل الله، وكان هذا الصنم لقريش وأهل مكّة ومَن حولهم.

﴿وَمَنَوٰةَ﴾: صخرة كبيرة في مكان يقع قريباً من جبل قُديد، بين مكّة والمدينة، وكانتْ لخُزاعة والأوس والخزْرج، وكانوا يحرمون من عندها بالحج، ويعبدونها من دون الله.

فهذه الأصنام الثلاثة هي أكبر أصنام العرب.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ﴾ هل أغنتكم شيئاً؟، هل نفعتكم؟، هل نصرتكم؟، هل كانت تخلق وترزق وتحيي وتميت؟، ماذا وجدتم فيها؟، هذا من باب الإنكار وتنبيه العقول إلى أنْ ترجع إلى رشدها، فهذه إنما هي صخرات وشجرات ليس فيها نفع ولا ضر، مخلوقة.

. . . .

ولَمّا جاء الله بالإسلام وفتح رسول الله ﷺ مكّة المشرّفة أرسل المغيرة بن شُعبة وأبا سفيان بن حرْب إلى (اللّات) في الطائف فهدماها بأمر رسول الله ﷺ، وأرسل خالد بن الوليد إلى العزّى فهدمها وقطع الأشجار وقتل الجنيّة التي كانت فيها تخاطِب الناس وتضلّهم ومحاها عن آخرها ـ والحمد لله ـ، وأرسل عليّ بن أبي طالب إلى (مَناة) فهدمها ومحاها[1]، وما أنقذت نفسها، فكيف تُنقذ أهلها وعُبّادها ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ أين ذهبت؟، هل نفعتكم؟، هل منعتْ نفسها من جنود الله وجيوش الموحّدين؟.

فهذا فيه دليل على أنّ هناك مَن يعبد الأشجار والأحجار، بل إنّ هذه الأصنام الثلاثة كانت هي أكبر أصنامهم ومع هذا محاها الله من الوُجود، وما دفعت عنها ولا نفعت أهلها فقد غزاهم رسول الله ﷺ وقاتلهم ولم تمنعهم أصنامهم، فهذا فيه ما استدلّ له الشيخ ـ رحمه الله ـ أنّ هناك مَن يعبد الأحجار والأشجار.

---

(١) انظر: «زاد المعاد»: (٤/ ٤١٣ ـ ٤١٥).

وحديث أبي واقدٍ الليثي ـ رضي الله عنه ـ قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . . .» الحديث(1) [١٦].

يا سبحان الله! بشر عقلاء يعبدون الأشجار والأحجار الجامدة التي ليس فيها عقول وليس فيها حركة ولا حياة، أين عقول البشر؟، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيراً.

[١٦] عن أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ، وكان ممّن أسلم عام الفتح على المشهور سنة ثمانٍ من الهجرة. يقال لها: (ذاتُ أنواط)، والأنواط جمع نوط وهو: التعليق، أي: ذاتُ تعاليق، يعلّقون بها أسلحتهم للتبرّك بها، فقال

---

(1) أخرجه الترمذي (رقم: ٢١٨٠) في الفتن، باب ما جاء لتركبنّ سنن من كان قبلكم، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد (٥/ ٢١٨)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (رقم ٧٦)، وابن حبّان في «صحيحه»: (رقم ٦٧٠٢ ـ الإحسان).
وصحّحه ابن حجر في «الإصابة»: (٤/ ٢١٦).

. . . .

بعضُ الصحابة الذين أسلموا قريباً ولمْ يعرفوا التوحيد تماماً.

«**اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط**»، وهذه بليّة التقليد والتشبُّه، وهي من أعظم البلايا، فعند ذلك تعجّب النبي ﷺ وقال: «الله أكبر!، الله أكبر!، الله أكبر!»، وكان ﷺ إذا أعجبه شيء أو استنكر شيئاً فإنّه يكبِّر أو يقول: «سبحان الله» ويكرِّر ذلك.

«**إنها السُّنَن**» أي: الطُرُق التي يسلُكها الناس ويقتدي بعضهم ببعض، فالسبب الذي حملكم على هذا هو اتّباع سنن الأولين والتشبُّه بالمشركين.

«**قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]». موسى ـ عليه السلام ـ لـمّا تجاوز البحر ببني إسرائيل وأغرق الله عدوّهم فيه وهم ينظرون، مرّوا على أُناسٍ يعكُفون على أصنامٍ لهم من المشركين، فقال هؤلاء لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أنكر عليهم

. . . .

وقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ يعني: باطل، ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ لأنّه شرك، ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٠]، أنكر عليهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما أنّ نبيّنا محمداً ﷺ أنكر على هؤلاء، ولكن هؤلاء وهؤلاء لم يشركوا، فبنو إسرائيل لَمّا قالوا هذه المقالة لم يُشركوا لأنّهم لم يفعلوا، وكذلك هؤلاء الصحابة لو اتّخذوا ذات أنواط لأشركوا ولكنّ الله حماهم، لَمّا نهاهم نبيّهم انتهوا، وقالوا هذه المقالة عن جهل، ما قالوها عن تعمُّد، فلمّا علِموا أنها شرك انتهوا ولم ينفّذوا، ولو نفّذوا لأشركوا بالله ـ عزّ وجل ـ.

فالشّاهد من الآية: أنّ هناك مَن يعبد الأشجار، لأنّ هؤلاء المشركين اتّخذوا ذات أنواط، وحاول هؤلاء الصحابة الذين لم يتمكّن العلم من قلوبهم حاولوا أن يتشبّهوا بهم لولا أنّ الله حماهم برسوله ﷺ.

الشاهد: أنّ هناك مَن يتبرّك بالأشجار ويعكُف عندها، والعكوف معناه: البقاء عندها مدّة تقرُّباً إليها. فالعُكوف هو: البقاء في المكان.

. . . .

فدلّ هذا على مسائل عظيمة:

المسألة الأولى: خطر الجهل بالتوحيد، فإن مَنْ كان يجهلُ التوحيد حَرِيٌّ أنْ يقع في الشرك وهو لا يدري، ومن هنا يجب تعلُّم التوحيد، وتعلُّم ما يضادّه من الشرك حتى يكون الإنسان على بصيرة لئلا يُؤتى من جهله، لا سيّما إذا رأى من يفعل ذلك فيحسبُه حقًّا بسبب جهله، ففيه: خطرُ الجهل، لا سيّما في أمور العقيدة.

ثانياً: في الحديث خطرُ التشبُّه بالمشركين، وأنّه قد يؤدِّي إلى الشرك، قال ﷺ: «من تشبّه بقومٍ فهو منهم»[١]، فلا يجوز التشبُّه بالمشركين.

المسألة الثالثة: أنّ التبرُّك بالأحجار والأشجار والأبنية شركٌ وإنْ سُمِّي بغير اسمه، لأنه طلب البركة من غير الله

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم: ٤٠٣١) في اللباس، باب في لبس الشهرة، وأحمد (٢/ ٥٠) من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.
قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة: «هذا إسناد جيّد». «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٩).
وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: (٢/ ٦٥): «سنده صحيح».
وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: (٦/ ٩٨): «سندُه حسن».

القاعدة الرابعة: أنّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأوّلين، لأنّ الأولين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] [١٧].

من الأحجار والأشجار والقُبور والأضرحة، وهذا شرك وإنْ سمّوه بغير اسم الشرك.

[١٧] **القاعدة الرابعة ـ وهي الأخيرة ـ**: أنّ مشركي زماننا أعظمُ شركاً من الأوّلين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ.

والسبب في ذلك واضح: أنّ الله ـ جلّ وعلا ـ أخبر أن المشركين الأولين يُخلصون لله إذا اشتدّ بهم الأمر، فلا يدعون غير الله ـ عزّ وجل ـ لعلمهم أنّه لا يُنقذ من الشدائد إلّا الله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] يعني: مخلصين له الدعاء، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم

. . . .

مُّقْتَصِدٌۚ﴾ [لقمان: ٣٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فالأوّلون يُشركون في الرخاء، يدعون الأصنام والأحجار والأشجار.

أما إذا وقعوا في شدّة وأشرفوا على الهلاك فإنهم لا يدعون صنماً ولا شجراً ولا حجراً ولا أي مخلوق، وإنما يدعون الله وحده ـ سبحانه وتعالى ـ، فإذا كان لا يخلّص من الشدائد إلّا الله ـ جلّ وعلا ـ فكيف يُدعى غيرُه في الرخاء.

أما مشركو هذا الزمان يعني: المتأخرين الذين حدث فيهم الشرك من هذه الأمّة المحمديّة فإنّ شركهم دائمٌ في الرخاء والشدّة، لا يُخلصون لله ولا في حالة الشدّة، بل كلما اشتدّ بهم الأمر اشتدّ شركهم ونداؤهم للحسن والحسين وعبد القادر والرِّفاعي وغير ذلك، هذا شيء معروف، ويُذكر عنهم العجائب في البحار، أنهم إذا اشتدّ بهم الأمر صاروا يهتفون بأسماء الأولياء والصالحين ويستغيثون بهم من دون الله ـ عزّ وجل ـ، لأنّ دعاة الباطل والضلال يقولون لهم: نحن ننقذكم من البحار، فإذا

. . . .

أصابكم شيء اهتفوا بأسمائنا ونحنُ ننقذكم. كما يُروى هذا عن مشايخ الطُّرق الصوفية، واقرءوا ـ إنْ شئتم ـ «طبقات الشعراني» ففيها ما تقشعرّ منه الجلود ممّا يسمّيه كرامات الأولياء، وأنهم يُنْقِذُون من البحار، وأنه يمدّ يده إلى البحر ويحمل المركَب كله ويُخرجه إلى البر ولا تَتَنَدَّى أكمامه، إلى غير ذلك من تُرَّهَاتهم وخُرافاتهم، فشركهم دائم في الرخاء والشدّة، فهم أغلظ من المشركين الأوّلين.

وأيضاً ـ كما قال الشيخ في «كشف الشبهات»[١] ـ: من وجه آخر: (أنّ الأوّلين يعبدون أُناساً صالحين من الملائكة والأنبياء والأولياء، أما هؤلاء فيعبدون أُناساً من أفجر الناس، وهم يعترفون بذلك، فالذين يسمّونهم الأقطاب والأغواث لا يصلّون، ولا يصومون، ولا يتنزهّون عن الزنا واللواط والفاحشة، لأنهم بزعمهم ليس عليهم تكاليف، فليس عليهم حرام ولا حلال، إنما هذا للعوام فقط. وهم يعترفون أنّ سادتهم لا يصلّون ولا يصومون، وأنهم

---

(١) انظر: «كشف الشبهات»: (ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ضمن مؤلّفات الإمام المجدّد/ قسم العقيدة).

. . . .

لا يتورّعون عن فاحشة، ومع هذا يعبدونهم، بل يعبدون أُناساً من أفجر الناس: كالحلّاج، وابن عربي، والرّفاعي، والبدوي، وغيرهم).

وقد ساق الشيخ الدليل على أنّ المشركين المتأخّرين أعظم وأغلظُ شركاً من الأوّلين، لأنّ الأوّلين يُخلصون في الشدّة ويُشركون في الرخاء، فاستدل بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وآله وصحبه أجمعين

فهارس الموضوعات